

تَوْضِيحُ
مَقَاصِدِ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ
لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ

تأليف
فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

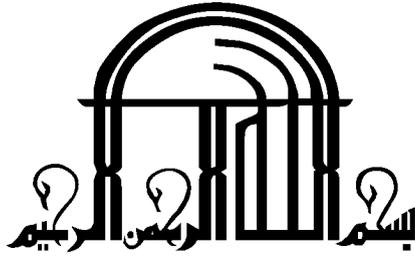
إعداد
جدة الرحمن بن صالح السديس

دار التَّحْقِيقِ

توضيح
مقاصد العقيدة الواسطية
لشيخ الإسلام ابن تيمية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف إلا من أراد
طبعه وتوزيعه مجاناً بعد أخذ إذن خطي من الناشر

الطبعة الثانية
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وأصحابه

مفتي أذربيجان الشيخ عبد الرحمن بن صلاح بن عبد الله السديني

بإخراج ونشر ما أعده من شرحي للعقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية، والذي أنضيت في الدورة العلمية

المقامية في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية في العاصمة عام ١٤١٤

ذو حجة سنة ١٤١٤م في عهد الشيخ عبد الرحمن السديني، مبارك فيه

على ما قام به من عناية بالحقيرة الواسطية وشرحها

قال ذلك وأعلمه

عبد الرحمن بن ناصر البزاز



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة
للعالمين .

أما بعد:

فهذه الطبعة الثانية لهذا الكتاب قد صحح ما وجد فيه من أغلاط
وأضيف للكتاب بعض الإضافات والتعديلات اليسيرة .
وقد أعيد صفه من جديد، مُصَغَّر حجم حرفه؛ فأصبح بحلة أجمل
مما كان .

ويسرني أن أشكر كل من أرسل لي بملحوظة أو نبهني على غلط .
كما يسرني أن أشكر من ساهم في خفض قيمة الكتاب في طبعته الأولى
والثانية، وأسأل الله أن يبارك في أموالهم ويخلفهم خيراً .

كتبه

عبد الرحمن بن صالح السديس

assdais@gmail.com

١٤٣٠/١١/٢٧ هـ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، والصلاة والسلام على محمد عبد الله ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، أما بعد:

فإن من نعم الله على هذه الأمة المرحومة أن هياً لها بعد نبينا ﷺ أئمة ربانيين، قاموا بأمر الله خير قيام، فنصر الله بهم السنة، وقمع بهم البدعة، وجعلهم أئمة يهتدى بهديهم، ويقتدى برأيهم؛ ومن هؤلاء الأئمة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، الذي أمضى عمره في الدعوة إلى الله، وتقرير العقيدة السلفية، ومحاربة البدع والضلالات، وكتب في ذلك كتباً كثيرة؛ كان من أصغرها حجماً، وأكثرها نفعاً في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة «العقيدة الواسطية»، التي وقعت عند العلماء موقعاً حسناً، فعنوا بها حفظاً، ودرساً، وكُتبت عليها شروح كثيرة؛ كشرح الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ فيصل آل مبارك، والشيخ محمد خليل هراس، والشيخ عبد العزيز الرشيد، والشيخ زيد الفياض، والشيخ عبد العزيز السلطان، والشيخ محمد العثيمين، والشيخ عبد الله الجبرين، والشيخ صالح الفوزان^(١) وغيرهم رحمهم الله.

وكان ممن شرحها للطلاب في مجالس علمية فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك - حفظه الله -، وكان من ذلك شرحه لها في جامع شيخ الإسلام ابن تيمية بحي سلطانة في مدينة الرياض، في صيف

(١) هذه الشروح كلها مطبوعة.

عام (١٤١٤هـ)، ضمن الدورة العلمية المكثفة، وهذا الشرح مسجّل متداول، وقد قام الإخوة الكرام القائمون على الجامع بتفريغ هذا الشرح، وكتابته، وإدخاله في موقع الجامع على الشبكة العنكبوتية، وعنه انتشر في كثير من المواقع.

وهذه النسخة المتداولة في الشبكة لم تُقرأ على الشيخ، ووقع فيها سقط، وغلط كثير، وخلت من أيّ عناية.

فعرضت على الشيخ - حفظه الله - فكرة العناية بهذا الشرح، وتهيئته للطباعة؛ فوافق على ذلك مشكوراً.

فاستعنت بالله على إخراجه، وسار العمل في إخراج هذا الشرح على ما يلي:

- ١ - كتابة الشرح المسموع، ثم مقابلة المسموع بالمكتوب للتأكد من سلامته من الغلط، أو السقط.
- ٢ - تهيئته، وتنسيقه ليتناسب مع الطباعة.
- ٣ - قراءة الشرح كاملاً على الشيخ - حفظه الله - لإضافة، أو حذف، أو تعديل، أو استدراك ما يراه مناسباً.
- ٤ - اعتمدت في إثبات متن «العقيدة الواسطية» على نسختين خطيتين، والمطبوع ضمن مجموع الفتاوى بعناية الشيخ ابن قاسم رحمته الله.
- ٥ - عزّوت الآيات إلى مواضعها من كتاب الله، وأثبتها على رواية حفص عن عاصم.
- ٦ - خرّجت جميع الأحاديث، والآثار الواردة في المتن، أو الشرح.

والطريقة في ذلك ما يلي:

- أ - إذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما؛ اقتصر في العزو عليه إلا لفائدة؛ كأن يكون اللفظ المذكور لغيرهما.
- ب - إذا كان الحديث في غير الصحيحين خرّجته من أهم المصادر، ونقلت ما تيسر من كلام أهل العلم عليه تصحيحاً، أو تضعيفاً

- باختصار لئلا يطول الكلام، وفي بعض المواضع أحلت إلى بعض المراجع لمن أراد التوسّع، والزيادة.
- ج - إذا كان الحديث في المصدر في عدّة مواضع، فإني أقتصر على أحدها غالباً.
- ٧ - وثّقت جميع النقول الواردة، وأحلت في بعض المسائل إلى كتب الأئمة للتوثيق، وزيادة الفائدة.
- ٨ - ترجمت للأعلام غير المشهورين، وعرّفت بالبلدان، والمواضع.
- ٩ - وضعت عناوين في بداية المقاطع المشروحة من المتن وسط إطار للتوضيح.
- ١٠ - وضعت فهرساً للأحاديث، وقائمة بالمراجع التي عزّوت لها في الحاشية، وفهرساً شاملاً لمسائل الكتاب، وفهرساً إجمالياً لموضوعات الكتاب.

معلومات النسخ الخطية

اجتمع عندي مجموعة من النسخ الخطية لكن أكثرها متأخرة، فرأيت الاكتفاء في إثبات المتن على نسختين منها، والمطبوع ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام بعناية الشيخ ابن قاسم؛ لأن المتن الذي قرئ على الشيخ، وشرّحه مقارب له جداً.

وهذا بيان لمعلومات المخطوطتين:

المخطوطة الأولى: نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجاميع المدرسة العمرية، برقم (٩١) الرسالة الرابعة، وهي في مكتبة الأسد برقم (٣٨٢٧)، تبدأ صفحاتها بعد العنوان من (٢٤ - ٣٥)، فعدد الأوراق (١٢) ورقة، في كل ورقة صفحتان إلا خمس ورقات، ليس بها إلا صفحة.

وعدد الأسطر في كل صفحة ما بين (٢٢ - ٢٣) إلا الأخيرة، ففيها (١٣) سطراً، وكتبتها هو: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الرحمن، وكتبها عام (٧٣٦هـ).

وهي نسخة نفيسة، من أقدم النسخ، وقد جعلتها أصلاً، ورمزت لها برمز (ظ).

المخطوطة الثانية: محفوظة في مكتبة برلين بألمانيا برقم (١٩٩٤)، وصورتها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ضمن مجموع برقم (١٠٩٥ - ف)، في (١١) ورقة، في كل ورقة صفحتان، وعدد الأسطر (٢٣) سطراً عدا الأولى والأخيرة، ولم أجد اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، ورمزت لها برمز (ب).

طريقة العمل في إثبات النص:

جعلت نسخة المكتبة الظاهرية أصلاً، ووضعت أرقام صفحات المخطوط في المتن بين معكوفين []، لتسهيل الرجوع إليه. وذكرت فروق نسخة برلين إذا كان ثمَّ فائدة، أو اختلاف في المعنى، وربما أثبت بعض الألفاظ منها لأنها أحسن في السياق مع التنبيه على ذلك، وأعرضت عن ذكر الفروق غير المؤثرة، والأغلاط في الآيات؛ لئلا تشوش على القارئ وتأخذ من وقته بلا فائدة.

أضفت من النسخة المطبوعة المواضع التي شرحها الشيخ، وليست في المخطوط والمواضع التي فيها زيادة فائدة، وجعلت ذلك بين معكوفين []، ونبّهت على ذلك في الحاشية.
والله أعلم، وصلى الله على نبيِّنا محمد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

✍ كتبه

عبد الرحمن بن صالح بن عبد الله السديس

الرياض assdais@gmail.com

لمخطوط لا يحسن احوالهم ولا يغير احوالهم
 هذا ما صدق به عبدك في امره سبائك لا يرضى
 حلسه لا يحسن
 لعل

لكن لما عبر عن الله غلبه ثم ان الله مستغرق على ثلاثين
 فرقة تكلموا بالانوار والجزالة وميناء المعرفة وفي حديث عنه انه
 قال من كان على مثل انما عليه وانما هو طائر المتصديقون
 بالاسلام لطيفوا بالبحر عن الشوق اهل السنة والجماعة وهم
 الصديقون والشفعاء والصلحون ومنهم اعلام النفس ومصابيح
 الروح والنايات والاشارة والافعال المذكورة وهم المبدال
 الائمة الذين اجمع المشركون على هزواتهم ودياراتهم وهم الطائفة
 المنصوبة اليه قال منهم اليه صلى الله عليه وآله من اقران الخرافة من
 اتبعه كما هم من غل الحق الاضطر من جهلهم وان جهلهم حتى
 تقع الساعة فتمسك الله للعظيم ان يجعل منهم وان لا يقع
 قلوبنا بقراد صفانا وبيت لنا من اونه رحمة انه هو الوهاب
 والقدرة رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله
 وعلى سائر المرسلين والنبين والارسل وسائر الصالحين

هذا ما صدق به عبدك في امره سبائك لا يرضى

فتب والبركة في بعض ايام الجمعة فما انا بل العشر
 الواسط لم يظن للعظم منه صيت والبركة عليه
 بلورسة الظاهر في القول مستقر له وهو على سب
 معانيه في بعض ايام من غير ان يكون له في ذلك
 لطف الله به وجماعته ومعه من اهل السنة
 والجماعة لا يفتن ولا يتولى سواهم

ايمن فتمصله معي قال بن عيسى فربما بين الامر والحق
 فمن جمع بينهما فذكرهما ان القول هو الامر لمؤلفه
 فقال كما انزلنا في ليلة القدر اذ انزلنا من رب
 فيها يقول كل امر حكيم امر من عندنا وروى هذه الاستنباط
 عن احمد بن حنبل وتقدم بن عبيد بن وهب بن جدي بن سنان
 وعنه عن ابيه وذكره البيهقي باسما وهو عن عمرو بن
 دينار قال سمعت شاذبا منذ سبعين سنة يقولون ان
 كلام الله ليس مخلوقا قال ويختمه جامة من الصفا بية
 منهم بن عباس وابن عمر وبراء بن الزبير وكان ابا جابر
 ثم قال وروى هذا القول عن النبي بن سعد وسفيان
 وابن المبارك وحماد بن زيد وابن مهدي والشافعي وحماد
 بن حنبل وابن عبيد والبخاري وشيخه جليلي وسفيان
 اسدث هذه المدينة للصد بن درهم ومعه كان ياخذ
 وهم فزججه نخلون فمد الله الضروي يوم الامني حكيم
 ليولدا ان كفي في طبع جمع الجميع وحماد بن عمار
 الواسط فلا بن محمد بن علي بن محمد

الرب

الذين كلفه وكثر الله شهيدا وشهدان لا اله الا الله وحده
 لا شريك له انزل به وحيدا وشهدان محمد عبدا ورسوله
 صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيدا الفقرة
 الثانية المنصورة الى تمام الساعة اهل السنة والجماعة
 الامران بالله ربنا ربكم ربنا ورب كل شيء فالله
 ولايمان بالثبوت والبرهان ومن الايمان بالله الامان
 بما وصفت به نفسه في كتابه العزيز وما وصفت به رسوله
 محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير
 تكبير ولا تقليد بل يؤمنون بان الله تعالى ليس كشأنه من
 وهو اسم النبوي ولا يتقون عند ما وصفت به نفسه ولا
 يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يظنون ان ساء الله وابلاته
 ولا يتشبهون صفاته وصفات خلقه لان ساء الله لا يضره ولا
 كونه ولا ناله ولا يقاس خلقه سبحانه وتعالى فما نقصا له
 اعلم بنفسه وخير واحسن قولا وحسن حديثا من خلقه
 ثم رساله ما دون مصد وتقول مخلوق الذين يقولون عليه
 ما لا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى سبحانه ربك رب العزة
 عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
 فليس نفسه عما وصفه به الخائفون المرسلين ثم على كل من
 اسلمت ما قال من التمسك بالعصب وهو كجانه فدمع منها
 وصفت به نفسه بين النبي والاشياء فلا عيب ولا حيل
 السنة والجماعة جازات بها الرسولون فانها الصراط المستقيم
 صراط الذين انعم الله عليهم من قبلين والصديقين والتهديين
 والصابغين وودد خلقه ليركضوا اليه ما وصفت به نفسه

في العلم والدين وهم يزعمون بعهد الامم الاصل الثلاثة جميع
 ما عليه الناس من اصولها طهنة واطهنة لا تقبل
 بالدين ولا اجتماع الذي يضيظ هو كما في حلة اللبث
 الصالح اذا عيدهم في اختلافه لا تشترط الا انه لم يحم
 مع هذه الامم يا مرون بالهرون وينبون عن المذكور
 على ما توجيهه الشريعة ويرون قامة الخويلد والبعث
 ولا على ما مع الامم البرزخية الوفاة وتحيي نظرون على
 الجماعات ويديرون بالخصصة الامم وحققدون مدني
 قول صلى الله عليه وسلم النبي من كاذب ان يشهد
 بعصه بعضا وشك بان اصابه وقوله صلى الله عليه
 وسلم قبل الموتين في ثؤادهم وبرايمهم وقاطمهم كمثل
 الجسد اذا اشتكى منه عضو تدعى ارسا برخصه بالخر السهر
 ويا مرون بالصه وهذا الملام والاشكر هذا الرخا والرخا بر
 التقيا ويديرون الى حكارم الاخلاق ويحارسن الاعمال
 ويعقدون صميم قول صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين
 ايمانا احسن خلقا ومنه يكون ان فصل من عطفك
 من عطف من غرون وعضو عن ظلمك ويا مرون به الالزوم
 وصلته الاحرام وحسن المولد والاحسان الى القاتل والابق
 وارن السبيل والرفق بالموت ونهون عن الغرور والارواق
 ولا استظهار على القاتل حتى اوغرت حتى ويا مرون نجما في
 الاخلاق وينهون من نفسا جفا وكفايا يورثه ويستورثه
 من هذا وعلم فانهم يبدمشون للكفارة والاسنة
 وطريقهم حتى ين الاسلام الذي يفتد به برعكامل الله
 عليه

عليه وسلم كمن لا خير يرسل الله عليه سلم ان قد تكلمت
 سقته وما على ثلوت كسبتين فترت كلها وانما الواصل
 وهي لها بعد وترت حثرت فترت منهم من كان على مثل
 ما اتا عليه اليوم وايضا في صارا المتسكون بالاسلام
 الجبض فخالص من الشوب هم هل السنة بلحاظ
 وبهم الصديقون والشهد والصالحون وبهم اعلام
 الهدى ومصايح الدين والوفاق للافوق والفضا
 المذكور وبهم الامم وبهم الائمة الذين اجمع المسلمون
 على هذا بهم ودرابهم وهم اعطافه المصون الكرم وال
 فبهم النبي وصلى الله عليه وسلم لا يزال طاب ثمة من منى كاهرون
 على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خلفهم حتى يسن
 الساعة فتنال الله اعظيم في عطفنا منهم وان لا نرى
 قولنا بعد هذا فاو بهب تام من لدرت رجة انه من
 اوهاب
 وتقره صرحت القائلين
 وصل الله على سيدنا
 محمد وعلى آله
 وسلم
 هذه عقيدتنا كما تراءت في الشرف
 الامم في الامم
 حتى الامم
 التي تاملها
 رطلها

الورقة الأخيرة من نسخة (ب)

ترجمة الشيخ عبد الرحمن البراك

اسمه ونسبه:

عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، ينحدر نسبه من بطن العريانات من قبيلة سبيع.

ميلاده ونشأته:

وُلد الشيخ في بلدة البكيرية من منطقة القصيم، في شهر ذي القعدة سنة (١٣٥٢هـ).

وتوفي والده وعمره سنة، فنشأ في طفولته في بيت أخواله مع أمّه، فتربّى خير تربية.

ولمّا بلغ الخامسة من عمره سافر مع أمّه إلى مكة، وكان في كفالة زوج أمّه محمد بن حمود البراك.

وفي مكة التحق الشيخ بالمدرسة الرحمانية، وهو في السنة الثانية الابتدائية قدّر الله أن يصاب بمرض في عينيه تسبّب في ذهاب بصره، وهو في العاشرة من عمره.

طلبه للعلم ومشايخه:

عاد من مكّة إلى البكيرية مع أسرته، فحفظ القرآن وعمره عشر سنين تقريباً على عمّه عبد الله بن منصور البراك، ثم قرأ على مقرئ البلد عبد الرحمن بن سالم الكريديس رحمهم الله.

وفي عام (١٣٦٥هـ) تقريباً بدأ الشيخ في حضور الدروس، والقراءة على العلماء، فقرأ على الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السبيل جملة من

كتاب «التوحيد»، و«الآجرومية»، وقرأ على الشيخ محمد بن مقبل «الثلاثة الأصول».

ثم سافر إلى مكة مرة أخرى في عام (١٣٦٦هـ) تقريباً، ومكث بها ثلاث سنين، فقرأ في مكة على الشيخ عبد الله بن محمد الخليلي إمام المسجد الحرام في «الآجرومية»، وهناك التقى بعالم فاضل من كبار تلاميذ العلامة محمد بن إبراهيم رحمته الله، وهو الشيخ صالح بن حسين العلي العراقي رحمته الله، وكان من أصدقاء الإمام عبد العزيز بن باز رحمته الله، فجالسه واستفاد منه، ولما عُيِّن الشيخ صالح العلي العراقي مديراً للمدرسة العزيزة في بلدة الدلم رغب أن يرافقه الشيخ عبد الرحمن البراك حفاوة به، فصحبه لطلب العلم على الشيخ ابن باز حين كان قاضياً في بلدة الدلم، فرحل معه في ربيع الأول من عام (١٣٦٩هـ)، والتحق بالمدرسة العزيزة بالصف الرابع، وكان من أهم ما استفاده في تلك السنة الإلمام بقواعد التجويد الأساسية.

وفي نفس السنة سافر مع جمع من الطلاب مع الشيخ ابن باز إلى الحج، وبعد عودته ترك الدراسة في المدرسة العزيزة، وآثر حفظ المتون مع طلاب الشيخ عبد العزيز بن باز، ولازم دروس الشيخ ابن باز المتنوعة، فقد كان يُقرأ عليه في «كتاب التوحيد»، و«الأصول الثلاثة»، و«عمدة الأحكام»، و«بلوغ المرام»، و«مسند أحمد»، و«تفسير ابن كثير»، و«الرحبية»، و«الآجرومية».

ومكث في الدلم في رعاية الشيخ صالح العراقي، فقد كان مقيماً في بيته، ودرس عليه علم العروض.

وحفظ في بلدة الدلم «كتاب التوحيد»، و«الأصول الثلاثة»، و«الآجرومية»، و«قطر الندى»، و«نظم الرحبية»، وقدراً من «ألفية ابن مالك» في النحو، ومن «ألفية العراقي» في علوم الحديث، وبقي في الدلم إلى أواخر سنة (١٣٧٠هـ)، وكانت مدة إقامته لها أثر كبير في حياته العلمية.

ثم التحق الشيخ بالمعهد العلمي في الرياض حين افتتاحه في محرم (١٣٧١هـ)، ثم تخرّج فيه عام (١٣٧٤هـ)، والتحق بكلية الشريعة، وتخرّج فيها سنة (١٣٧٨هـ).

وتتلمذ في المعهد، والكلية على مشايخ كثيرين، من أبرزهم:

العلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة محمد الأمين الشنقيطي، ودرسهم في المعهد في التفسير، وأصول الفقه، والعلامة عبد الرزاق عفيفي، ودرسهم في التوحيد، والنحو، وأصول الفقه، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد وغيرهم رحمهم الله جميعاً.

وكان في تلك المدة يحضر بعض دروس العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ في المسجد.

وأكبر مشايخه عنده، وأعظمهم أثراً في نفسه الإمام العلامة عبد العزيز بن باز رحمته الله، الذي أفاد منه أكثر من خمسين عاماً، بدءاً من عام (١٣٦٩هـ) حين كان الإمام ابن باز في بلدة الدلم إلى وفاته في عام (١٤٢٠هـ)، ثم شيخه العراقي الذي استفاد منه حبّ الدليل، ونبذ التقليد، والتدقيق في علوم اللغة، كالتحوي، والصرف، والعروض.

الأعمال التي تولّاها:

عمل الشيخ مدرّساً في المعهد العلمي في مدينة الرياض ثلاثة أعوام، من سنة (١٣٧٩هـ)، ثم انتقل بعدها إلى تدريس العلوم الشرعية في كلية الشريعة بالرياض، ولما افتتحت كلية أصول الدين عام (١٣٩٦هـ)، نقل إليها في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وعمل مدرّساً فيهما إلى أن تقاعد عام (١٤٢٠هـ)، وأشرف خلالها على العشرات من الرسائل العلمية.

وبعد التقاعد رغبت الكلية التعاقد معه، فعمل مدة ثم تركه، كما طلب منه سماحة الشيخ ابن باز رحمته الله؛ أن يتولّى العمل في الإفتاء مراراً

فتمنّع، ورضي منه شيخه أن ينيبه على الإفتاء في دار الإفتاء في الرياض في فصل الصيف حين ينتقل المفتون إلى مدينة الطائف، فأجاب الشيخ حياءً؛ إذ تولّى العمل مرتين ثم تركه.

وبعد وفاة الشيخ ابن باز رحمته الله، طلب منه سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ أن يكون عضو إفتاء، وألح عليه في ذلك فامتنع، وآثر الانقطاع للتدريس في المساجد.

جهوده في نشر العلم:

جلس الشيخ للتعليم في مسجده الذي يتولى إمامته - مسجد الخليفي بحَيِّ الفاروق -، ومعظم دروسه فيه، وكذلك التدريس في بيته مع بعض خاصّة طلابه، وله دروس في مساجد أخرى، وله مشاركات متعددة في الدورات العلمية المكثفة التي تُقام في الصيف، إضافة لإلقاءه كثيراً من المحاضرات، كما تعرض على الشيخ بعض الأسئلة من عدد من أشهر المواقع الإسلامية في الشبكة العنكبوتية.

طلّابه:

طلاب الشيخ كثيرون يتعدّد على العادّ حصرهم، وكثير من أساتذة الجامعات، والدُّعاة المعروفين، قد تتلمذوا عليه، وغيرهم من طلاب العلم.

وبعد توفّر الوسائل الحديثة يسّر الله لكثير من طلاب العلم في خارج البلاد متابعة دروس الشيخ عبر الشبكة على الهواء مباشرة عن طريق موقع البثّ الإسلامي www.liveislam.net.

احتسابه:

للشيخ جهود كبيرة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومناصحة المسؤولين، والكتابة لهم، وتحذير الناس من البدع، وسائر الانحرافات، والمخالفات... وله في ذلك فتاوى كثيرة، وله مشاركة مع

بعض المشايخ في عدد من البيانات والنصائح الموجهة لعموم المسلمين.

اهتمامه بأمر المسلمين:

للشيخ - حفظه الله - اهتمام بالغ بأمر المسلمين في جميع أنحاء العالم، فهو كثير الحزن والتألم لما يحدث لهم في كثير من البلاد، وهو متابع لأخبارهم، وفي أوقات الأزمات يبادر بالدعاء لهم، والدعاء على أعدائهم، ويبدل النصيح والتوجيه لهم، وللمسلمين فيما يجب نحوهم.

إنتاجه العلمي:

انصرف الشيخ عن التأليف - مع توفر آتته - وبذل معظم وقته لتعليم العلم، والإجابة على الأسئلة، وقد قرئت عليه عشرات الكتب في مختلف الفنون، وقد سجّل بعضها، وما لم يسجّل أكثر.

وقد صدر للشيخ من المطبوعات «شرح الرسالة التدمرية»، و«جواب في الإيمان ونواقضه»، و«موقف المسلم من الخلاف»، و«التعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري» طُبع مع فتح الباري في دار طيبة، و«شرح العقيدة الطحاوية»، و«توضيح المقصود في شرح حائية ابن أبي داود»، و«الفوائد المستنبطة من الأربعين النووية».

وفي حياة الشيخ جوانب كثيرة مشرقة أعلم أنه يكره ذكرها، أسأل الله أن يبارك في عمره، ويمدّ فيه على الطاعة، وينفع المسلمين بعلمه.



مجلد اعتقاد أهل السنة والجماعة

[١/٢٤] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه (٢) وسلم تسليماً مزيداً.

اعتقاد (٣) الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة - : الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

الشرح

«الحمد لله» هذه افتتاحية العقيدة الواسطية من تأليف الإمام الكبير الشهير بعلمه، وجهاده، وإحيائه للسنن، ومحاربتة للبدع: الإمام المعروف أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني رحمته الله (٤).

(١) في (ظ): صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً.

(٢) في (ب) و(م): وعلى آله، وفي (م): وأصحابه.

(٣) في (م): فهذا اعتقاد.

(٤) أفرد جمع من العلماء كتباً في ترجمة شيخ الإسلام، منهم: ابن عبد الهادي، والبزار، ومرعي الكرمي، وغيرهم.

وأما ترجمته ضمن كتب التراجم، فقد ترجم له أمم من العلماء قد جمعها =

وهذا الكتاب الموسوم بالعقيدة الواسطية نسبة إلى من طلب من الشيخ كتابتها، وهو رجل من أهل العلم^(١) في نواحي واسط، بلدٌ معروف في العراق^(٢)، فعُرفت بالعقيدة الواسطية.

ولا مشاحة في التسمية، فالمقصود التمييز؛ كما أن لشيخ الإسلام مؤلفات كثيرة في مسائل الاعتقاد، بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن معظم مؤلفات شيخ الإسلام في مسائل الاعتقاد.

فقد أُلّف في مسائل الاعتقاد مؤلّفات مطوّلة ومختصرة، ومعظمها أُلّفها إجابة للسائلين، فهو لا يكاد يبتدئ التأليف ابتداءً، بل جُلّ مؤلفاته إجابة لمسائل، وردود على المخالفين، ومن أمتع وأفضل ما أُلّف في الاعتقاد هذه العقيدة: «العقيدة الواسطية» التي ذكر أنها كتبها، وهو قاعد بعد العصر في مجلس واحد^(٣).

وقد نُوظر في شأنها وجُودل؛ لأنه قرّر فيها اعتقاد أهل السنّة والجماعة من السلف الصالح، من الصحابة، والتابعين وأئمّة الدين، ومن سلك سبيلهم.

وهذا يخالف ما عليه جمهور الناس، فقد دخلت عليهم المذاهب المبتدعة؛ فلذلك يُنكرون ويستنكرون ما يخالف ما هم عليه.

وقد أبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المناظرة التي كتبها^(٤)؛ أنه إنما يقرّر في هذا الاعتقاد ما دلّ عليه الكتاب والسنّة، وما درج عليه أهل القرون المفضّلة من الصحابة والتابعين، وأنه في هذه العقيدة يتحرّى الألفاظ الشرعية.

= الشيخان محمد عزيز شمس، وعلي العمران في كتاب: «الجامع في سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية».

(١) هو: القاضي رضي الدين الواسطي الشافعي، قال عنه شيخ الإسلام: كان من أهل الخير والدين. مجموع الفتاوى ٣/١٦٤.

(٢) معجم البلدان ٥/٣٤٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/١٦٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٣/١٦٠.

وهذه العقيدة متميزة على سائر ما ألفه ﷺ، فكثير من مؤلفاته في مسائل الاعتقاد مشتمل على ذكر شبهات المفترين، ومناقشتها مناقشة عقلية وشرعية، كما هو ظاهر في «الرسالة التدمرية».

أما العقيدة الواسطية، فإنها خالصة؛ فيها تقرير لمعتقد أهل السنة والجماعة وبيان أصولهم، مع التدليل على ذلك من القرآن والسنة، من غير تعرض لشبهات المخالفين؛ فلذلك كانت هذه العقيدة جديرة بالحفظ.

وقد عرض فيها ﷺ لأكثر المسائل التي وقع فيها الافتراق، والتي خالف فيها أهل السنة سائر فرق الأمة.

يقول ﷺ في خطبة هذه العقيدة:

«الحمد لله الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا»، هذا الثناء مقتبس من القرآن كما في سورة الفتح: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [٢٨]. [الفتح].

والهدى هو: العلم النافع، ودين الحق هو: العمل الصالح، وهذا جماع رسالة محمد ﷺ.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: كفى به مطلعاً على عبادته، وأحوالهم الظاهرة والباطنة.

وفي هذا إشارة إلى دليل من أدلة صدق الرسول ﷺ، فإن الإيمان باطلاعته تعالى على أحوال الخلق يستلزم الإيمان بصدق محمد ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٥٣]. [فصلت].

فكفى دليلاً على صدق الرسول ﷺ، وصدق ما جاء به من القرآن والحكمة؛ أنه تعالى على كل شيء شهيد: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

«وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً». هذه كلمة التوحيد المركبة من نفي وإثبات؛ مِنْ نفي إلهية ما سوى الله، وإثبات الإلهية له تعالى وحده. «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده» ف«وحده» هذه حال مؤكدة لمدلول الإثبات «إلا الله».

«لا شريك له» هذه أيضاً جملة مؤكدة لمدلول النفي «لا إله». «لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً» وهذا تأكيد بعد تأكيد: إقراراً به وتوحيداً له ﷺ في إلهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

«وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»: وهكذا يجب أن يشهد الإنسان للنبي ﷺ بأنه عبد الله ورسوله، يجب أن يجمع في الشهادة للرسول ﷺ؛ بأنه عبدٌ عابدٌ لله مريبوب مدبّر، وليس بإله، وليس له شيء من خصائص الإلهية، بل رسول من عند الله: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وهذا هو الصراط المستقيم فيما يجب اعتقاده في الرسول ﷺ، فإن الناس فيه ﷺ طرفان ووسط؛ فمن الناس من فرط في حقه، فكذبه، أو قصر في اتباعه.

ومنهم من غلا فيه، ورفع فوق منزلته التي أنزله الله فيها، وهذا ما حذر منه ﷺ في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(١).

يعني: لا تبالغوا في مدحي ولا تغلوا فيّ. «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ»، كما في التشهد^(٢) - «صلى الله عليه»، وهذه صفة صلاتنا عليه: أن نسأل الله أن يصلي عليه، كما قال ﷺ لما قال له الصحابة: كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: «اللهم

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٨٣١)؛ ومسلم (٤٠٢) عن ابن مسعود ﷺ.

صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ الْحَدِيثَ (١).

فصلاتنا على الرسول ﷺ، هي: دعاؤنا، وسؤالنا الله بأن يصلي عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

وأحسن ما قيل في هذا المقام: إن الصلاة من الله ثناؤه على عبده عند الملائكة (٢).

ولنبينا ﷺ من ثناء الله أكمل ثناء أثنى الله به على عبد من عباده؛ لأنه ﷺ هو سيد ولد آدم، فحظّه من صلاة الله، ومن ثنائه؛ أوفر حظّ ونصيب.

«وعلى آله وأصحابه» الآل هنا هم أتباعه ﷺ، وعطفُ الصحابة على الآل في هذا المقام من عطف الخاص على العام، وقد درج أهل السنة على ذكر الصحابة في الصلاة على الرسول ﷺ خارج الصلاة، أما في الصلاة فيتقيّد بنص ما ورد.

وهذا كله دعاء له ﷺ بأن يصلي الله عليه، وأن يسلم عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وصالتنا، وسلامنا عليه بأن نسأل الله أن يصلي، ويسلم عليه، ومن صفة السلام ما جاء في التشهد: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» (٣).

هذه الخطبة اشتملت على حمد الله، فله الحمد كله، وله المدح والثناء كله؛ لأنه الموصوف بجميع المحامد، الموصوف بكل كمال، فلا

(١) رواه البخاري (٤٧٩٧)؛ ومسلم (٤٠٦) عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري عن أبي العالية تعليقاً مجزوماً به في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب]، ووصله إسماعيل بن إسحاق المالكي في «فضل الصلاة على النبي»، ص ٨٠، رقم (٩٥). وانظر: «جلاء الأفهام» لابن القيم، ص ١٦٦.

(٣) تقدم تخريجه، ص ٢٦، هامش رقم (٢).

يستحق الحمد كله والثناء كله إلا المستحق لكل كمال، الموصوف بجميع نعوت الجلال، وليس ذلك إلا الله وحده، فهو الذي له الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله ﷺ.

يقول الشيخ رحمه الله: «صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم»؛ يعني: وسلم الله عليه.

«تسليماً» هذا مصدر مؤكد.

«مزيداً» موصولاً بالزيادة مستمراً دائماً.

«أما بعد» هذه جملة يؤتى بها للانتقال من المقدمة إلى المقصود، وكان من هديه ﷺ؛ أنه يقول في خطبه: أما بعد^(١)، ومعناها عند أهل اللغة^(٢): مهما يكن في شيء بعد، فهو: كذا وكذا.

«فهذا اعتقاد» إشارة إلى ما هو حاضر مما سيذكره الشيخ في هذه العقيدة، وبهذا يتبين أن الشيخ قصد في هذا التأليف إلى بيان اعتقاد الفرقة الناجية في ربهم، واعتقادهم فيما أمر الله بالإيمان به.

«الفرقة الناجية المنصورة» وصفها بالصفيتين: الناجية والمنصورة أخذاً من الحديث المشهور المروي في المسانيد والسنن، عن النبي ﷺ: «إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم، وأصحابي»^(٣)، وفي لفظ: «وهي الجماعة»^(٤)، هذه هي الفرقة الناجية.

(١) انظر: صحيح البخاري، باب: من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، الأحاديث (٩٢٢ - ٩٢٧).

(٢) لسان العرب ٤٨/١٤، والجنى الداني ص ٥٢٢، وأوضح المسالك ٤/٢١١.

(٣) رواه الترمذي (٢٦٤١) - وقال: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه - والحاكم ١/١٢٨ من حديث عبد الله بن عمرو ؓ. ورواه الطبراني في الأوسط ٨/٢٢ من حديث أنس ؓ، وقال: لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إلا عبد الله بن سفيان المدني، وياسين الزيات.

(٤) رواه أحمد ٤/١٠٢، وأبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية ؓ؛ وأحمد =

فالفرقة المستقيمة على ما كان عليه الرسول ﷺ تُوصف بأنها الناجية أخذاً من هذا الحديث؛ لقوله ﷺ: «كلها في النار إلا واحدة».

وهي المنصورة؛ لقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»^(١)، فهي موصوفة بالنجاة، وبالنصر.

والفرقة الناجية المنصورة هم أهل السنة والجماعة الذين التزموا طريقة الرسول ﷺ، وما عليه جماعة المسلمين، واعتصموا بحبل الله جميعاً، وجانبوا الفرقة وأسبابها.

والفرقة، والطائفة معناهما متقارب.

ثم بين الشيخ هذا الاعتقاد إجمالاً بقوله:

«وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره».

هذه هي أصول الإيمان التي فسّر بها النبي ﷺ الإيمان في حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ، فقال: «أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(٢). هذه أصول الإيمان الستة، فجميع مسائل الاعتقاد راجعة إلى هذه الأصول.

= ٣/١٤٥، وابن ماجه (٣٩٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وابن ماجه (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه. وصححه شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» ٣/٣٤٥ - ٣٥٩، وعلق عليه بتعليق طويل، وذكره الكتاني في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ص ٥٧، رقم (١٨).

(١) رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم في كتاب الإمارة (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه، وقد رواه عن النبي ﷺ جمع من الصحابة. انظر: «قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة»، رقم (٨١) ص ٢١٦، و«نظم المتناثر» رقم (١٤٥) ص ١٥١.

(٢) رواه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

إذاً؛ هذه هو اعتقاد الفرقة الناجية بهذه الأصول على سبيل الإجمال، والإيمان بها فرض عين على كل مكلف.

الأصل الأول: الإيمان بالله: ويشمل ثلاثة أمور:

الإيمان به رباً؛ يعني: مالكاً مدبراً منعماً مفضلاً خالقاً رازقاً.

والإيمان به إلهاً معبوداً لا يستحق العبادة غيره.

والإيمان به مستحقاً لجميع صفات الكمال، ونعوت الجلال.

فالإيمان بالله يشمل الإيمان بربوبيته، وإلهيته، وأسمائه وصفاته

على سبيل الإجمال.

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة، كما أخبر الله عنهم في كتابه؛ أنهم

مخلوقون موجودون، عباد مكرمون، خيار اختارهم الله، واصطفاهم،

وفضلهم، وجعلهم عباداً طائعين خاضعين: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ

بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشِيَتِهِ مُشْفِقُونَ

﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء]، وفي هذا ردّ على من زعم أن الملائكة بنات الله، فجعلوهم

ولداً لله، وقال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت]، وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ

رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف].

والآيات في ذكر الملائكة وصفاتهم وعبادتهم لربهم ودوام

خضوعهم وتسليمهم كثيرة، فهم عباد، ليسوا آلهة ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي

إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِك نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء]،

وحاشا أن يقول أحد منهم ذلك، فهم معصومون.

والأصل الثالث: الإيمان بالكتب، ويتضمن الإيمان بكل ما أنزله الله

من كتبه على من شاء من رسله، ما علمنا منها، وما لم نعلم، فيجب أن

نؤمن بأن الله أنزل كتباً على من شاء من رسله، منها: التوراة،

والإنجيل، والزبور، والقرآن، وهو أعظم كتب الله.

والأصل الرابع: الإيمان بالرسول، فيجب الإيمان برسول الله إجمالاً، وأن الله أرسل إلى عباده رسلاً يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويحذرون من عبادة ما سواه، يدعون إلى كل خير، ويحذرون من كل شر.

وقد سمي الله من شاء منهم في كتابه، وذكر أنه قصّ منهم ما قصّ، وطوى علم آخرين: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء].

والأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر، ويعبر عنه بالبعث؛ لأن البعث بعد الموت، هو الذي يكون به الانتقال من دار البرزخ إلى الدار الآخرة، فهذا أصل من أصول الإيمان يجب الإيمان به.

وهذه الأصول ذكرها الله تعالى في كتابه مفرقة ومجمعة، قال ﷺ: ﴿لَيْسَ الْإِيمَانُ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وذكر أربعة في قوله ﷺ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة].

والإيمان بالقدر يندرج في الإيمان بالله، وله أدلة مفصلة في القرآن، ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر]. ومنها: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج].

ومنها: قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد].

ويأتي الكلام على بعض هذه الأصول مفصلاً فيما ذكره الشيخ في هذه الرسالة.



مجلد اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه ﷺ، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه.

الشرح

بعدما ذكر اعتقاد أهل السنة والجماعة إجمالاً، شرع في ذكر اعتقادهم تفصيلاً، فقال: «ومن الإيمان بالله»؛ أي: مما يدخل في الإيمان بالله: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به الرسول ﷺ فيما صحَّ من سنته، والإيمان بذلك يكون بإثبات ما أثبتته الله لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ، وبنفي ما نفاه الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ.

فالإيمان بهذا يكون بإثبات ونفي.

يقول الشيخ: «من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا

تمثيل».

يؤمنون بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، من غير تحريف؛ يعني: من غير تحريف للنصوص عن وجهها، ومن غير تحريف للكلم عن مواضعه، وهو ما ذمّ الله به أعداءه اليهود ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

والتحريف معناه العام: التغيير، وهو يشمل التغيير اللفظي، والتغيير المعنوي، فالتحريف اللفظي يكون بالزيادة على النص، أو النقص منه، أو تغيير الشكل.

فلا يجوز تحريف النصوص، ولا سيما آيات القرآن، فإنه يجب الالتزام بلفظها، فلا يغيّر لفظها زيادة ولا نقصاً، ولا شكلاً.

وكذلك سنة الرسول ﷺ لا يجوز تغيير لفظها بما يستلزم تغيير معناها، فإن ذلك من تحريف الكلم عن مواضعه، بل يجب إجراء النصوص على ظاهرها.

«ولا تعطيل» التعطيل مأخوذ من العطل بمعنى: الخلو؛ فمعناه: إخلاء الرب عما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول الله ﷺ. وتعطيل أسماء الرب وصفاته، وتعطيل الرب عن صفات كماله؛ إنما يكون بجحدها ونفيها.

فالمعطلة ينفون ما وصف الله به نفسه، وما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ، فيعطلون الرب عن كماله المقدّس، فينفون استواءه على عرشه، وينفون حقيقة اليمين، كما سيأتي مفصلاً^(١).

«ومن غير تكيف» من غير بحث عن كيفية صفات الرب، ولا تعرض لتحديد كنه صفاته، فأهل السنة والجماعة يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله، من غير تحريف لنصوص الكتاب والسنة، ولا تعطيل للنصوص عما دلّت عليه، ولا تعطيل للرب عما

يجب إثباته له، ولا تكيف لصفاته، ولا تمثيل لصفاته بصفات خلقه. إذا؛ اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات قائم على الإثبات والنفي؛ إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً - له تعالى عن كل نقص وعيب - بلا تعطيل، خلافاً لأهل الضلال، الذين غلوا في الإثبات حتى شبهوا صفاته بصفات خلقه، فيقول قائلهم: له سمع كسمعي، وبصر كبصري، ويد كيدي، وخلافاً لمن غلا في التنزيه، حتى سلب الله صفات كماله، زعماً منه أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه.

فلهذا كان مذهب أهل السنة والجماعة بريئاً من التشبيه، وبريئاً من التعطيل، فلا ينفون ما وصف الله به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته.

فإن الله ذمّ الملحدين في أسمائه؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠].

والإلحاد في أسماء الله يكون بنفيها، أو بنفي معانيها، أو بتسمية الله بغير ما سمى به نفسه، أو بتسمية بعض المخلوقين بما هو من خصائصه ﷻ.

يقول الشيخ رحمه الله: «ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه».

كل هذا تأكيد لما سبق، وأن مذهب أهل السنة والجماعة بريء من هذه الأباطيل: بريء من التعطيل، ومن الإلحاد، ومن التكيف، ومن التحريف، ومن التمثيل.

ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، فإنه ﷻ لا سمى له، ولا ندد له، ولا كفو له، وهذا كله منفي في كتابه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة: ٢٢]، والسميِّ، والكفو، والندِّ؛ ألفاظ متقاربة، كلها تفسر: بالمثل والنظير، فهو ﷺ لا مثل ولا نظير له من خلقه، ولا سميِّ، ولا كفو، ولا ندِّ، ولا يقاس بخلقه ﷺ.

وهو: «أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه».

هو أعلم بنفسه، كما قال المسيح ﷺ: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فهو أعلم بنفسه.

فالعباد لا سبيل لهم إلى معرفة أسمائه وصفاته إلا ببيانه وتعريفه وتعليمه سبحانه، فهو أعلم بنفسه وبغيره؛ لأن علمه محيط بكل شيء، وهو تعالى أصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

فإذا كان تعالى هو أعلم بنفسه، وهو أصدق الصادقين؛ فكيف يُكذِّب ما أخبر به في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ؟

كيف لا يُثبِت ما أثبتته لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ؟

فالمعطلة قد كذبوا بما أخبر الله به ورسوله ﷺ من أسمائه تعالى وصفاته، وكانهم ادَّعوا لأنفسهم أنهم أعلم بالله من الله، وأعلم بالله من رسول الله ﷺ، وهذا من أبطل الباطل، وأسفه السَّفه، وأعظم الجهل، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].



بعث الله رسله في صفاته بالنفي والإثبات

ثم رسله صادقون مُصَدِّقُونَ^(١)، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون؛ ولهذا قال ﷺ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨١﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [الصفات]، فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول، وسلّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنّة والجماعة عما جاءت به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص [٢/٢٤] التي تعدل ثلث القرآن، حيث يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص].

وما وصف به نفسه في أعظم آية من كتابه، حيث يقول: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]، ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

(١) في (ب): مَصْدُوقُونَ.

الشَّرْح

بعدهما ذكر الشيخ رحمته الله ما يجب في صفاته تعالى، وأن الواجب أن يوصف الله بما وصفه به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن هذا من الإيمان بالله، وأن هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات يعتمدون في ذلك على كتاب الله إيماناً بالله، وكتابه، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا قال الأئمة في بعض الصفات: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب»^(١).

فالإيمان به هو حقيقة تصديق الله، وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو مقتضى الإيمان بالله، ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه.

يقول الشيخ بعدهما ذكر هذا: «ثم رسله صادقون مُصَدِّقُونَ»، وفي بعض النسخ: «مَصْدُوقُونَ».

الرسول كلهم من أولهم إلى آخرهم جاءوا في باب الأسماء والصفات - وغيره - بالحق المبين، فقولهم هو الحق، وما جاءوا به هو الحق الذي يجب الإيمان به، والالتزام به.

والرسول عليهم الصلاة والسلام هم أصدق الناس، وقد عصمهم الله من الكذب؛ لأنه اصطفاهم لتبليغ رسالاته، ولا يصطفي صلى الله عليه وسلم لتبليغ رسالاته وتبليغ شرائعه إلا الصادقين.

«ثم رسله صادقون مُصَدِّقُونَ»:

(١) رُوي هذا الأثر عن أم سلمة رضي الله عنها، ولا يصح عنها. وثبت عن الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن، والإمام مالك رحمهم الله.

انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ٣/ ٤٤٠ - ٤٤٢، و«عقيدة السلف أصحاب الحديث» ص ٣٧، و«ذم التأويل» للإمام ابن قدامة ص ٢٥، و«شرح حديث النزول» ص ١٣٢، و«الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمته الله في صفة الاستواء» للشيخ عبد الرزاق العباد ص ٨٤ و ١٢٣.

وهم مُصَدِّقُونَ، فالله تعالى يصدقهم، ويقيم الأدلة والخوارق الدالة على صدقهم، وشهد بصدقهم في كلامه: ﴿يَسَّ ۝١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ [يسر]، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

وهم مُصَدِّقُونَ عند الموفقين؛ بل إن أعداء الله الكفرة هم مُصَدِّقُونَ للرسول في الباطن؛ كما قال ﷺ: ﴿قَدْ نَعَلَمُ إِنَّهُ لِيَحْرُوكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام]، وكما قال عن فرعون وقومه: ﴿وَجحدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل]، فلا يكذب الرسول ظاهراً وباطناً، إلا من لا عقل له.

أما العقلاء، فإنهم - وإن جحدوا ظاهراً، عناداً، وحسدًا، وكبراً، وما إلى ذلك - مُصَدِّقُونَ لهم في الباطن، وإن كان هذا التصديق لا ينفعهم، فمن صدق الرسول في الباطن، وأظهر تكذيبهم؛ فهو الكفور، ولا ينفعه تصديقه في الباطن.

أما معنى «مُصَدِّقُونَ»: المصدق هو: المخبر بالصدق، والصادق: هو المخبر بالصدق.

فالرسول صادقون؛ لأنهم قد أخبروا بالصدق، وهم مُصَدِّقُونَ لأنهم مخبرون بالحق، فهم يتلقون علومهم، وما يبلغونه عن الله بواسطة وحيه، ورسوله من الملائكة: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [التكوير].

إذا؛ فما قالته الرسل في الله هو الحق نفيًا وإثباتًا. ولصدق الرسل، وأن ما قالوه في رب العالمين هو الحق، قال ﷺ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٦﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٧﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الصفات].

فسبح نفسه ﷺ عما يصفه به الجاهلون، والمفترون، والمشركون؛ الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

«سبحان» هذه الكلمة تدلّ على التنزيه، وعلى نفي المعائب والنقائص، قال تعالى: ﴿سُبْحٰنَهُۥٓ أَنْ يَكُوْنَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿سُبْحٰنَهُۥٓ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ﴾ [التوبة: ٣١].

«وسلم على المرسلين» سلام من الله على رسله ﴿وَسَلِّمْ عَلٰى الْمُرْسَلِيْنَ﴾ [الصفات]، وإنما سلم عليهم؛ لأنهم أولياؤه الصادقون فيما أخبروا به عنه، المحققون فيما يصفون به ربهم، ولهذا يقول الشيخ: «وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب»، ومن الشرك والإفك.

﴿وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾ [الصفات]، ثناء من الله على نفسه بإثبات الحمد كله له؛ لما له ﷺ من الأسماء الحسنی، والصفات العلاء، وبدیع المخلوقات.

فهذه الآيات فيها تنزيه، وتحميد، وتمجيد، وثناء على المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، فالرسل هم الأئمة، وهم القدوة، ولنا فيهم أسوة، وسبيلنا سبيلهم، ولا سيما نبينا خاتم النبيين ﷺ.

يقول الشيخ: «وقد جمع سبحانه وتعالى فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات».

وهذه قاعدة في باب الأسماء والصفات «الجمع بين النفي والإثبات»؛ معناها: أنه موصوف بإثبات الفضائل، والكمالات، وموصوف بنفي النقائص والآفات، والمدح لا يكون بالإثبات فقط، ولا بالنفي فقط، وإنما يكون بالنفي، والإثبات.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أن النفي والإثبات الذي جاء في النصوص القاعدة فيه، هي:

«الإجمال في النفي، والتفصيل في الإثبات»، فالإثبات يأتي مفضلاً في: تعداد الأسماء، وتعداد الصفات، وتعيينها.

أمّا النفي، فيكون عاماً مطلقاً، وهو ما يعبر عنه بالإجمال، هذا هو الغالب على طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

فالرسل جاءوا في صفات الله بإثبات مفصّل، وبنفي مُجمَل، ولكن قد يأتي الإثبات مجملاً، كما قد يأتي النفي مفصلاً، لكن القاعدة الغالبة هي: التفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي. وسيأتي لهذا المعنى مزيد إيضاح عندما نصل إلى شواهد النفي^(١)، فيحصل تطبيق هذه القاعدة وإيضاحها.

وهذا النفي الذي يوصف الله به، هو: النفي المتضمن لإثبات كمال، فكلُّ نفي ورد في صفاته سبحانه، فإنه متضمن لإثبات كمال ضده.

أما النفي المحض الذي لا يتضمن ثبوت كمال، فهذا لم يصف الله به نفسه؛ لأن النفي الذي لا يتضمن ثبوت كمال لا يكون مدحاً، ولا كمالاً.

وإذا كان هذا ما جاءت به الرسل، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عمّا جاء به المرسلون صلوات الله وسلامه عليهم، بل هم مقتفون لآثار الرسل؛ لا سيما خاتمهم الذي له على أمته من واجب الإيمان، والمحبة، والاتباع ما ليس لغيره ﷺ.

يقول الشيخ: «فلا عدول لأهل السنة عما جاءت به المرسلون».

أهل السنة الفرقة الناجية المنصورة، لا محيد لهم، ولا عدول لهم عن طريق المرسلين.

قال ﷺ: «لنبيّه بعدما ذكر الأنبياء والمرسلين إجمالاً وتفصيلاً، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فالصحابة والتابعون ماضون على سبيل الرسول ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وسبيل الرسول ﷺ هو سبيل المؤمنين ﴿وَمَنْ يُسَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وما جاء به المرسلون في صفاته تعالى وغيرها، هو الصراط المستقيم.

قال الشيخ: «فإنه الصراط المستقيم»، ما جاء به المرسلون هو الصراط المستقيم، والصراط هو: الطريق الذي يجمع معانٍ؛ فليس كل طريق صراطاً.

والصراط هو:

الطريق المستقيم الموصل إلى المقصود، القريب، الواسع، المسلك.

هذا معنى ما ذكره ابن القيم في بيان خصائص الصراط في كلامه على سورة الفاتحة في «مدارج السالكين»^(١).

وصراط الله مسلك؛ سالكوه هم: المُنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

وأهل السنّة داخلون في طريق المُنعم عليهم على حسب مراتبهم في العلم والدين والفضل.

والصراط المستقيم هو: دين الله الذي بعث به رسوله ﷺ في كل باب من أبواب العلم: في مسائل الاعتقاد؛ كالأسماء والصفات، واليوم الآخر، وسائر أصول الإيمان، والشرائع، والأوامر، والنواهي.

بعد هذا يقول الشيخ: «وقد دخل في هذه الجملة».

المشار إليه - القاعدة - قد دخل في هذه الجملة ما وصّف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تُعدّل ثلث القرآن، وهي قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

هذه سورة الإخلاص؛ لأنها متضمنة للتوحيد العلمي الخبري

المستلزم لتوحيد العبادة، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن»^(١).

تعدل ثلث القرآن من حيث الثواب، فتلاوتها مرة واحدة تعدل ثلث القرآن.

ولكن هذا لا يعني الاكتفاء بها عن تلاوة القرآن، فلا بدّ من تلاوة سائره، وتدبر سائر النصوص، لكن هذا دليل على فضل هذه السورة، وفضل تلاوتها، وذكر بعض أهل العلم^(٢) أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن ثلاثة أثلاث:

الأول: خبر عن الله؛ يعني: خبر عن أسمائه، وصفاته، وأفعاله.

والثاني: خبر وقصص، وهو: خبر عن الخلق: عن الرسل، وأمهم، وبدء الخلق، واليوم الآخر.

والثالث: الأوامر، والنواهي.

فالقرآن: توحيد، وقصص، وشرائع - أوامر، ونواهي -.

وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذه؛ خالصة للتوحيد ليس فيها إلا صفة الربّ تعالى، ولهذا كان أحد الصحابة أميراً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه، لأي شيء صنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبها»^(٣).

ونحوه في خبر ثان: «إِنْ حَبَّهَا أَدْخَلَ الْجَنَّةَ»^(٤).

(١) رواه البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ؛ وبمعناه عند مسلم

(٨١١ و ٨١٢) من حديث أبي الدرداء، وأبي هريرة ﷺ.

(٢) «المعلم» للمازري ٣٠٨/١، و«جواب أهل العلم والإيمان» ١٢٢/١٧ و ١٣٤، و«فتح الباري» ٦١/٩.

(٣) رواه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) من حديث عائشة ﷺ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم (٧٧٤م)، ومن طريقه موصولاً =

وهذه السورة فيها نفي وإثبات، فهي جارية على القاعدة.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، هذه ثلاث جُمَل كلها دالّة
على نفي.

ودلّت هذه السورة على اسمين من أسمائه الحسنی: «الأحد،
والصمد»، وهذان الاسمان لم يذكر في غير هذه السورة، فأما اسمه
«الأحد» فيدلّ على وحدانيته، وهو يتضمن نفي الشريك والشبيه، فلا
شريك له ولا شبيه. واسمه «الصمد»، فُسّر بأنه الذي لا يأكل ولا
يشرب، وهو تعالى لا يأكل ولا يشرب؛ لأن هذا هو موجب غناه، فهو
الغني ﷻ بذاته عن كل ما سواه، والآكل والشارب مفتقر إلى ما يأكل
وما يشرب، وهو سبحانه الذي ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، وهو
الذي يرزق ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات].

وقيل: معنى الصمد: الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، وهذا
من لوازم غناه وفقر العباد ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ﴾ [فاطر].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: «السيد الذي قد كُمل في
سؤدده، والشريف الذي قد كُمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في
عظمته، والحليم الذي قد كمل في حِلْمه، والغني الذي قد كمل في
غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في
علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع
الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له»^(١).

= الترمذي (٢٩٠١) - وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث
عبيد الله بن عمر عن ثابت البناني، ثم ساقه من طريق مبارك عن ثابت - وابن
خزيمة ٢٦٩/١، وابن حبان (٧٩٢ و٧٩٤)، والحاكم ٢٤٠/١ وصححه على
شرط مسلم، كلهم من حديث أنس رضي الله عنه. وانظر: «فتح الباري» ٢/٢٥٧.
(١) «تفسير الطبري» ٣٤٦/١٥. وانظر: «فتاوى ابن تيمية» ١٤٩/٨ - ١٥٠.

يعني: الصمد هو الكامل في جميع صفات الكمال، فهذان اسمان من أسمائه الحسنی؛ ذُكِرَا على وجه التعيين، وبالتفصيل والتنصيص عليهما، فهذا من الإثبات المفصل.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الإخلاص]، لم يلد رُدًّا وإبطال لما نسب إليه المفترون من اليهود، والنصارى، والمشركين، والفلاسفة، وغيرهم ممن نسب إليه الولد - تعالى الله عما يقولون -.

﴿وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الإخلاص]، لا أعلم أن أحداً من الطوائف المُقرِّرة بوجوده سبحانه قال: إنه وُلِدَ^(١)، لكن لما نفى الله الولد عنه؛ اقتضى ذلك - والله أعلم - نفي الولادة عن الله - أي: أن يكون له والد -، فإنه ﷻ ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الإخلاص]، فهو: الأول الذي ليس قبله شيء، فلا بداية لوجوده، والمولود مُحدث، وهو: جزء من والده، والله ﷻ صمد لا تَجَزُّأ في ذاته، ولم يكن له كفواً أحد، ليس له نظير، وهذا النفي يتضمن نفي الولد، والوالد.

ونفي الكفو يتضمن كمال أحديته، وصمديته.

ولما أثبت لنفسه أنه الأحد الصمد أكد ذلك بنفي الولد، والوالد،

والكفو، وهذا نفي متضمن لإثبات كماله تعالى.

يقول الشيخ: «ودخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في أعظم آية في كتابه، حيث يقول: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية، وهذه الآية هي أعظم آية في كتاب الله».

كما ثبت عن النبي ﷺ؛ أنه قال لأبي بن كعب ﷺ: «أي آية في كتاب الله أعظم؟ فقال: آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فقال: ليهنك العلم أبا المنذر»^(٢).

(١) انظر فائدة هذا النفي في: «مجموع الفتاوى» ٤٤٨/٢.

(٢) رواه مسلم (٨١٠).

وأشار الشيخ رحمته الله إلى ما ورد في فضلها، وأن من فضلها: أنه ما قرأها عبداً في ليلة إلا لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يُصبح، كما جاء هذا في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج، وعليّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال: فخلّيت عنه، فأصبحت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله! شكا حاجة شديدة، وعيالاً، فرحمته، فخلّيت سبيله. قال: «أما إنه قد كذبتك، وسيعود» - إلى أن جاء في الثالثة -، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخلّيت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخلّيت سبيله. قال: «ما هي؟» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما إنه قد صدقك، وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟» قال: لا، قال: «ذاك شيطان»^(١).

وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم صدقك ثبت هذا الفضل، فهذا القول لم يستفده أبو هريرة رضي الله عنه، ولم نستفده من خبر الشيطان، إنما من تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم.

(١) رواه البخاري (٢٣١١) معلقاً مجزوماً به، ووصله النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٥٩)، وابن خزيمة في صحيحه ٩١/٤. وانظر تخريجاً موسعاً للحديث في: كتاب «الذكر والدعاء...» للشيخ ياسر فتحي ٢٩٦/١.

والشيطان قد يعلم شيئاً من الفضائل، والعلوم الشرعية التي يمكن أن يخدع بها بعض الناس، فهنا تعلل بهذه المعرفة، واتخذ منها وسيلة للتخلص من قبضة أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة^(١)، وهذا من أصح ما ورد في فضلها، فإذا أوى الإنسان إلى فراشه، فإنه يشرع له أن يقرأها، فإنه لا يزال عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، وورد في سورة البقرة عموماً قول النبي ﷺ: «إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»^(٢).

ومن أسباب ذلك أنها مشتملة على هذه الآية العظيمة.

وهذه الآية اشتملت أيضاً على العديد من أسماء الرب وصفاته؛ ولهذا قال الشيخ: «وما وصف الله»؛ أي: وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في أعظم آية في كتابه ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فاشتملت على إثبات وحدانيته ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذه كلمة التوحيد؛ ففي هذا إثبات إلهيته، ونفي الإلهية عما سواه، وهذا تحقيق التوحيد ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ اسمان من أسمائه الحسنی، فهو الحي الذي لا يموت. قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] «الحي» الحياة الكاملة التي لا يعترها نقص، وكمال حياته يستلزم ثبوت جميع صفاته الذاتية له سبحانه، ومن أسمائه «القيوم»، وهو: القائم بنفسه الغني عما سواه، والقائم بغيره، فلا قيام لشيء من الموجودات إلا به، فهو الحي القيوم.

وختمت هذه الآية باسمين آخرين، وهما: «العَلِيُّ الْعَظِيمُ»، ففيها خمسة أسماء هذه الأربعة، والله، وهو الاسم الجامع لمعاني سائر الأسماء، وسائر الصفات.

(١) انظر: «لمحات الأنوار» ٢/٦٢٠ - ٦٦٥، و«تفسير ابن كثير» ١/٦٧٦ - ٦٨٢.

(٢) رواه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ هذا نفي، وقوله تعالى: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إثبات، فهذه الآية فيها إثبات مفصل، ونفي مفصل.

﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ﴾: لا تغلبة السنّة، وهي: النعاس، والوسن، ولا النوم؛ كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل؛ حجاب النور، أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ نفي يتضمن تأكيداً لكمال حياته؛ لأن النوم أخو الموت، والسنّة هي بدايات النوم. فالله تعالى: الحيّ الذي لا يموت، ولا ينام، ولا ينبغي له أن ينام.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، في هذا إثبات لكمال ملكه على كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ هذا نفي؛ أي: لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، وهذا يتضمن كمال ملكه، فلِكَمَالِ ملكه لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، بخلاف المخلوقين؛ كالمملوك، والكبراء الذين يشفع عندهم مقربوهم بغير إذنه، وينزلون على رغبتهم، وإن كانوا كارهين.

المقصود: أن هذه الآية اشتملت على العديد من أسماء الرب - كما تقدّم - والعديد من صفاته، وقد اشتملت على نفي: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾، وهذا لكمال عظمته لا يحيط العباد به علماً؛ كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه]. ومن النفي الذي اشتملت عليه هذه الآية: ﴿وَلَا يُؤْذَهُ حِفْظُهُمَا﴾.

(١) رواه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، جمهور أهل السنة على أن الكرسي: موضع قدمي الرب^(١).

وهو: مخلوق عظيم لا يقدر قدره إلا الله، والعرش أعظم منه، والكرسي قد وسع السموات والأرض، فهو أعظم من السموات والأرض.

﴿وَلَا يُوَدُّهُ﴾: لا يشقّ على الله تعالى، ولا يعجزه، ولا يكرهه، ولا يثقله حفظ هذه العوالم العلوية، والسفلية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر].

وهو ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ العليّ بكل معاني العلوّ: ذاتاً وقدرًا وقهرًا، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، والعوالم كلها في غاية الصغر والضآلة في جانب عظمته، ومما يدلّ على كمال عظمته ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

ثم مضى الشيخ بذكر الشواهد من القرآن على ما وصف الله به نفسه من النفي، والإثبات، وسنمضي معه مستعرضين لهذه الشواهد، ونقف معها حسب ما يقتضيه المقام، والله المستعان.



(١) انظر: «أصول السنة» لابن أبي زمنين ص ٩٦، و«الفتوى الحموية» ص ٣٥١، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العزّ ٣٦٩/٢ - ٣٧١، وص ١٤٢ من هذا الكتاب.

جملة من آيات الصفات

إثبات العلم لله تعالى

وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]،
 وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾
 [الحديد]، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَنِيدُ﴾ [الأنعام: ١٨] ^(١)، ﴿يَعْلَمُ مَا
 يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبا: ٢]،
 ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ
 مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي
 كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر:
 ١١]، وقوله: ﴿لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

الشرح

ومن النصوص القرآنية المشتملة على أسماء الرب، وصفاته التي
 فيها النفي والإثبات - مما يدخل في الجملة المتقدمة «ما وصف الله به
 نفسه» - هذه الآيات التي منها:

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].
 ﴿وَتَوَكَّلْ﴾: اعتمد، وفوض أمرك إلى الحي الذي لا يموت، فمن

(١) من (م)، وهي التي شرحها الشيخ، وفي (ظ) و(ب): ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
 [التحریم: ٢].

توَكَّلَ عَلَيْهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]،
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

والشاهد: الحيّ، فالحيّ: اسم من أسمائه، والحياء صفة من صفاته.

وقوله: ﴿لَا يَمُوتُ﴾ نفي مؤكّد لكمال حياته، فحياته سبحانه حياة لا يطرأ عليها الموت.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

هذه الآية فيها إثبات أربعة أسماء من أسمائه الحسنی: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن.

وأحسن ما قيل في تفسير هذه الأسماء: ما جاء في دعاء النبي ﷺ، الذي كان يقوله إذا أوى إلى فراشه: «اللّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»^(١).

فهذا أحسن ما قيل في تفسير هذه الأسماء، «الأول»: هذا اسم من أسمائه، والأول: المتقدم على كل شيء، فكل ما سوى الله فإنه محدث بعد أن لم يكن.

والله تعالى هو: الأول الذي ليس قبله شيء؛ لأنه لا بداية لوجوده ﷻ، فهو قديم، ولفظ القديم لم يرد في النصوص، فلا يُعدّ من أسمائه تعالى، فلا يقال: من أسماء الله القديم، لكن معناه صحيح،

(١) رواه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فيصح الإخبار عن الله، فيقال: الله قديم متقدم في وجوده على كل شيء، لا بداية لوجوده، فهذا المعنى حق ثابت للرب سبحانه، لكن يُغني عنه اسمه الأول، فالأول من أسماء الله الحسنى.

واسمه سبحانه: «الأخر» يتضمن دوامه ﷺ، وبقائه الذي لا نهاية له، فكل مخلوق يفنى، والله تعالى لا يفنى؛ كما قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ فِي عَقِيدَتِهِ: «قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد»^(١) ﷺ.

وما كتب الله له البقاء مثل الجنة والنار، فدوامهما، وبقاؤهما ليس ذاتياً لهما، بل بقاؤهما بإبقاء الله لهما. أما بقاء الرب، فهو ذاتي لا يجوز عليه الفناء ألبتة.

فهذان اسمان دالان على أزليته وأبديته؛ يعني: على دوام وجوده في الماضي، والمستقبل.

واسمه سبحانه: «الظاهر»؛ يعني: العالي، والظهور من معانيه العلو، فهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، بل هو فوق كل شيء ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام].

وهو: «الباطن» الذي ليس دونه شيء، فبصره نافذ لجميع المخلوقات، وسمعه واسع لجميع الأصوات، وعلمه محيط بكل شيء لا يحجب سمعه شيء، ولا يحجب بصره حجاب، بصره نافذ يرى عباده، وعلمه محيط بكل شيء.

وليس معنى الباطن أنه تعالى داخل في المخلوقات، بل هو بائن من خلقه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، اسمان من أسمائه

(١) «العقيدة الطحاوية» ص ١٩.

الحسنى دالآن على كمال حكمته، وخبرته، فهو خبير بدقائق الأشياء، وهو أخصّ في المعنى من اسمه العليم.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ]، كأن هذه الجمل تفصيل لمضمون اسمه الخبير.

و﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾، ما: صيغة عموم؛ يعني: يعلم كل ما يلج في الأرض: من الأحياء؛ كالحيوانات التي لها مساكن تأوي إليها في الأرض، ومن النباتات، ومن الناس، وما يدخل فيها من الجمادات، كالمياه التي تغور في الأرض.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من هذه الأمور.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة، ومن الأمر الذي ينزل من عنده ﷻ.

يعلم هذا كله، وهكذا قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: 59]، عنده خزائن الغيب التي استأثر بعلمها، ومنها: الخمس التي لا يعلمها إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان]، فهذه خمس تفرّد الله بعلمها لا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل^(١).

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ﴾، ما: صيغة عموم؛ أي: كل ما في البرّ يعلمه الله.

﴿وَالْبَحْرِ﴾، أي: ويعلم ما في البحر، عام يشمل ما فيه من الحيوانات، والنباتات، والجمادات التي لا يحصيها إلا خالقها.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ

(١) قد جاء هذا في حديث أبي هريرة ﷺ، الذي رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ ﴿١٠﴾، يشمل كل رطب ويابس؛ لأن هذه كلها نكرات في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تعم.

كل هذه الدقائق، وكل هذه المخلوقات معلومة للرب ﷻ، والله محيط بها، وهي مثبتة في الكتاب المبين - كتاب المقادير -.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ﴾ [فاطر: ١١] أنثى من بني آدم، أو غيرهم من الأحياء أي أنثى ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١]، كل ذلك قد أحاط به علمه، وكتابه ﷻ.

فكل هذه الآيات دالة على: إثبات علمه ﷻ، وأنه الموصوف بالعلم المحيط بكل شيء، فهو تعالى: العليم، والعلم صفته، وعلمه لا يعزب عنه شيء.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمِ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣]، وفيها دليل على إحاطه علمه بكل صغير، وكبير؛ بالجزئيات، ودقائق المخلوقات خلافاً للملاحظة الذين يقولون: إنه لا يعلم الأشياء إلا بعد وجودها، أو لا يعلم الجزئيات، وإنما يعلم المعاني الكلية.

وفي هذه الآيات ردّ عليهم.

بل يعلم ﷻ ما كان، وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، والمعطلة؛ كالجهمية، والمعتزلة، والفلاسفة ينفون صفة العلم عن الله، وهذا إلحاد في أسماء الله تعالى، وصفاته، وتنقص لرب العالمين، فإذا كان المخلوق يوصف بالعلم؛ فكيف لا يوصف الخالق، وهو أحقّ بكل كمال؟

فعلمه تعالى ثابت بالعقل، وبالسمع؛ أي: النصوص الشرعية.

وقد نبّه ﷻ على الدليل العقلي في مواضع، منها قوله تعالى: ﴿أَلَا

يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴿[الملك: ١٤]﴾. إذا؛ وجود هذه المخلوقات في غاية الإحكام دليل على علمه سبحانه، وأهل السنّة والجماعة يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه، فيؤمنون بما في هذه الآيات من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فيثبتون علمه بالأشياء قبل وجودها، ويثبتون علمه بالجزئيات، ويؤمنون بأنه تعالى عليم، وأن هذا الاسم دالّ على معنى، فهو عليم بعلم، والعلم صفته ﷻ، فسبحان من أحاط بكل شيء علماً، قال تعالى: ﴿لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].



إثبات القوة والسمع والبصر والإرادة

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [٥٨] ﴿الذاريات﴾.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]، ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظُمُ بِهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء].

وقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة]، ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

الشَّحْ

هذه أيضاً جملة من الآيات المشتملة على بعض أسماء الرب وصفاته، وهي داخلة في الجملة التي أشار إليها الشيخ، وهو الآن بصدد تقريرها بشواهدها، وهي أن الله تعالى: جَمَعَ فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات.

فوصف نفسه بإثبات الأسماء الحسنی، والصفات العلا، وبنفي الآفات، والعيوب، والنقائص، فمن هذه النصوص القرآنية المشتملة على بعض أسماء الرب وصفاته؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات]، ففي هذه الآية إثبات اسم من أسماء الله الحسنى، وهو الرزاق.

والرزاق: صيغة تدلّ على كمال الرزق، وكثرته.

فكل ما يحصل للعباد من رزق مادي، أو معنوي من: علم، أو مال، أو أي منفعة، فمنه سبحانه.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت].

والنصوص المفسّرة لهذا الاسم، والمفصلة له كثيرة، فهو تعالى: خير الرازقين ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فكل ما يتقلب فيه العباد من النعم، فهي منه سبحانه هو الذي أعانهم عليها، وأمدّهم بها.

والله تعالى هو: الرزاق، وما يحصل على أيدي الناس من رزقه، فهم فيه أسباب فقط.

فالإنسان يرزق أولاده، يكدّ، ويكدح، وينفق عليهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ﴾ [النساء: ٥] أمر برزقهم؛ يعني: بالإنفاق عليهم.

لكن الرزاق حقيقة، والمطعم حقيقة، هو: الله.

وقد دلّت هذه الآية - أيضاً - على صفة من صفاته، وهي القوة ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ [الذاريات: ٥٨]، القوة التي لا تشبه قوى المخلوق، فالمخلوق يوصف بالقوة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: ٥٤]، ولكن ليست قوة المخلوق كقوة الخالق تعالى؛ فهو القوي، ومن أسمائه القوي، ومن صفاته: القوّة، فهو ذو القوة المتين؛ يعني: الشديد القوة. ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، فيجب الإيمان بذلك، والإيمان بهذه الأسماء له آثاره السلوكية إذا علم الإنسان أن كلّ الخير بيده، وأنه لا مانع لما أعطى،

ولا مُعطي لما مَنَعَ توجّه بقلبه لربّه في كل حوائجه، فهو الذي لا يأتي بالحسنات إلّا هو، ولا يدفع السيئات إلّا هو، يوجب له ذلك الرغبة إلى الله، ورجاءه، وتوكله عليه في حصول الخير، ومنافع الدنيا والآخرة.

وإذا علم العبد أنه تعالى: القوي، وأنه ذو القوة - أيضاً - ازداد تعظيماً لربّه، ورجاءً له، وخوفاً منه، فقوّته لا يقاومها قوّة، ولا يعترئها ضعف.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظُمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ نفي وإثبات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هذا نفي مجمل، نفي للمثيل عن الله، فلا شيء مثله، ليس شيء في الوجود مثله؛ لا في علمه، ولا في سمعه، ولا في بصره، ولا في قدرته، ولا في رزقه، ولا في قوته، ولا في عزّته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: فيه إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى، فهو السميع وهو البصير.

وفي هذا إثبات لصفتين من صفات الله: السمع والبصر، فهو: السميع، وهو ذو سمع؛ خلافاً للمعظلة الذين ينفون أسماءه، أو يعطلون صفاته، كالمعتزلة الذين يقولون: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وهذا جهلٌ وضلال، وإلحاد في أسماء الله، بل هو سميع بسمع، وسمعه واسع لجميع الأصوات ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، مهما أسرّ الإنسان في حديثه، ومحادثته، ومهما تناجى المتناجون، فالله يسمع نجواهم، ويعلم ما جرى بينهم.

وسَمِعُ الله ليس كسمع المخلوق؛ سمع المخلوق محدود، وموهوب له من الله.

أما سمع الخالق، فليس بمخلوق؛ سمعه تعالى صفة ذاتية له لم

يزل، ولا يزال سميعاً، ولم يزل، ولا يزال بصيراً، «ما زال بصفاته ﷺ قبل خَلْقِهِ لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته»، هكذا يقول الإمام الطحاوي في عقيدته^(١)، فصفاته تعالى أزلية.

والإيمان بذلك له أثر، إذا وقر في القلب الشعور بأنه تعالى: سميع بصير؛ أحدث له المراقبة، لكن تضعف هذه المراقبة عند ضعف الشعور والاستحضار لسمع الرب وبصره. أما من استحضر أن الله يسمع كلامه سوف يَحْسُب حساباً لما يتكلم به؛ لأنه يستحضر أن الله يسمعه، لكن يؤتى الإنسان من غفلته عن اطلاع الله عليه، وسمعه. وتفصيل صفتي السمع والبصر كثير في القرآن.

والله تعالى يسمع كلام المؤمنين، وكلام الكافرين، وكلام الناس العادي، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، هذا من الكلام العادي تحاور في قضيتها، ويسمع المتنقصين لربهم ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ويسمع كلام الرسل في دعوتهم، وما يرد عليهم قومهم؛ كما قال سبحانه لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

بصير ﷺ ببصر، وبصره نافذ بجميع المخلوقات، فهو السميع البصير، ولما قرأ النبي ﷺ هذه الآية^(٢) «وضع إبهامه على أذنه، والسبابة على عينه»^(٣).

(١) ص ٣.

(٢) أي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

(٣) رواه أبو داود (٤٧٢٨)، وابن خزيمة في التوحيد ص ٤٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩٨٧/٣، وابن حبان (٢٦٥) من حديث أبي هريرة ﷺ. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٧٣/١٣: أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم.

قال أهل العلم: لبيان أن المراد بالسمع والبصر حقيقتهما؛ أنه ذو سمع حقيقة، وذو بصر حقيقة.

ثم ذكر المؤلف الآيات الدالة على إثبات المشيئة والإرادة: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، هكذا يقول الرجل الصالح المؤمن لصاحبه الكافر المغرور بجنته حين سمعه يقول: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥) ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف].

يقول: لو أنك عندما دخلت جنتك تذكرت أنها إنما حصلت بمشيئة الله، وتذكرت أنه لا قوة لك ولا لغيرك إلا بالله، وكان الواجب عليك أن تقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. أما أن تقول: ما أظنُّ أن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً، فهذا كفر، وإنكار للبعث، وإنكار لفضل الله ﷻ، وإنكار لربوبيته سبحانه؛ لأنه هو المنعم المتفضل هو الذي يعطي ما يشاء لمن يشاء.

وقوله: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾؛ يعني: هذا ما شاء الله؛ أي: هذا كائن بمشيئة الله، وما شاء الله كان، ما شاء لا بد منه، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما يحصل في الوجود من: الذوات، والصفات، والحركات؛ فبمشيئته سبحانه لا يخرج عنها شيء أبدًا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]؛ أخبر الله سبحانه عن نفسه بأنه مريد، وهو فعال لما يريد ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، و﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، ﴿فَعَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فمن صفاته

سبحانه الإرادة، فهو يريد. قال أهل العلم^(١): الإرادة المضافة لله تعالى نوعان:

إرادة كونية، وإرادة شرعية. أما الإرادة الكونية، فهي بمعنى: المشيئة، ومن شواهدا قوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، هذه إرادة كونية؛ كل ما شاء سبحانه أن يفعله فعله؛ لأنه لا معارض له، ولا يستعصي عليه شيء.

ومن شواهد الإرادة الكونية قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٥]؛ يعني: من يشأ الله أن يهديه بشرح صدره للإسلام يوسع صدره، ويقذف النور فيه، ويجعل فيه القبول للحق، فيقبل الحق بانسراح وسرور، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ - نعوذ بالله - يجعل صدره ضيقاً حرجاً، ينفر من الحق ويشمئز منه، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ﴾ [الزمر]، والله تعالى يَمُنُّ على من يشاء؛ يهدي من يشاء بفضلته ورحمته، ويضل من يشاء بحكمته وعدله؛ يعطي ويمنع، يهدي ويضل، ويعز ويذل.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران].

وأما الإرادة الشرعية، فمتعلقة بما أمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه. ومن شواهدا: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

(١) «مجموع الفتاوى» ١٨٨/٨، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ٢٦٦/١١، و«شفاء العليل» ص ٢٨٠.

فهاتان إرادتان، قال أهل العلم^(١): إن الفرق بين الإرادتين من وجهين:

أما الإرادة الكونية، فإنها عامّة لكل الموجودات، فهي شاملة لما يحب سبحانه، وما لا يحب، فكلّ ما في الوجود، فهو حاصل بإرادته الكونية؛ سواء في ذلك ما يحبه الله أو يبغضه، فكلّ ما في الوجود فهو حاصل بإرادته تعالى الكونية التي هي بمعنى المشيئة، فإنه لا يخرج عن مشيئته، أو إرادته الكونية شيء ألبتّة.

أما الإرادة الشرعية، فإنها تختص بما يحبه سبحانه، فالطاعات مرادة لله شرعاً. أما المعاصي، فليست مرادة شرعاً، وما يقع من الطاعات؛ كالصلاة مثلاً نقول: هذه الصلاة تتعلق بها الإرادتان: الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية.

وهكذا سائر الطاعات واقعة بالإرادة الكونية، ومتعلقة كذلك بالإرادة الشرعية، فهي مرادة لله؛ كوناً وشرعاً.

أما ما يقع من المعاصي، فهي مرادة لله كوناً؛ لأنه لا يقع في الوجود شيء ألبتّة إلا بإرادته ومشيئته سبحانه.

لكن هل المعاصي محبوبة لله؟ لا، بل هي مُبَغَضَةٌ، وإن كانت واقعة بإرادته.

فالفرق بين الإرادتين من وجهين:

الأول: أن الإرادة الكونية عامّة، فكل ما في الوجود فهو مراد لله كوناً.

أما الإرادة الشرعية: فإنها إنما تتعلق بما يحب ﷻ.

قال أهل العلم: فتجتمع الإرادتان في إيمان المؤمن، وطاعة المطيع.

(١) انظر: الحاشية السابقة.

وتنفرد الإرادة الشرعية في إيمان الكافر، فالكافر مطلوب منه الإيمان لكنه لم يحصل، فهو مراد الله شرعاً، لكنه غير مراد كوناً؛ إذ لو شاء الله لاهتدى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ [يونس: ٩٩]، وكذلك الطاعة التي أمر بها العبد، ولم يفعلها مرادة الله شرعاً، لكنها لم تتعلق بها الإرادة الكونية؛ إذ لو تعلق بها الإرادة الكونية لحصلت.

تنفرد الإرادة الكونية في كفر الكافر، ومعصية العاصي.
الثاني: أن الإرادة الكونية لا يتخلف مرادها أبداً. أما الإرادة الشرعية، فقد يقع مرادها، وقد لا يقع، فالله أراد الإيمان من الناس كلهم؛ أراده شرعاً - يعني: أمرهم به -، وأحب ذلك منهم، ولكن منهم من آمن، ومنهم من كفر.

هذا ما يتعلق بالآيات التي ذكر المؤلف، وكلها فيها إثبات الإرادة: إما الإرادة الكونية، أو الإرادة الشرعية.

وهل للمخلوق إرادة ومشية؟ نعم، قال ﷺ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

لكن إرادة المخلوق ومشية المخلوق مخلوقة، ومقيدة، وتابعة لمشيئة الله تعالى.

ومشيئة المخلوق قد يحصل مقتضاها، وقد لا يحصل، فقد يشاء الإنسان ما لا يكون، وقد يكون ما لا يشاء، وهذا شأن المخلوق. أمّا الخالق، فما شاءه فلا بد أن يكون، وما لا يشاؤه فلا يكون ألبتة؛ لأنه ﷻ لا يُعجزه شيء، ولا يستعصي عليه شيء، فما شاء أن يفعله فعله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

إثبات صفة المحبة لله ﷻ

وقوله: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُورًا﴾ [الصف: ٤]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]^(١).

[وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ٢]^(٢).

الشَّرح

وهذه جملة من الآيات الدالة على صفة المحبة للرب ﷻ، فهو سبحانه يحب، والمحبة صفة من صفاته؛ كما قلنا في القوة، والسمع، والبصر، والإرادة كلها صفات أخبر الله بها عن نفسه، كذلك أخبر بأنه يحب بعض عباده: يحب المحسنين لإحسانهم إلى عباد الله، يحب المقسطين الذين يعدلون في حكمهم، وأهلهم، وما ولوا، ويحب التوابين الرجاعين إليه عن الذنوب والتقصير، يحب المتطهرين كما أمروا، يحب المتقين، يحب المجاهدين في سبيله، كله إخبار عن الله ﷻ، فوجب الإيمان بأن من صفاته سبحانه: المحبة، وفي هذا غاية الترغيب في هذه الأعمال.

(١) في (ب): ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وستأتي ص ٧٢.

(٢) زيادة من (م).

ومحبة الله للعبد هي فوق ما ينال من الثواب، فالمؤمنون المخلصون أولياء الله يتطلعون للفوز بهذه المحبة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

والمخلوق يوصف بالمحبة، ولكن مع الفرق؛ فللمخلوق محبة تليق به، وتناسبه يمكن أن يُعَبَّرَ عنها: بميل الإنسان إلى ما يناسبه، أو ما أشبه ذلك، والله يوصف بالمحبة، وليست محبة الخالق كمحبة المخلوق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. لكن محبة الخالق محبة حقيقية لا كما يقول المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين ينفون وينكرون حقيقة المحبة^(١)، ويقولون: الله لا يُحِبُّ، ولا تليق به صفة المحبة، ويحرفون ما جاء في النصوص، ويفسرونها: إما بالإرادة، وإما بالثواب، أو إرادة الثواب، ويقولون: يحب المقسطين، يحب المتقين؛ يعني: يريد أن ينعم عليهم، أو يقولون: يحب المقسطين؛ يعني: يثيبهم، فينفون عن الله حقيقة المحبة، وهذا مبني على أصولهم الفاسدة أن إثبات هذه الصفات يستلزم التشبيه، فيقعون في التناقض، ويفرّون من شيء؛ فيقعون في نظيره، أو في شر منه.

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله كل ما أثبتته لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ، فيدخل في ذلك إثبات المحبة لله، وأهل السنة يثبتون لله المحبة من الجانبين، فيقولون: إنه تعالى يُحِبُّ، ويُحَبُّ، يحب المؤمنين، والمجاهدين، والمقسطين - كما في الآيات -، ويحبه أولياؤه المؤمنون؛ كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، والله سبحانه يختص بمحبته من يشاء - كما ذكر في هذه الآيات -، بل إنه يفضل بعض عباده في هذه المحبة، ولهذا اتخذ من عباده من اتخذه خليلاً؛

(١) «مجموع الفتاوى» ٣٥٦/٨ و٦٦/١٠.

كإبراهيم، ومحمد^(١) صلوات الله وسلامه عليهما، وسائر النبيين.
ومن الأدلة على إثبات صفة المحبة لله سبحانه؛ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ
الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج]، ودود من المودّة، قيل: ودود: كثير المودة
لأوليائه، كعفور؛ يعني: كثير المغفرة، وقيل: ودود بمعنى مودود، أو
محبوب، والأول هو الراجح في تفسير هذا الاسم.
ورجّحه العلامة ابن القيم^(٢) إجراءً لهذا الاسم مجرى غفور،
وشكور، وما أشبه ذلك من الأسماء الحسنى.



(١) قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]؛ وروى مسلم
(٥٣٢) عن جندب رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله تعالى قد اتخذني
خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»؛ ونحوه في مسلم (٢٣٨٣) من حديث ابن
مسعود رضي الله عنه.

(٢) «روضة المحبين» ص ٤٦، وهو اختيار شيخ الإسلام، وذكر أن الكتاب والسنة
وأقوال السلف والأئمة تدلّ عليه. «النبوات» ٣٥٢/١.

إثبات صفة الرحمة لله ﷻ

وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] (١)، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

الشرح

هذه الآيات دالة على بعض أسماء الله تعالى وصفاته، وهي مشتملة على إثبات هذه الأسماء: الرحمن الرحيم الغفور أرحم الراحمين، وهذه الأسماء تدل على إثبات صفة الرحمة على ما هو مقرر في القاعدة المشهورة، وهي: «أن كل اسم متضمن لصفة»، فالله الرحمن الرحيم كما في هذه الآية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، هذه بعض آية في سورة النمل بإجماع أهل العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل]. وأما البسملة التي تفتح بها السور، ففيها خلاف، قيل: إنها آية من كل سورة، وقيل: إنها آية أنزلت للفصل بين السور، والدلالة على ابتدائها، وهذا أظهر؛ أي: أنها آية من القرآن أنزلت للدلالة على أوائل السور، والفصل بينها (٢).

(١) زيادة من (م).

(٢) «المغني» ١٥١/٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ٦٦/١، و«تفسير ابن كثير» ١١٦/١.

وهذان الاسمان: الرحمن الرحيم قد جاء في مواضع كثيرة من القرآن مقترنين كما في البسملة، وفي الآية الثانية من الفاتحة، وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة].

وجاءا مُتفَرِّقَيْنِ، فذكر الرحمن في مواضع وحده، والرحيم ذكر وحده، أو مع اسم آخر، فالرحيم قُرِنَ باسم آخر كالغفور، والرؤوف، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، وهذان الاسمان من أسماء الله الحسنى، فهو الرحمن، وهو الرحيم.

والمشهور في الفرق بينهما: أن الرحمن يدلُّ على الرحمة العامة، والرحيم يدلُّ على الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

وقال بعضهم: الرحمن؛ يعني: في الدنيا، والآخرة. والرحيم؛ يعني: في الآخرة. وهذا قريب من الذي قبله، والحق أنه ﷻ الرحمن الرحيم في الدنيا، والآخرة^(١).

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: «الرحمن الرحيم اسمان رقيقان»^(٢)؛ يعني: يدلان على الرحمة، وهي معنى فيه رِقَّةٌ، وتقتضي الإحسان، والإنعام، والإكرام، ولا يقال: إن هذا تفسير للرحمة؛ لأنها صفة معقولة المعنى، وضد الرحمة: القسوة، وضد الرحمة: العذاب: ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأُ يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء]، ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت].

وفرق ابن القيم^(٣) بين هذين الاسمين: بأن الرحمن دالٌّ على

(١) «تفسير الطبري» ٥٥/١.

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٥٦؛ وضعفه ابن حجر في «الفتح» ٣٥٩/١٣.

(٣) «بدائع الفوائد» ٤٢/١.

الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دالٌّ على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول: للوصف، والثاني: للفعل؛ فالأول: دالٌّ على أن الرحمة صفة، والثاني: دالٌّ على أنه يرحم خلقه برحمته. اهـ.

والرحمة من صفاته الذاتية ﷺ، فإنه لم يزل ولا يزال متصفاً بالرحمة، وهو موصوف بالرحمة الفعلية التي تتعلق بها مشيئته، وهي صفة فعلية يرحم من يشاء، فلا يزال يرحم من يشاء كيف يشاء.

وقد أنكر المشركون اسمه الرحمن، فأنكر الله عليهم ذلك وكفرهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد].

إذا؛ الرحمن الرحيم اسمان من أسمائه الحسنى دالّان على صفة الرحمة، وفي بعض الآيات التصريح بصفة الرحمة، قال الله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

والعباد يوصفون بالرحمة، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»^(١)؛ فالعباد يوصفون بالرحمة، وليس هذا من التشبيه في شيء، فللمخلوق الرحمة التي تناسبه، وللرب الرحمة التي تناسبه وتليق به،

(١) رواه أحمد ١٦٠/٢؛ وأبو داود (٤٩٤١)؛ والترمذي (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح؛ والحاكم ١٥٩/٤ وصححه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ وقواه ابن تيمية في «الاستقامة» ص ٣١٢؛ وصححه الذهبي في «معجم الشيوخ» ٢٢٣/١؛ والعراقي في «الأربعين العشارية» ص ١٢٥؛ وحسنه الحافظ ابن حجر في «الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع» ص ٦٣، وهو الحديث المسلسل بالأولية.

انظر: «المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة» ص ٦.

وليست الرحمة كالرحمة، ولا الرحيم كالرحيم، فالله تعالى رحيم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]، وكذلك المخلوق يسمى رحيماً؛ كما قال الله عن النبي ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة]، وليس الرؤوف كالرؤوف، ولا الرحيم كالرحيم.

فللمخلوق من هذه الأسماء، وهذه الصفات ما يناسبه، وله تعالى ما يناسبه، ويليق بعظمته وجلاله، وكبريائه.

وأهل السنّة والجماعة منهجهم في هذه الصفات، وهذه الأسماء منهج واحد: إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية، وهذا معنى قول السلف - في نصوص الصفات -: «أمروها كما جاءت بلا كيف».

يعني: أمروها كما جاءت مثبتين لما تدلّ عليه، مؤمنين بها غير محرّفين لها، ولا مكيفين لما تدلّ عليه.

فأهل السنّة والجماعة يثبتون لله ﷻ صفة الرحمة على حقيقتها. وأما أهل الكلام؛ أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فينفون حقيقة الرحمة^(١)؛ لأنهم يقولون: إن الرحمة رقة تعترى من قامت به الرحمة، وهذا لا يليق به سبحانه، فالرقة فيها ضَعْف.

وهذا خطأ؛ لأنه تفسير لرحمة المخلوق، فهي التي يمكن أن يعبر عنها بأنها رقة، وانفعال تعترى من قامت به، ولما توهموا من إثبات صفة الرحمة أنها مثل رحمة المخلوق نفوا حقيقة الرحمة، وفسروها إما بالإرادة، فقالوا: الرحمة من الله إرادة الإنعام، والإحسان على عباده؛ أو أن المراد بها: ما يخلقه سبحانه من النعم التي ينعم الله بها على عباده.

نعم، هناك رحمة مخلوقة، لكنها غير صفة الرحمة التي هي صفة

(١) انظر: «مختصر الصواعق» ٣/ ٨٦٠ - ٨٨٨.

الربّ تعالى، فالرحمة تضاف إلى الله صفة له، كما في هذه الآيات: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿رَبِّنَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَرَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، فهذه الرحمة هي صفة الرب قائمة به، كعلمه وسمعه.

أما الرحمة المخلوقة، فإضافتها إليه كإضافة المخلوق إلى خالقه؛ كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ؛ قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ، والإنس، والبهائم، والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»^(١).

ومن الرحمة المخلوقة لله ﷻ: الجنة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْغَضْتَ وَجُوهَهُمْ فَنِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران].

وإذا قلت: أدخلني برحمتك، فهذا توّسل إلى الله؛ فهذه صفة ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الجاثية: ٣٠]، هذه الرحمة المخلوقة.

فالرحمة المضافة لله نوعان:

صفة له سبحانه، ورحمة مخلوقة.

فالأولى: إضافتها إلى الله من إضافة الصفة إلى الموصوف.

والثاني: من إضافة المخلوق إلى خالقه.

قال تعالى - بعد ما ذكر إنزال الغيث بعد يأس من العباد -: ﴿فَأَنْظِرْ إِلَىٰ ءَأَنْتَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠]، فالمطر رحمة، ونعم الله هي رحمة منه بعباده.

فالمقصود: أن هذه الآيات دالة على إثبات ما اشتملت عليه من

(١) رواه البخاري (٦٠٠٠)؛ ومسلم (٢٧٥٢) واللفظ له من حديث أبي هريرة ؓ.

أسماء الله الحسنة، وصفاته العلى، فيجب إثبات ذلك له ﷻ على ما يليق به، ويختص به بلا تحريف، وصرفٍ للنصوص عن ظاهرها كما يفعل أهل التعطيل والضلال، ولا تكييف ولا تمثيل، فالمنهج واحد في كل النصوص، هذا منهج أهل السنّة والجماعة.

وأما المعطّلة، فينفون حقيقة الصفات، ثم يؤوّلون النصوص، هذا هو الغالب عليهم، ومنهم المفوض الذي يقول: هذه النصوص لا نقول فيها شيئاً، بل نمّرّها ألفاظاً دون تفسيرٍ لها، ودون فهمٍ لمعناها، فهي نصوص لا تدلّ على شيء، ولا يُفهم منها شيء، وكلا القولين - قول أهل التفويض، وأهل التأويل - باطل؛ بل هذه النصوص دالة على معانٍ معقولة، ويفهمها من وفقه الله، فهي تدلّ على إثبات هذه الأسماء، وهذه الصفات لربّنا تعالى، وبهذا عرفنا أنه تعالى رحمن، وأنه رحيم، وأن رحمته واسعة، وأنه ﷻ وسع كل شيء رحمةً وعلماً، وأنه لم يزل رؤوفاً رحيماً ﷻ.

وهذا العلم والإيمان يوجب التوجه إلى الله بطلب رحمته، ويبعث الرجاء في قلوب المؤمنين، إذا تدبّر المسلم هذه الآيات تعلق قلبه برّبّه، وقوي أمله ورجاؤه فيه، فصار يرجو رحمته، كما قال الله في صفة المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ [الإسراء]، وبناء على هذا العلم يضرع المؤمن إلى ربّه: اللّهم ارحمني، وارحم عبادك المؤمنين، فیدعو لنفسه بالرحمة، ویدعو لإخوانه المؤمنين، وإذا رَحِمه ربّه أنعم عليه بأنواع النعم، وأعظم رحمة يرحم الله بها عبده أنه يوفقه للإيمان، والعمل الصالح، والاستقامة على ذلك.



إثبات الرضا والغضب لله تعالى

[وقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]]^(١).
 وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا
 وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ﴾ [النساء: ٩٣].
 وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾
 [محمد: ٢٨].

وقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].
 وقوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أُنْعَائِهِمْ فَضَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].
 وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
 [الصف: ٢].

الشرح

هذه الآيات اشتملت على إثبات بعض صفات الله ﷻ، وهي: الرضا، والغضب، والكرهية، والمقت؛ فالله تعالى موصوف بهذه الصفات، فقد وصف تعالى نفسه بالرضا عن بعض عباده: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وبالغضب والسخط على أعدائه؛ كما قال تعالى في اليهود: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، وقال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] وهم اليهود، وقال تعالى في المنافقين: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أُنْعَائِهِمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، فهو

(١) زيادة من (م)، وقد تقدم في ص ٦٣ بيان موضعها في (ب).

تعالى يكره، وفي الحديث: «إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(١)، وقال ﷺ: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء]. وكذلك وصف نفسه بالمقت للكافرين: ﴿لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [غافر: ١٠]، والمقت هو: أشدُّ البغض؛ فكما أنه تعالى يحبُّ أولياءه المؤمنين، ويحب المقسطين، والتوَّابين، والمتطهرين، ويحب المتوكِّلين عليه، كذلك يمقت الكافرين، ويبغضهم، ويكرههم.

وأهل السنَّة والجماعة يشبِّتون هذه الصفات، ويمرُّونها كما جاءت؛ يؤمنون بأن الله تعالى يرضى، ويبغض، ويكره، ويمقت حقيقة، على ما يليق به ﷺ، والمخلوق يوصف بهذه الصفات، فيوصف بالرضا ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] في آية واحدة، وليس الرضا كالرضا، ويوصف المخلوق بالبغض ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَىٰ الْغَضْبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وليس غضب المخلوق كغضب الخالق سبحانه، وكذلك المقت في آية واحدة: ﴿لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [غافر: ١٠]، والمخلوق يوصف بأنه يكره ﴿أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وليست صفة الخالق كصفة المخلوق، ولا صفة المخلوق كصفة الخالق، فيجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية، ومذهب أهل السنَّة والجماعة في نصوص الصفات قائم على هذه الأصول الثلاثة:

- ١ - إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ.
- ٢ - نفي التمثيل؛ أي: نفي مماثلته تعالى لخلقه، وأن صفاته لا تماثل صفات المخلوق.
- ٣ - نفي العلم بالكيفية، فصفاته ﷺ لا يعلم أحد من الخلق كيفيتها.

(١) رواه البخاري (٢٤٠٨)؛ ومسلم، كتاب الأفضية (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وهل لصفة الربّ تعالى كيفية؟

نعم لها كيفية، لكن يجب علينا ألاّ نبحث عن كيفية صفات الربّ؛ لأن ذلك قد استأثر الله بعلمه، فلا علم لنا بكيفية ذاته وصفاته.

ولهذا نقول: نفي العلم بالكيفية، ولا نقول: نفي الكيفية.

وقول السلف: تمرّ كما جاءت بلا كيف؛ يعني: بلا تكييف

لصفاته، وبلا بحث عن كيفية صفاته سبحانه.

وأما المعطّلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في هذه الصفات،

فإنهم ينفون حقيقة الرضا، ويفسّرونه بإرادة الإنعام نحو تفسير المحبة، والرحمة.

وينفون حقيقة الغضب، والكراهة، والمقت، ويفسّرون ذلك إما:

بإرادة الانتقام، وإما ببعض المفعولات، وهي: ما يخلقه تعالى من العقوبات؛ يعني: نفس المقت، فالعقوبة التي يخلقها الله هي الكراهة، وهي الغضب، وهي كذا وكذا، ويدّعون أن الغضب - مثلاً - هو: غليان دم القلب طلباً للانتقام، وهذا المعنى لا يليق بالله^(١).

فيقال لهم: هذا تفسير لغضب المخلوق، وهذه حقيقة غضب

المخلوق، فهو الذي يمكن أن يفسّر بأنه غليان دم القلب. أما غضب الربّ سبحانه، فلا يفسّر هذا التفسير؛ غضب الربّ معنى معقول ضدّه الرحمة، من آثاره: الانتقام، وإنزال العقاب بمن غضب الله عليه - نعوذ بالله من غضب الله -، فيجب الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه من هذه الصفات.

والإيمان بأنه تعالى يرضى، ويغضب، ويكره، ويمقب؛ يوجب

للعبد خوفاً، ورجاء، ويوجب له أن يطلب رضا الله، وأن ترغب نفسه في ذلك، ورضوان الله أكبر ما يمنّ الله به على أوليائه؛ ففي الصحيحين

(١) «التدمرية» ص ١١٦، و«شرح حديث النزول» ص ١١٢.

عن النبي ﷺ: «إن الله - تبارك وتعالى - يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب! وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(١).

فهذا أفضل ما يعطي الله أوليائه، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، رضوان من الله يُحلّه على أوليائه، هو أكبر من نعيم الجنة؛ أي: أكبر ممّا في الجنة من أنواع النعيم من المطاعم، والمشارب، والملابس، ونحوها.

والإيمان بأنه تعالى يغضب يوجب للعبد أن يخاف من غضب الله، ويستعيذ منه، وفي الحديث الصحيح: «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٢).

فللعلم والإيمان بأسماء الربّ وصفاته آثار على القلب، وآثار على سلوك العبد تورث الموفقين من عباد الله محبته سبحانه، وخوفه، ورجاءه، والتوكل عليه كل هذا من آثار الإيمان بأسمائه وصفاته.



(١) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إثبات الإتيان والمجيء لله تعالى

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٦٧﴾﴾ [الفجر].

﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِيمِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان].

الشرح

هذه أربع آيات من نصوص الصفات تدلّ على إثبات صفة فعلية، هي: المجيء والإتيان؛ والمجيء والإتيان معناهما متقارب: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾؛ أي: هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وذلك يوم القيامة، وهذا اليوم الذي يأتيهم الله فيه يوم عصيب عليهم، ماذا تكون حالهم إذا لقوا الله، وقد كفروا به، وبرسله، وأشركوا به، وأعرضوا عن هدايته؟ إنه لموقف ذلّ، وهوان، وحسرة إذا جاء ﷻ وهذه حالهم، والملائكة يأتون، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]، وقوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وكل هذا حاصل وسيأتي ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا

﴿٢١﴾ [الفرقان]، إلى أن قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِلَ الْمَلَكِيُّ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٥﴾ [الفرقان].

والقرآن متشابه يُصَدِّقُ بعضه بعضاً؛ ففي الآية الأولى قال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، هناك ظلل من الغمام هي: السحاب الذي الله أعلم بمقداره، وبصفته؛ أمور غيبية لا تُحِيطُ بها عقول العباد، تنزل الأملاك بأمر الله، وتفعل ما تُؤمَرُ به مما يشاء ﷻ، فالملائكة في الدنيا وفي الآخرة هم رسل الله يُوكَلون بما يشاء سبحانه، ملائكة موكلون بالوحي، بالقَطْر، بقبض الأرواح، بالجبال... بما شاء ﷻ، ويوم القيامة يأتون ويفعلون ما يؤمرون ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

قال تعالى: ﴿وَنُزِلَ الْمَلَكِيُّ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَكِيُّ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، متى؟ يوم القيامة.

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، قد جاء تفسير هذا البعض بطلوع الشمس من مغربها؛ كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها؛ آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً»^(١).

فيجب إثبات ما دلَّت عليه هذه الآيات بأنه يجيء ﷻ كيف شاء، لا يصلح أن يتخيَّل العباد كيفية مجيء الرب ونزوله ﷻ، ولا نفكر في هذا أبداً؛ لأنه لا سبيل لعقول العباد إلى أن يتصوروا كيفية نزوله، وكيفية مجيئه ﷻ؛ بل ينزل كيف شاء، ويجيء كيف شاء ﷻ، فالعقول قاصرة عن تكييف ذاته، وصفاته؛ بل هي قاصرة عن تكييف بعض المخلوقات، وهي عن تكييف الربِّ تعالى وصفاته أعجز، وأهل السنَّة

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والجماعة يثبتون ذلك، ويؤمنون به، ويعلمون أنه تعالى سيأتي يوم القيامة للفصل بين عباده، والحكم بينهم ليجزي العاملين بأعمالهم؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، في ذلك اليوم الذي هو يوم الدين.

وأما المعطلة للصفات، من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من نفاة الأفعال الاختيارية، فلا يثبتون ما جاء في هذه الآيات^(١)، فإن المجيء والإتيان من الأفعال الاختيارية التي تكون بمشيئته سبحانه، وعند هؤلاء النفاة أن إثبات ذلك يستلزم حلول الحوادث في ذات الرب سبحانه، وهو ممتنع عندهم.

وحلول الحوادث من الألفاظ المحدثه التي لم يأت بها كتاب، ولا سنّة، وهو لفظ مجمل يحتمل حقاً وباطلاً؛ فإن أُريد بنفيه أنه تعالى لا يحلّ في ذاته شيء من مخلوقاته، فهو حق. وإن أُريد نفي قيام الأفعال الاختيارية بذاته، فهو باطل؛ لأنه تعالى أخبر أنه: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، وأنه: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]، وأخبر عن بعض أفعاله كاستوائه على عرشه، ونزوله، ومجيئه، فوجب الإيمان بما أخبر به تعالى عن نفسه، فإنه أعلم بنفسه.

ومن يفعل أكمل ممن لا يفعل، فلذلك أجرى أهل السنّة هذه النصوص على ظاهرها، وأثبتوا ما دلّت عليه بلا كيف.

وأما الثّفاة، فمنهم: من يفوّض معانيها فلا يفهمها، ولا يفسرها. ومنهم: من يفسرها بخلاف ظاهرها؛ كقولهم: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]؛ معناه: وجاء أمر ربك، فيجمعون بين التعطيل والتحريف، فظاهر النصوص عند هؤلاء كفر وباطل، فيجب فيها: إما التفويض، وإما التأويل. وكفى بهذا ضلالاً عن سواء السبيل.

والإيمان باليوم الآخر، وما يكون فيه من مجيء الله والأملاك

(١) انظر: «مختصر الصواعق» ٣/٨٤٧ - ٨٤٨ و٨٥٦ - ٨٦٠.

يوجب الإعداد لذلك اليوم، فإن من الناس من يلقي ربه وهو عنه راضٍ؛ فيلقاه مسروراً، ويتلقاه ربه بأنواع الكرامات، ومن الناس من يلقي ربه، وهو عليه غضبان؛ نعوذ بالله من ذلك، اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، ونسأله تعالى أن يجعلنا ممن يسعد بلقائه، ويكون فائزاً مسروراً بذلك، إنه تعالى سميع الدعاء.



إثبات الوجه واليدين والعينين لله تعالى

وقوله: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وقوله: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيْقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله: ﴿وَأَصْبَرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَّوُضْرٍ﴾ [١٢] ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ [القمر: ١٤] ﴿وَأَلْفَيْتُ عَلَيْكَ﴾ [٢/٢٦] ﴿مِحْبَةً مِنِّي وَلِتُنصَحَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

الشَّرْح

هذه الآيات ساقها المؤلف شواهد وأدلة على إثبات بعض صفات الرب ﷻ، فهي من نصوص الصفات، فدلّت الآيتان الأوليان على إثبات الوجه له ﷻ، والآيتان الأخريان على إثبات اليدين، والثلاث الأخيرة على إثبات العينين له ﷻ، وأهل السنّة والجماعة يشتون هذا كله لله على ما يليق به سبحانه مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية؛ يشتون الوجه واليدين والعينين لله، وأن وجهه تعالى ليس كوجوه العباد: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [٢٢] [القيامة]، العباد لهم وجوه، وليس وجه الخالق كوجه أحد من الخلق، ولا يعلم العباد كيفية وجهه كما لا يعلمون كيفية ذاته، وهكذا يثبت أهل السنّة والجماعة اليدين له تعالى - تصديقاً لخبره - يدين يفعل بهما، ويخلق ما يشاء، وليست كأيدي العباد، ولا يعلم العباد كيفيتهما.

وهكذا أهل السنة يؤمنون بأن الله عينين يرى بهما؛ كما في الآيات: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، ﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

وأهل الضلال الذين أصّلوا أصولهم الباطلة، ومنها: أنه تعالى لا تقوم به أي صفة، بل هو ذات مجردة؛ فهؤلاء ينفون حقيقة الوجه، واليدين، والعينين، ويزعمون أن إثباتها لله تشبيه، فينفون عن الله الوجه؛ فليس لله وجه عندهم، ولا يدان يفعل بهما، ويخلق بهما، ولا عينان؛ ينفون هذا كله، وهذا ردّ لما أخبر الله به ورسوله ﷺ، ويسلكون في هذه النصوص - كما تقدّم^(١) - إما طريقة التفويض، يقولون: هذه النصوص تُقرأ، ولا يتدبّر معناها، ولا يفهم منها شيء، ولا تدلّ على إثبات هذه الصفات له ﷺ؛ تُقرأ ألفاظاً فقط، ولا يوقف عندها.

وآخرون: يتأولون هذه النصوص، ففي صفة الوجه^(٢) - مثلاً - يقولون: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، الوجه هذه كلمة زائدة صلة ليس لها معنى؛ المعنى: ويبقى ربك، فيصبح حذفها أولى بالكلام - تعالى الله عن ذلك -، أو المراد بالوجه: نفس الذات، فيبقى وجه ربك؛ يعني: ذات ربك، أو الثواب ويبقى ثواب ربك، وهذا من تأويلاتهم الباطلة السمجة، ولا موجب لهذا إلا أصلهم الباطل، وهو: نفي صفات الرب ﷺ، فلما أصّلوا الأصل الباطل لا بدّ أن يقفوا من هذه النصوص موقفاً يدفعون معارضتها لمذهبهم الباطل، فيحرفونها.

وهكذا صفة اليدين يؤوّلونها بالقدرة، أو النعمة^(٣)، وهذه تأويلات تخالف سياق الكلام، وليس لهذه التأويلات أصل من لغة، ولا شرع، ويكون قوله تعالى: ﴿مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ [ص: ٧٥]؛ يعني:

(١) ص ٦٩ و ٧٨.

(٢) انظر: «مختصر الصواعق» ٣/٩٩٢.

(٣) انظر: «مختصر الصواعق» ٣/٩٤٦.

بِقُدْرَتِيَّ عَلَى زَعْمِهِمْ، وهذا يردّه أن الله تعالى له قدرة، ولا يقال: لله قدرتان، بل قدرة تامّة لا يعجزها، ولا يستعصي عليها شيء.
 ونِعْمُهُ - تعالى - ليست نعمتين، بل نِعْمٌ كثيرة لا تُحصى.
 ولو كان معنى قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيدِيَّ﴾ [ص: ١٧٥]؛ يعني: بقُدْرَتِيَّ لما كان لآدم خصوصية، فأدم كغيره؛ الكل مخلوق بقدرته ﷻ.

وهكذا يتأولون العينين بنفس البصر، أو الرؤية - عند من يثبتها - كالأشاعرة يثبتون البصر والرؤية؛ لأنها بمعناها، أو قريبة من معناها، ولكنهم لا يثبتون العينين له سبحانه. وأمّا أهل السنّة، فمجمعون على إثبات هذه الصفات، وقد دلّ على إثبات هذه الصفات الكتاب، والسنّة، والإجماع.

قال ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن].

يُخبر ﷻ أن كل ما على هذه الأرض سيفنى ويذهب؛ من: نبات، وحيوان، ثم يبعث الله الموتى من قبورهم بعدما يفنيهم جميعاً، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وهكذا قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القصص: ٨٨]، كل شيء هالك، وذاهب، وميت: الإنس، والجنّ، والملائكة؛ الكلّ ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ﷻ، وتدلّ هاتان الآيتان على إثبات الوجه له تعالى، وتدلّ على بقاءه، فهو ﷻ الباقي الذي لا يفنى كما يفنى غيره، له البقاء والدوام، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، فلا يجوز عليه الفناء، ولا يجوز عليه الموت؛ هو الحيّ الذي لا يموت، والقوي الذي لا يَضْعُفُ، والقدير الذي لا يعجز ﷻ.

وليس لقائل أن يقول في قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]؛ إن الآية إنما تدلّ على بقاء الوجه، فتحتاج إلى تأويل كما توهم هذا بعضهم، فلا يتوهم هذا إلا جاهل بدلالات الكلام، فكل عاقل يعرف أساليب الكلام، ولا سيما اللغة العربية يُدرك أن قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾

[الرحمن: ٢٧]؛ يدلّ على بقائه تعالى، وعلى أن له وجهاً، ولا تدلّ الآية بظاهاً أبداً على أن البقاء لوجهه فقط، هذا فهم ساذج، وسمج، وساقط.

والتأويل هو: صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر، أو: عن احتمال راجح إلى احتمال مرجوح.

فنسأل: هل هاتان الآيتان تحتاجان إلى تأويل؟

بحيث نقول: إن ظاهرهما أن البقاء لوجهه فقط! أعوذ بالله، هل هذا ظاهرهما؟

لا ليس ظاهر الآيتين هذا؛ بل ظاهرهما أنه ﷻ الباقي ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، كل عاقل يعرف دلالات الكلام يفهم من هاتين الآيتين أنه ﷻ الباقي الذي لا يفنى، وأنّ له وجهاً.

فأفاد التركيب إثبات البقاء له تعالى، وإثبات الوجه له ﷻ، ولا يفيد أن البقاء مخصوص، أو خاص بالوجه دون ذاته؛ تعالى الله عن فهم الخاطئين الغالطين.

فدلّت الآيتان على أن له وجهاً، وقد وصف ﷻ وجهه بالجلال والإكرام: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فوجهه موصوف بالجلال والعظمة، والكبرياء، وبالإكرام؛ فهو تعالى الذي يُكرم عباده، وهو المستحقّ من عباده أن يكرموه بطاعته، وبتقواه، وبتعظيمه، وإجلاله ثناءً عليه، وتمجيدهاً له، وتعظيماً له، وتنزيهاً له، عن كل نقصٍ وعيب.

وهو تعالى يوصف بالجلال والإكرام، كما قال تعالى: ﴿بَرَكَةُ أُمَّمِ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

كما تدلّ الآيتان على أن كل عمل لغير الله فهو باطل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القصص: ٨٨]، فإذا كان كل شيء ذاهباً، وأن البقاء له وحده، فهو الذي يبقى، ولا يفنى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، فإن ذلك يتضمن

أنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وأن كل عمل لغيره فهو فان هالك ذاهب ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ولا يبقى إلا ما كان خالصاً لوجهه ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥]، توبيخ من الله لإبليس عندما امتنع عن السجود لآدم ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾؛ أظهر الله تعالى فضل آدم حيث فضّله بفضائل: خلقه بيده من بين سائر المخلوقات، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له الملائكة.

وكل الموجودات هي خلقه سبحانه خلقها بقدرته، ومشيتته، وأمره ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ١]، وآدم خلقه الله بمشيئته، وبأمره، ولكن خصّه بأن خلقه بيديه تعالى كيف شاء، والله يفعل بيديه ما شاء، ويأخذ بيده ما شاء؛ كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «يطوي الله ﷻ السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»^(١).

وهذا الحديث يفسر قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، نؤمن بأن الله يدين حقيقة يفعل ويخلق ويأخذ بهما ما شاء، كيف شاء ﷻ، ولا نكيفها، ولا نتخيلها أبداً، ولا نقول: له يدان، وليستا جارحتين، فإن هذه العبارة يطلقها بعضهم، وهي عبارة مبتدعة موهمة، وقد تتضمّن نفي حقيقة اليدين، فلفظة جارحة تحتاج إلى تفسير. له تعالى يدان حقيقة، وإذا قلنا: له يدان حقيقة، فلا يفهم أنهما كأيدي المخلوقين.

(١) البخاري (٧٤١٢)؛ ومسلم (٢٧٨٨) واللفظ له من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] الآيات... هذا إخبار من الله عن سفينة نوح عندما أمره الله بصنعها ﴿أَنْ أَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]، فصنعها نوح ﷺ على عين الله، ومرأى من الله، وجرت به وبمن معه من المؤمنين - أيضاً - بمراًى من الله، وإذا قال المفسرون من أهل السنة: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] الآيات... أي: بمراًى منّا، فليس هذا من التأويل في شيء، هذا تعبير عن دلالة الكلام؛ ومعنى: تجري بمراًى منّا: تجري والله يرهاها، ويراهها بعينه التي لا تنام، فمن قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾؛ أي: بمراًى منّا، فقد عبّر عن المعنى تعبيراً صحيحاً، وليس هذا تأويلاً للعين، ولا نفيّاً للعين؛ بل هذا يتضمن إثبات العين؛ لأن العين بها تكون الرؤية ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] فيه: تصبير للرسول ﷺ، وتثبيت لقلبه على أذى أعدائه.

ومن كان الله يراه، ويرعاه، ويحفظه، ويحرسه، فإنه لا خوف عليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَاكُ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقُوبُكَ فِي السَّجْدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠) [الشعراء].

ويقول أهل السنة^(١): إن الله عينين، وإن كان لفظ العينين لم يرد في القرآن، ولم يصح به حديث فيما أعلم، وإن ذكر فيه حديث لكن في ثبوته نظر^(٢)، لكن أهل السنة فهموا من كلام الله، وسنة رسوله ﷺ؛

(١) «مقالات الإسلاميين» ص ٢١١ و ٢٩٠، و«بيان تلبس الجهمية» ٣٩٧/١ و ٢٧/٢، و«مجموع الفتاوى» ١٧٤/٤، و«الصواعق المرسلّة» ٢٥٤/١ - ٢٦٢.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد وقيام الليل، رقم (٥٠٨)؛ والعقيلي في الضعفاء ٧٠/١ من طريق إبراهيم الخوزي، عن عطاء بن أبي رباح سمعت أبا هريرة ربه يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا قام في الصلاة، فإنه بين عيني الرحمن، فإذا التفت، قال له الرب: يا ابن آدم! إلى من تلتفت؟ إلى خير لك مني أقبل على صلاتك، فأنا خير لك ممن تلتفت إليه».

إبراهيم الخوزي هو: ابن يزيد الخوزي شديد الضعف، ضعفه عامة المحدثين. انظر: «تهذيب الكمال» ٢٤٢/٢، و«ميزان الاعتدال» ٧٥/١. وهذا من =

أن الله عينين كما يدلّ عليه مفهوم ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبه طافية»^(١). ولا يجوز الخروج عن سبيل المؤمنين، فسبيل المؤمنين هو هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلِصْنَعِ عَلِيِّ عَيْنٍ﴾ [طه: ٣٩] في موسى ﷺ، يُرَبِّي في بيت فرعون على عين الله، والله تعالى يرعاه، ويحفظه، ويحرسه ﷻ من كيد الكائدين، وهذه الآية تدلّ على إثبات العين لله، لكن لا يصح أن يقال: إنها تدلّ على أنه ليس لله إلا عين، هذا فهم خاطئ لا يصدر إلا من جاهل بدلالات الكلام، فكما أن قوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، لا يدلّ على أنه ليس لله إلا يد واحدة، لا كما يقوله المغالطون الغالطون المتحذلقون: ليس لله إلا يد واحدة.

من كان له يدان يقال: أخذ هذا بيده، ولا يدلّ إفراد اليد على أنه ليس لله إلا يد؛ إذاً قوله: ﴿وَلِصْنَعِ عَلِيِّ عَيْنٍ﴾ لا يدلّ على أنه ليس لله إلا عين، ولا يفهم من كانت فطرته نقية سليمة من الشبهات، ووساوس الشيطان من هذا الكلام أنه ليس لله إلا عين واحدة. وهكذا قوله تعالى: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] هذا الأسلوب لا يدلّ على أن الله أعيناً، كما أن قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيِدِينَ﴾ [يس: ٧١] لا يدلّ على أن الله أيدي كثيرة، والحقيقة أنه لولا وجود بعض الأفكار والوساوس، والتساؤلات لما كان هناك داع لهذا التوقف، لكن هناك إلقاءات شيطانية تكلم بها من تكلم بها من أهل البدع، وتكلم بها من تكلم من جهال الناس.

إذاً ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ لا يدلّ على أن الله أعيناً؛ لأن من قواعد اللسان العربي أن المشى إذا أضيف إلى الجمع، أو صيغة الجمع، فإنه يُذكر بلفظ الجمع؛ كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]،

= منكراته. وانظر: «الضعيفة» للمحدث الألباني (١٠٢٤).

(١) البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩) من حديث ابن عمر ﷺ.

والسارق والسارقة هل تقطع لهما أربع أيدي؟ يدان من السارق، ويدان من السارقة؟

الجواب: لا؛ بل من السارق يد، ومن السارقة يد.
وهكذا قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَعَتَ قُلُوبُكُمْ﴾ [التحريم: ٤]، للمرأتين قلوب؟ أم قلبان؟

وهذه قصة عائشة، وحفصة^(١): ﴿إِنْ نُبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتَ قُلُوبُكُمْ﴾ [التحريم: ٤].

إذا؛ الجمع لا يدلّ على عدد كبير من القلوب ولا يجوز التوقف في هذا ألبتة، لا يتوقف بهذا إلا جاهل بما عليه السلف الصالح، فيجب الإيمان بكل هذه الصفات على ما يليق به سبحانه، فلا تشبه صفة من صفاته صفات المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا يعلم العباد كيفية شيء من هذه الصفات.

فلا يجوز أن نتخيل كيفية وجهه، أو كيفية العين له تعالى، لا تُفكّر فيما لا سبيل إليه، فهذا من العبث أو الهوس، نؤمن بأنه تعالى ذو سمع، وذو بصر، فهو سميع، وسمعه واسع لجميع الأصوات، وذو بصر واسع نافذ لجميع المخلوقات، وأنّ الله تعالى عينين تليقان به حقيقة يرى بهما كيف يشاء، كما أن له يدين حقيقة، كما أن له علماً، وقدرة، وحياة حقيقة كل ذلك للربّ تعالى على ما يليق به، ويختصّ به لا يماثله شيء من صفات خلقه.



(١) رواه البخاري (٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إثبات السمع والرؤية والقدرة والعزة

وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١]، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١]، ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [٢١٨] وَتَقْبُكُ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢١٩﴾ [الشعراء]، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقوله: ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

وقوله: ﴿وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ﴾ [وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٥٤﴾] (١) [آل عمران].

وقوله: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠].

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق].

وقوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

(١) تتمة الآية من (ب).

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ٨]، [وقوله عن إبليس] (١): ﴿فِعْرَنِكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

الشَّرْح

هذه الآيات كنظائرها التي تقدّمت اشتملت على إثبات العديد من أسماء الله، وصفاته ﷺ، فيجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه، من أسمائه وصفاته مع الإيمان بأنه تعالى لا مثل له في شيء من ذلك، وأنه لا يعلم كيفية شيء من صفاته أحد من خلقه، فلا يعلم كيف هو إلّا هو، ولا يعلم أحد من العباد كنه هذه الصفات؛ بل ذلك مما استأثر الله به، وهذه الصفات التي اشتملت عليها الآيات، منها من الأسماء: السميع، والبصير، والعفو، والغفور، والقدير؛ كلها أسماء ثابتة لله، وكل اسم من هذه الأسماء متضمن لصفة من صفاته ﷺ، وليست كما تقول المعتزلة: إنها مجرد أعلام محضة، لا تدلّ على معانٍ؛ لا بل هي أسماء تدلّ على صفات، فهو تعالى: السميع، وهو يسمع أقوال العباد؛ حسنها وقبيحها ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، المرأة التي ظاهر منها زوجها، جاءت تجادل النبي ﷺ وتشتكي حالها، وعيالها إلى الله، وقد كان الظهار في الجاهلية طلاقاً تحرم به المرأة، وليس لها حلٌّ؛ ولكن الله ﷻ أنزل هذه الآيات في شأنها، فأبان تعالى أن الظهار ليس طلاقاً، ولا تحرم به المرأة، ولكن تجب فيه الكفارة، وأن الظهار منكر من القول وزور، وجاء في قصة هذه المرأة عن أم المؤمنين عائشة ؓ، قالت: إني في جانب البيت، وإنه ليخفي عليّ بعض كلامها، وتقول ﷺ: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات» (٢). المرأة تجادل الرسول ﷺ، وعائشة قريبة منهم يخفي عليها بعض كلامها، والله العليّ الأعلى يسمع كلامها.

(١) زيادة من (م).

(٢) رواه أحمد ٤٦/٦، والنسائي ١٦٨/٦، وابن ماجه (١٨٨)، وصححه الحاكم ٤٨١/٢، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «بيان تلبس الجهمية» ٣١٠/١.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ (قد): تفيد التحقيق، (سمع) كلامها حين مجادلتها الرسول ﷺ، ثم علل سبحانه ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

وكذلك يسمع كلام المفترين المجترئين على الله من الكفار، لكنه يحلم عليهم، ويمهلهم ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]، هذه مقالة لبعض اليهود، واليهود أهل جرأة على الله، وتناقص ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ سمع الله قول هذا الكافر العنيد المجترىء على الله، لما أنزل الله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١١]، قال هذا الخبيث: الله فقير يستقرضنا أموالنا^(١). والله يخبرنا بأنه سمع، وليس المراد الإخبار فقط؛ بل في ضمن هذا الإخبار التهديد.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ لقد: اللام هي الموطئة للقسم؛ والمعنى: والله ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران]، فيه تهديد؛ كما أن من هذا القبيل ما جاء في قوله تعالى مهدداً للمكذبين بالرسول: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف]، الله يسمع سرهم، ونجواهم، وسيجزئهم على ما يدور في هذا السرّ والنجوى، فالله يسمع كلام المتآمريين على رسل الله، والمتناجين بالإثم والعدوان، والرسل الملائكة الموكلون بكتابة الأعمال تكتب. إذًا، هذه الأقوال الخفية التي يستسرّ بها أهلها هي مسموعة للربّ، ومكتوبة بأيدي الحفظة الكرام الكاتبين؛ وكذلك من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مَّا أَسْمَعُ وَأُرِي﴾ [طه: ٤٦]، هذا خطاب من الله لموسى وهارون لما أرسلهما الله إلى فرعون - وفرعون طاغيةٌ - وهما بشر فخافا، قال الله تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا﴾

(١) «المختارة» ١١٢/١٠ من حديث ابن عباس ؓ. وانظر: «العجاب في معرفة الأسباب» ٨٠٤/٢، و«الباب النقول» ص ٥٠.

لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا فُخِّفْنَا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ [ظه]، فلما خافا ثبتتهما بوعدهما بمعيته لهما، وبأنه يسمع ويرى ما يدور بينهما، وبين فرعون وقومه، وفي هذا وعدٌ ووعيد، ولكن جانب الوعد أظهر؛ لأنه جاء خطاباً لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، ومن صفاته تعالى: الرؤية، فهو سميع بصير.

واسمه البصير ليس اسماً مجرداً عن المعنى، بل اسم يدل على أنه تعالى ذو بصر نافذ لجميع المخلوقات، والله تعالى ينوع الأدلة على إثبات صفة الرؤية: ﴿إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ [الشعراء]، والله تعالى يرى ما يجري بين الرسل، وأعدائهم المكذبين؛ يرى ﷻ العباد في مساجدهم، ومحاربيهم، يراك أيها العبد، فاحذر أن يراك ربك حيث نهاك.

وفي ذكر السمع والرؤية في هذه المواطن تثبيت لقلوب الرسل وأتباعهم، وتقوية لعزمات العابدين، فإذا استحضر العبد - وهو يعبد ربه - أن الله يراه، فهذا مقام من مقامات الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»^(١).

ومن الآيات الدالة على الرؤية: قوله ﷻ: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وفي هذا تهديد للمنافقين بأن ما تعملون سيراه الله، ويراه الرسول، ويراه المؤمنون، وفي آية قبلها: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ ثُمَّ تُوَدُّونَ إِلَيَّ عَنِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤]؛ هذه صريحة في المنافقين، فالله يرى أعمال المؤمنين من: صلاتهم، وصدقاتهم،

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

وحجّهم، وجهادهم؛ ويرى أعمال الكافرين من: شركهم، وظلمهم، وعدوانهم، وجرائمهم؛ يرى هؤلاء وهؤلاء.

ومن الصفات التي اشتملت عليها هذه الآيات المتقدمة: صفة المكر والكيد، والمكر والكيد معناهما متقارب؛ وكذلك المحال: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]؛ يعني: شديد المكر بأعدائه من: الكافرين، والمنافقين؛ فَمَنْ مَكَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ الْمَغْلُوبُ؛ ولهذا قال ﷺ في الكافرين: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾، وفي قوم صالح: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿٥٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿٥٦﴾﴾ [الطارق]، فالله يكيد الكافرين والمنافقين، ويمكر بهم، وهو خير الماكرين، والعباد يمكرون ويكيدون، وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد؛ ولكنه تعالى يمكر بأعدائه حقيقة، ويكيدهم حقيقة.

والمكر والكيد: تدبير خفي يتضمن إيصال الضرر من حيث يظن النفع، فالذي يريد أن يمكر يظهر المحبة، ويظهر الإحسان، وهو يتخذ ذلك وسيلة للإيقاع بخصمه وعدوه.

والمكر من الناس منه: المحمود والمذموم، فإذا كان على وجه العدل، فهو محمود؛ وإذا كان على وجه الظلم والعدوان، فهو مذموم؛ فمن المحمود: المكر مجازاة، أو المكر بالكفار بالتدابير الخفية للإيقاع بهم، هذا كله من أنواع الجهاد في سبيل الله؛ ف«الْحَرْبُ خَدَعَةٌ»^(١).
لكن المكر بالمؤمنين بغير حق؛ ظلم وعدوان.

أما مكر الله، فهو كله محمود، وعدل، وحكمة، هو تعالى يمكر بالكافرين مكرًا حقيقياً، ويدبر تدبيراً خفياً، يوصل به العقاب من حيث يُظنّ الإنعام، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف]، الاستدراج هذا هو المكر، وقال تعالى:

(١) رواه البخاري (٣٠٣٠)؛ ومسلم (١٧٣٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران]؛ إملاء الله للكافرين هو من مكره بهم، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] مما يشتهونه، ويفرحون به ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، أليس هذا مكرًا؟

يفتح الله عليهم أبواب المسرات، والنعم، والخيرات، ويصّب عليهم ما يشتهون حتى إذا فرحوا بما أُوتوا أحلّ بهم النعمة ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤] فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَطُغِيَ دَائِرُ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام]، إي: والله مكر. والآن ما تتمتع به أُمم الكفر من الحضارة القائمة، والرقّي والتقدم المادي، والسلطان والقوة على سائر أُمم الأرض، هذا - والله - من مكر الله بهذه الأُمم الطاغية، فهم يعيشون في مكر من الله، فهذه الفتوح المادية أدّت بهم إلى الاغترار، والزهو، والغطرسة، والكبرياء، والتسلط، والظلم... هل انتفعوا بهذه الحضارة؟ لا والله، بل ازدادوا بها إثماً، «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»^(١).

فالواجب على المسلمين ألا يغتروا بما يعيشه الكفار من مظاهر عزّ، وتقدّم، ورقّي، وعلوم، ومعارف، وعلى المسلمين أن يسعوا فيما ينفعهم؛ لكن من غير أن يعجبوا بالكفار، أو يعظّموهم، أو يسيروا في ركابهم، أو يقلّدوهم في التوافه، وفيما يضرّ ولا ينفع.

المقصود: أن هذا من مكر الله، ومن مكر الله بالمنافقين أن شرع قبول علانيتهم، فمن أظهر الإيمان، وأبطن الكفر، فقد أمر الله أن نقبل علانيته، ونترك سريرته، فيظنّ المنافق أن نفاقه قد راج على الله، وأنه بهذا قد خدع الله: ﴿يُخٰدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

(١) رواه البخاري (٤٦٨٦)؛ ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ومن الصفات التي اشتملت عليها هذه الآيات المتقدمة صفة: العَفْوُ والقدرة، ومن أسمائه تعالى: العَفْوُ، والقدير؛ قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٤٨) ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ (١٤٩) [النساء]، في هذه الآية إثبات اسمين من أسماء الله تعالى: العَفْوُ، والقدير، وكل اسم متضمن لصفة، فمن صفاته: العفو والتجاوز عن السيئات، وإزالة آثارها، ومن صفاته: القدرة.

والعفو إنما يكون كمالاً إذا كان مع قدرة؛ ولهذا قرن الله بين هذين الاسمين العفو والقدير، فعفوه تعالى لا عن عجز، بل مع كمال القدرة.

وهكذا قوله تعالى: ﴿لَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]؛ فيه إثبات اسمين من أسمائه، وهما: الغفور الرحيم.

والغفور صيغة تدل على كثرة مغفرته للذنوب، فهو سبحانه: الغفور، والغفار، وهو غافر الذنب.

وهو الرحيم ذو الرحمة الواسعة، الذي لم يزل موصوفاً بالرحمة، وفي هاتين الآيتين ترغيب في العفو، والرحمة، فإن الجزاء من جنس العمل، فَمَنْ عَفَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، ومن غفر غفر الله له، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ (١٤٩) [النساء]، ومن سنة الله في الجزاء أن يجازي كلاً بجنس عمله، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (١٦) [الرحمن]، وفي الدعاء الذي علمه النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة حين سألته: أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: «قولي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ، فاعف عني»^(١). فالله يحب لعباده أن يعفو بعضهم عن

(١) رواه أحمد ١٧١/٦، والترمذي (٣٥١٣) وصححه، وابن ماجه (٣٨٥٠)؛ والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٧٢ - ٨٧٨)، والحاكم ٥٣٠/١ من حديث عبد الله بن بريدة عن عائشة رضي الله عنها، وقال الدارقطني والبيهقي: لم يسمع من =

بعض، وأن يغفر بعضهم لبعض ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، وهذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، عندما حلف ألا ينفق على مسطح ابن بنت خالته، فلما أنزل الله هذه الآية، قال: «بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لي، فَرَدَّ على مسطح نفقته»^(١).

ومن الصفات التي ورد بعض الأدلة والشواهد عليها: العزة، فمن صفاته تعالى: العزة، والعزة تُفسَّر: بالقوة، والغلبة، ومن أسمائه: العزيز، فله العزة جميعاً بكل معانيها، وهو الذي منه العزة، فِعَزَّ من يشاء، ويدلّ من يشاء، وقد جعل العزة الحقّة للرسول صلّى الله عليه وآله، وللمؤمنين: ﴿وَاللَّهُ الْعَزِيزُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وكلما كان حظ الإنسان من الإيمان أكبر؛ كان حظّه من العزة والنصر والنجاة أوفر، فاسمه العزيز يدلّ على صفة العزة، فليس اسماً محضاً مجرداً خالياً عن المعنى.

وقال عن إبليس: ﴿فِعْرِيكَ لَأَعْوَبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، فأقسم إبليس بعزة الله، وهدد آدم وذريته بالإغواء؛ نعوذ بالله من إبليس وجنوده من شياطين الإنس والجنّ.

فلله تعالى الغلبة على كل شيء ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْذَلِينَ﴾ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٦١﴾ [المجادلة]، وهو سبحانه العزيز؛ أي: الذي لا مثيل له، فله تعالى العزة بكل معانيها على أكمل وجه، وإن كان المخلوق قد يسمى عزيزاً؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَمْرَأْتُ الْعَزِيزُ﴾ [يوسف: ٥١]، فله عزة تناسبه، وليس

= عائشة. سنن الدارقطني ٣٣٦/٤، والسنن الكبرى ١١٨/٧. وصححه النووي في الأذكار ص ٢٧٧، وابن القيم في «إعلام الموقعين» ٢٩٨/٤، وانظر: «العلل» للدارقطني ٨٨/١٥.

(١) رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

العزیز كالعزیز، ولا العزّة كالعزّة، فسبحان الله العظیم الذي له الأسماء
الحسنى والصفات العلاء، وله المثل الأعلى.



نفي النقائص عن الله كالكفء والنّد والولد والشريك...

وقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِثْقٌ مِّنَ الدُّنْيِ وَكَبِيرَةً تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الأنبياء]، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [١/٢٧]، ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف].

الشرح

هذه الآيات التي ساقها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَخْتَلِفُ عَنِ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ

الْفَرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴿الفرقان﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴿الإخلاص﴾، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

هذه الآيات تتضمن وصف الله بنفي تلك النقائص عنه سبحانه، فالله موصوف بالإثبات وبالنفي، ومن صفات النفي التي يوصف الله بها تعالى؛ أنه منزّه عن: الولد، والوالد، والكفاء، والند، والشريك، والولي من الذلّ.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] فيه نفي الولد، ونفي الولد نجده في القرآن كثيراً كما في هذه الآيات التي فيها التنديد بالذين ينسبون إليه الولد؛ وذلك لأن كثيراً من الأمم نسبوا إليه ذلك - تعالى الله عما يقولون -، فاليهود قالت: عزيز ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، ومشركو العرب قالوا: الملائكة بنات الله؛ ولهذا كثر التنديد بمقاتلتهم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢١﴾ [النجم].

وكل من أشرك مع الله غيره، فقد جعل له مثلاً، وجعل له ندّاً؛ ولهذا أنكر الله عليهم ذلك ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]: لا تجعلوا له أشباهاً ونظراء، فإنه لا نظير له؛ لا تجعلوا له أنداداً في العبادة، فإنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، فلا مثل له في ذاته، ولا في صفاته، ليس كمثل شيء.

وهذه الآيات الغالب فيها النفي، وإن كان فيها إثبات، لكن الشيخ رحمه الله ساقها للاستشهاد بها على الصفات السلبية، فالله تعالى موصوف بنفي النقائص، والعيوب؛ كنفي الشريك، ففي القرآن: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٣]، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، ونفي الولد، والصاحبة: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴿[الأنعام: ١٠١]، ونفي المثل: ﴿فَلَا تَقْرَبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ
 إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
 [الشورى: ١١]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ
 اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فدَمَّ ﷺ الذين اتَّخذوا من دون الله أنداداً في المحبة؛ يحبونهم
 كحبهم لله .

والسمي، والندّ، والكفاء أو الكفو، والمثل؛ كلّها ألفاظ متقاربة
 تفسّر بالمثل، والشبه، والشبيه، والنظير، فإنه ﷺ لا سميّ له، ولا كفو
 له، ولا ندّ له، ولا يُقاس بخلقه، ونفي هذه النقائص يستلزم إثبات
 الكمال، وتفردّه به، فهو ﷺ المتفرد بربوبيّته، وإلهيته، وأسمائه،
 وصفاته: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ
 بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]؛ نفي الولد، ونفي الإله، لو كان مع الله إله آخر
 لكان للإله خلق، ولانفرد، وذهب كل إله بما خلق، ولعلّا بعضهم على
 بعض، ولكنه ما ثمّ إلا إله واحد، هو الإله الحق، وكل ما يُعبد من
 دون الله فهو معبود بالباطل .

فليس في الوجود إله حق إلا الإله الواحد ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُكَ وَنَعْبُدُ آبَاءَنَا
 وَإِلَٰهَنَا وَنَعْبُدُكَ وَنَعْبُدُكَ وَنَعْبُدُكَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ
 إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، لا إله إلا الله:
 أصل دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، لا إله إلا الله: نفي لإلهية
 ما سوى الله، وإثبات الإلهية له تعالى، ولا يتحقق التوحيد إلا بذلك
 بإثبات الإلهية له، ونفي الإلهية عمّا سواه، ثم تخصيصه بالعبادة، وعبادته
 تعالى وحده، وترك عبادة ما سواه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾
 [النساء: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿بِذِكْرِ اسْمِ رَبِّكَ﴾ [الرحمن].

تبارك: هذه الكلمة تدلّ على التنزيه والتقديس؛ تنزيه الله تعالى،
 وتقديسه عن كل النقائص والعيوب، من: الشركاء، والأنداد، والأولاد.

وفيها: الدلالة على أنه تعالى ذو الخير، والبركة. والبركة: هي الخير الكثير، وهو ﷺ الذي بيده الخير، وهو الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العُلا.

وتبارك: تدلّ على أن بركته تعالى ذاتية ليست مكتسبة. أما المخلوق، فما يكون فيه من بركة، فهي بركة موهوبة.

قال الله عن عيسى ﷺ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مریم: ٣١]، فالعبد يكون مباركاً، ولا يقال في العبد: إنه تبارك، لا تقل: فلان تبارك، كما يجري على ألسنة بعض الناس يقولون: تباركت علينا يا فلان، أو تبارك هذا الشيء، تباركت هذه السلعة، أو هذه الدار... هذا غلط، والصواب أن تقول: هذه سلعة مباركة، وهذه دابة مباركة، وسيارة مباركة، وهذا شيء مبارك، وما إلى ذلك^(١).

فالله يجعل البركة فيما شاء من خلقه. أما الله تعالى، فبركته ذاتية له، فهو الذي يوصف بأنه تبارك، يقال: تبارك الله أحسن الخالقين، تبارك الله رب العالمين، تبارك الذي نزل الفرقان على عبده.

ف(تبارك) لا تُضاف إلا إلى الله، أو إلى اسم من أسمائه، ﴿بَبَرَك﴾ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨].

وتقدّم^(٢): أن القاعدة فيما يوصف الله به من النفي؛ أن يكون مجملاً لا مفصلاً، وهذا هو الغالب، وقد يأتي النفي مفصلاً؛ فنفي الكفاء، والندّ، والسمي، والمثل؛ كل هذا من قبيل النفي المجمل؛ لأنه نفي مطلق عام، فلا سميّ له، ولا كفاء له، ولا ندّ له؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهذا نفي مجمل.

أما نفي الولد، ونفي النوم والسنة، ونفي الصاحبة؛ فهذا من النفي المفصل.

(١) «بدائع الفوائد» ٢/ ٦٨٠، و«فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم» ١/ ٢٠٧، و«أضواء البيان» ٦/ ٢٩١.

(٢) ص ٣٩.

وكلُّ ما يوصف الله به من النفي، فإنه متضمن لإثبات كمال، فنفي السَّنة، والنوم؛ يتضمن إثبات كمال حياته وقِيُوميته.

ونفي الضلال والنسيان ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، يتضمن إثبات كمال علمه.

ونفي الغفلة عنه تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، يتضمن كمال علمه؛ فلِكَمال علمه سبحانه لا يغفل.

ونفي الشريك يتضمن كمال تفرده ﷻ في ربوبيته، وإلهيته؛ فهو الواحد، وهو الأحد، وهو الإله الذي لا شريك له ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ نفى الولد ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾: لا شريك له في ملكه، ولا شريك له في شيء من أسمائه، وصفاته سبحانه.

ونفي الولد من الذلّ يتضمن: كمال عزّته، وكمال قوته وقدرته. وولايته لأوليائه لم تكن لحاجة وذلّ يلحقه تعالى وتقدّس؛ بل هو القوي العزيز، وهو القدير المُقتدر؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِئٌ مِّنَ الذَّلِّ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء]؛ عَظُم ريبك تعظيماً بالقول وبالفعل، فهو الكبير المتعال، وهو أكبر من كل شيء؛ الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

ومن الآيات التي ساقها المؤلف قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

الفواحش: الفَعَلات المنكرة البالغة في القبح غايته، وتستفحشها وتستقبحها الفطر السليمة، والعقول المستقيمة.

والبغي: ظلم الخلق.

﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ولعلّ هذا هو الشاهد، فتحريم

الشُّرك بالله يتضمن نفي الشريك؛ كما أن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] نهيٌّ عن جعل الأنداد لله؛ لأنه لا ندَّ له، فلما كان تعالى لا ندَّ له حرَّم على عباده أن يتخذوا له أنداداً؛ لأن ما يتخذونه أنداداً وشركاء هي ليست أنداداً ولا شركاء إلا في زعم المشركين وظنهم، وإلا فهي مخلوقات مربوبة ناقصة عاجزة.

المقصود: أن هذه الآيات ساقها المؤلف استشهداً على أنه تعالى: موصوف بالإثبات والنفي، وأن الله جمع فيما وصف وسمّى به نفسه بين النفي والإثبات، فنجد بعض الآيات فيها إثبات، وبعضها فيها نفي فقط، وبعضها يجمع الله فيها بين النفي والإثبات، وكلّ إثبات فإنه يتضمن نفي ضده.

فإثبات العلم يستلزم نفي الجهل، والنسيان، والضلال، والغفلة، ونفي هذه الأشياء يتضمن كمال العلم، وهكذا نجد أن أساليب القرآن في وصفه تعالى متنوّعة كثيراً، مُجملة، ومفصّلة، ونصوص الصفات هي أكثر ما في القرآن.



إثبات استواء الله تعالى على عرشه

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ ﴿٥﴾ [طه] ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ في ستة مواضع في سورة الأعراف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، وقال في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وقال في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥] وقال في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال في سورة ألم السجدة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤﴾ [السجدة] وقال في سورة الحديد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] (١).

الشَّحْخ

يتابع الشيخ رحمته الله سوق الشواهد القرآنية على إثبات صفاته عليه السلام، فيذكر النصوص الدالة على صفة استواء الله على عرشه عليه السلام، وبين أن ذكر استواء الله على عرشه جاء في هذه المواضع السبعة في كتاب الله. وقال أهل العلم: العرش: معناه في اللغة: سرير المَلِكِ، أو سرير المَلِكِ (٢)، والمعنى واحد.

(١) سرد آيات الاستواء من (م)، ولم ترد في (ط)، (ب).

(٢) «لسان العرب» ٦/٣١٣.

والمراد بالعرش في هذه الآيات: عرش الرحمن، وهو سرير مخلوق، وهو أعلى المخلوقات، وأعظمها، ولا يُقَدَّرُ قدره إلا الله، ولا يحيط العباد بعظمة هذا العرش، وقد وصف الله العرش بأنه: عظيم ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦]، وكريم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، ومجيد ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾ [البُورج: ١٥] على قراءة الجر^(١).

وفي هذه الآيات التي ساقها المؤلف أخبر الله فيها عن استوائه على العرش، ومعناه كما جاء ذلك عن السلف^(٢): علا، وارتفع، واستقر على العرش.

واستوى سبحانه على العرش استواء يليق به، ويخصه، لا يشبه استواء المخلوق.

وهل المخلوق يوصف بالاستواء على غيره؟ نعم ﴿لِئَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ [الزخرف: ١٣]، ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّنا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون]، واستوت سفينة نوح ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وليس الاستواء كالاستواء؛ فاستواء الله على عرشه ليس كاستواء المخلوق بل استواء يخصه، ويليق به، ويناسبه، ولا يعلم العباد كنهه، فيجب أن يثبت ذلك لله مع نفي مماثلته لصفة المخلوق، ونفي العلم بالكيفية، لكن الاستواء معناه معلوم كما قال الأئمة، قال الإمام مالك لما قال له رجل: كيف استوى؟ قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»^(٣).

(١) هي قراءة حمزة، والكسائي وخلف العاشر. «التيسير» ص ٢٢١، و«النشر» ٣٣٩/٢.

(٢) قال ابن القيم في «الكافية الشافية» ص ١٢٠:

فلهم عباراتٌ عليها أربعٌ قد حُصِّلت للفارِس الطَّعَّانِ وهي: استَقَرَّ وقد علا وكذلك ار تَفَعَّ الذي ما فيه من نكرانٍ وكذلك قد صَعِدَ الذي هو رابعٌ

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٧.

أي: معناه معلوم في اللغة العربية؛ لأن الله أنزل هذا القرآن بلسان عربي مبين، وأمر عباده بتدبر القرآن، وذم المعرضين عن ذلك. فمعنى استوى: علا، وارتفع، واستقر، كيف شاء ﷺ. نعلم معنى ذلك، لكننا لا نعلم كيفية ذلك.

«والإيمان به واجب».

لأن أصل الإيمان هو: الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، فالإيمان بالقرآن، والإيمان بالرسول ﷺ يقتضي التصديق بكل ما في الكتاب والسنة من الأخبار.

«والسؤال عنه بدعة»؛ لأنه تكلف، وسؤال عما لا سبيل إلى العلم به.

ونلاحظ أن آية طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه] فيها الإخبار بأنه استوى على العرش، لكن متى؟ الله أعلم، لم تدل الآية على ترتيب هذا الاستواء، أو وقت هذا الاستواء، لكن سائر الآيات فيها ذكر خلق السموات والأرض، وعطف الاستواء على ذلك بحرف (ثم)، فهي تدل على أن استواءه على العرش بعدما خلق السموات والأرض، وهذا في كل الآيات الست ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء الله مخصوص بالعرش، فلا يقال: إنه تعالى استوى على السماء، فضلاً أن يقال: استوى على الأرض؛ بل استوى على العرش الذي هو سقف المخلوقات، فهو أعلى المخلوقات وأعظمها، والله تعالى فوق جميع المخلوقات، ويلزم من استوائه على العرش علوه فوق جميع المخلوقات.

وأهل السنة مجمعون على إثبات هذه الصفة، وأهل البدع من: الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة هذه الطوائف الرئيسية، ومن دخل مدخلهم كالرافضة؛ لأن الرافضة اتبعوهم فصاروا معتزلة، وكذلك الزيدية الذين دخلت عليهم أصول المعتزلة، الكل ينفون صفة الاستواء، ومنهم من ينفي حقيقة العرش أيضاً، ويقول: المراد بالعرش: المُلْك، استوى

على العرش يعني: استولى على الملك، فيفسرون الاستواء بالاستيلاء، والعرش بالملك، وقد يكتفي بعضهم بتأويل الاستواء إلى الاستيلاء بصرف لفظ الاستواء إلى الاستيلاء، وهذا تحريف للكلم عن مواضعه.

أما العرش فقد دلت النصوص على أنه مخلوق متميز على سائر المخلوقات وصف في القرآن بأنه: عظيم، وكريم، ومجيد.

وجاء في السنة أنه: ذو قوائم^(١)، وجاء في القرآن أنه محمول ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧] هل يصح أن تكون: الذين يحملون الملك؟!

هم من جملة ملك الله؛ فلا يستقيم هذا التفسير الذي هو في الحقيقة تحريف.

وتفسير الاستواء بالاستيلاء أيضاً فاسد من جهة اللغة، ومن جهة الشرع، فإنه لا يعرف في اللغة، استوى: بمعنى استولى، ولا دليل لهم عليه إلا بيت قاله الأخطل النصراني^(٢):

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهران^(٣)
قالوا: إن هذا معناه استولى على العراق. وليس هذا صريحاً، استوى بشر على العراق، يعني: علا على عرشه، صار سلطاناً عليه، وهذه عمدتهم.

و - أيضاً - من جهة المعنى، لا يصح، فإن الاستيلاء يشعر بأنه

(١) روى البخاري (٢٤١٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تخبروا بين الأنبياء؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش». الحديث.

(٢) غياث بن غوث بن الصلت التغلبي النصراني، أبو مالك، وكان هو وجريه والفرزدق أشعر أهل زمانهم. تاريخ دمشق ١٠٤/٤٨.

(٣) هذا البيت ينسب للأخطل، وليس في ديوانه، فقيل: إنه محرف، وإنما هو: بشر قد استولى على العراق. وقيل: إنه مصنوع. انظر: فتاوى ابن تيمية ١٤٦/٥، ومختصر الصواعق المرسله ٩١٢/٣.

كان قبل ذلك غير مستول عليه، وأنه صار مستولياً عليه بعد أن لم يكن، أو يشعر - أيضاً - بالمغالبة^(١).

المهم: أن المعطلة ومن سلك سبيلهم؛ ينفون حقيقة الاستواء، ويفسرونه بالاستيلاء، وأهل التأويل منهم.

أما أهل التفويض؛ فيقولون: هذه نصوص يجب أن نمرها ألفاظاً دون أن يفهم منها معنى، ودون أن تفسر.

أي: تقرأ ألفاظاً جوفاء، لا تتدبر، ولا يعقل لها معنى، وكلا القولين باطل - قول أهل التفويض، وأهل التأويل -.

فالاستواء يجب إثباته لله، ويجب أن نؤمن بأنه تعالى مستول على العرش، وأنه استوى عليه بعد خلق السموات والأرض، والعرش مخلوق قبل ذلك قال النبي ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»^(٢).

وفي الحديث الآخر عنه ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات، والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»^(٣).

ونصوص الاستواء نوع من أنواع أدلة علوه تعالى على خلقه التي سيذكر الشيخ منها نماذج في الشواهد التالية.

(١) أبطل العلامة ابن القيم زعمهم من اثنين وأربعين وجهاً. «مختصر الصواعق» ٨٨٨/٣.

(٢) رواه البخاري (٧٤١٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وانظر: شرحاً موسعاً لهذا الحديث في «مجموع الفتاوى» ٢١٠/١٨ - ٢٤٤.

(٣) رواه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

علو الله تعالى ومعيته لعباده

﴿يَلْعَسُوْا اِنِّىْ مُتَوَفِّىْكَ وَاَرَاغَكَ اِلَى﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ اِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿اِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، [وقوله: عن فرعون] ^(١) ﴿يَهْتَمُنْ اَبْنِ لِىْ صَرَخًا لَعَلِّىْ اَبْلُغُ الْاَسْبَدَ﴾ [غافر]، ﴿ءَاْمَنْتُمْ مِّنْ فِى السَّمَاۗءِ اَنْ يَّخِىْفَ بِكُمْ الْاَرْضَ فَاِذَا هِىَ تَمُوْرٌ﴾ [١٦] أَمْ اَمَنْتُمْ مِّنْ فِى السَّمَاۗءِ اَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَوْنَ كَيْفَ نَذِيْرٌ﴾ [١٧] [المُلك]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيْجُ فِى الْاَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاۗءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيْهَا وَهُوَ مَعَكُمْ اِنَّ مَا كُنْتُمْ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ﴾ [الحديد]، ﴿مَا يَكُوْنُ مِنْ نَّجْوٰى ثَلَاثَةٍ اِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ اِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا اَدْنٰى مِنْ ذٰلِكَ وَلَا اَكْثَرَ اِلَّا هُوَ مَعَهُمْ اِنَّ مَا كَانُوْا ثُمَّ يُنۡتَهُمۡ بِمَا عَمِلُوْا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ﴾ [المجادلة]، ﴿لَا تَحْزَنْ اِنَّ اللّٰهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿اِنۡنِىْ مَعَكُمْ اَسْمَعُ وَاَرۡى﴾ [طه: ٤٦]، ﴿اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوۡا وَالَّذِيْنَ هُمۡ مُّحْسِنُوْنَ﴾ [النحل]، ﴿وَاَصۡبِرُوْا اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿كَمۡ مِّنۡ فَتۡنَۃٍ قَلِيْلَةٍ غَلَبَتۡ فَتۡنَۃً كَثِيْرَةًۢ بِاِذۡنِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ مَعَ الصّٰكِرِيْنَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

الشَّرْح

جملة من هذه الآيات تدل على علوه تعالى، وأدلة علو الله تعالى على خلقه أنواع كثيرة جداً في القرآن، والسنة، وأوصلها العلامة ابن

(١) زيادة من (م).

القيم إلى أكثر من عشرين نوعاً^(١)، كل نوع تحته أفراد من الأدلة، فمثلاً:

من أنواع أدلة العلو:

١ - التصريح باستواء الله على عرشه، هذا نوع، وتحتة سبعة أدلة في القرآن، كلها فيها تصريح باستواء الله على عرشه.

٢ - التصريح برفع بعض المخلوقات إليه قال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

٣ - التصريح بصعود بعض المخلوقات إليه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وعروج بعض المخلوقات إليه: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

٤ - التصريح بفوقيته تعالى على عباده: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

٥ - التصريح بالفوقية مقرونة بمن: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

٦ - التصريح بأنه في السماء، وهذا في القرآن في موضعين، قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٧].

٧ - إخباره تعالى عن فرعون بأنه قال لهامان: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [٣٦] ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

(١) «الكافية الشافية» ص ١٠٣، و«إعلام الموقعين» ٢/ ٢٨١، وذكر في «الصواعق المرسله» ٤/ ١٢٨٠ - ١٣٤٠: ثلاثين طريقاً تدل على علوه تعالى على خلقه.

ووجه دلالة هذه الآية على العلو: أن فرعون تظاهر بأنه يطلب إله موسى في السماء، مما يدل على أن موسى قد أخبره بأن إلهه في السماء، فذهب الطاغية يقول لوزيره هامان: ﴿أَبْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ يعني: الذي يزعم أنه في السماء، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية على أن الله في السماء.

٨ - التصريح بوصف العلو: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] العلي: اسم من أسمائه؛ فله العلو بكل معانيه، وله الفوقية بكل معانيها: ذاتاً، وقدراً وقهراً.

وغيرها من أنواع الأدلة^(١).

وأنكر المعطلة علو الذات^(٢). وعلو القدر؛ وإن أثبتوه لفظاً فما أثبتوه في الحقيقة؛ لأن من نفى صفات الرب تعالى، ونفى أسماءه فما أثبت لله علو القدر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

فالعلو الذي فيه نزاع بين أهل السنة، وطوائف المبتدعة، هو علو الذات، فأهل السنة يؤمنون بما دلت عليه هذه النصوص من أنه في العلو، فوق جميع المخلوقات، فهو سبحانه عال بذاته فوق جميع المخلوقات، فهو العلي الأعلى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى].

وأما أهل البدع - نعوذ بالله من الضلال، وزيف القلوب - فيقولون: إنه ليس في السماء، ليس في العلو، بل هو في كل مكان، حالاً في المخلوقات، وهؤلاء هم الحُلولية الذين رد عليهم الإمام أحمد، وقال: «إن قولكم يستلزم أن يكون الله في أجسامكم، وأجوافكم، وأجواف

(١) انظرها مع كلام الأئمة في: «كتاب العلو» للذهبي؛ و«اجتماع الجيوش الإسلامية» ص ٩٥ - آخر الكتاب. وانظر: الحاشية السابقة.

(٢) انظر: «مختصر الصواعق» ٣/١٠٦٠.

الخنازير، والحشوش»^(١).

وكفى بهذا تنقصاً لرب العالمين؛ فالله أعلى وأجل من أن تحيط به مخلوقاته، وأن يحويه شيء من مخلوقاته؛ بل هو العلي العظيم، العلي فوق كل شيء، العظيم الذي لا أعظم منه، فلو كان حالاً في كل مكان لما كان هو العلي، ولما كان هو العظيم مطلقاً.

وهؤلاء الضلال عمدوا لهذه النصوص الكثيرة، فحرفوها كما حرفوا نصوص الاستواء، أو فوضوا، فقد يقولون: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]: رفع الله عيسى إلى محل عظمته، وسلطانه؛ هذا من نوع تحريفاتهم، و﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] إلى محل عظمته، وسلطانه، وسلطان الله في كل مكان.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] يقولون: أأمنتم من في السماء أمره!

وأمر الله سبحانه وسلطانه نافذ في كل شيء.

فيؤولون النصوص بنحو هذه التأويلات السمجة.

والنصوص دالة على أن من العباد، ومن المخلوقات ما هو عنده ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَحْسِنُونَ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف] هؤلاء الملائكة المقربون.

فعندهم: أن الله في كل مكان، والملائكة لا تعرج إليه، ونسبة كل المخلوقات إلى الله نسبة واحدة ليس بعضها أقرب إلى الله من بعض.

وكفى بهذا تنقصاً لرب العالمين، وتلاعباً بكلامه ﷺ حيث يصرف عن وجهه، ويحرف عن مواضعه، ويدعى أن كل هذه النصوص ليست على حقيقتها بل هي مجاز.

إذاً؛ يجب الإيمان بأنه تعالى له العلو بكل معانيه، والفوقية بكل

(١) «الرد على الجهمية والزندقة» ص ١٤٤.

معانيها، وأنه تعالى فوق جميع المخلوقات، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم، فتقول: إنه تعالى فوق جميع المخلوقات، وإنه العالی على جميع المخلوقات؛ ولكن لا تقل: إنه استوى على جميع المخلوقات، فالاستواء مختص بالعرش، وأما العلو فإنه على جميع المخلوقات.

والفرق بين العلو، والاستواء:

١- أن العلو طريق العلم به: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

والاستواء طريق العلم به: الكتاب، والسنة، والإجماع. والاستواء دليلٌ على العلو.

٢ - الاستواء متعلق بالعرش؛ فلا يقال: مستو على السماء الدنيا - مثلاً - . وأما العلو فالله تعالى عال على كل شيء، تقول: الله فوق العرش، وفوق السماء، وفوق عباده، وفوق كل شيء.

٣ - الاستواء صفة فعلية تتعلق بالمشيئة، فالله استوى على العرش حين شاء، وقد أخبر أنه استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض، وهو مستو بذاته تعالى.

وأما العلو فهو صفة ذاتية؛ فالعلو لا ينفك عن ذاته ﷻ فله العلو المطلق دائماً وأبداً^(١).

ثم ذكر الشيخ رحمته الله بعد أن ساق جملة من النصوص الدالة على علوه - تعالى - على خلقه، النصوص الدالة على المعية، وفي هذا تناسب، ففي مقابل أدلة العلو يذكر أدلة المعية، ومن هذه النصوص آية الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وفي سورة المجادلة: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] وهذه هي المعية العامة المتضمنة للعلم.

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ

(١) نحوه في «شرح حديث النزول» ص ٣٩٥.

وَلَا أَدْرِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة].

والمعية في اللغة العربية تدل على: مطلق المقارنة، والمصاحبة، ولا تستلزم اختلاطاً، ولا ممازجة، فوصفه تعالى بأنه مع عباده لا يدل على أنه حال في المخلوقات، كما زعم المبطلون الغالطون: أن هذه الآيات تدل على أنه في كل مكان مع عباده، معهم في بيوتهم، ومعهم في سائر ما يكونون فيه.

هذا فهم خاطئ، هو سبحانه في السماء، في العلو، مستو على عرشه، وفي نفس الوقت هو مع عباده يسمع كلامهم، ويرى مكانهم وحركاتهم وسكناتهم، ويعلم سرهم ونجواهم، لا يخفى عليه شيء من أمرهم.

ولا يعني ذلك أنه مع النجوى الثلاثة، والأربعة... في المكان الذي هم فيه، وأنه متصل بهم، ومن فهم أن الله تعالى حال بين أولئك النجوى داخل السقف الذي هم تحته؛ فهو جاف الطبع، جامد العقل، فاسد الفهم - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وعمّا يظنه الجاهلون - فذلك من ظن السوء بالله.

وهذه المعية يسميها أهل العلم، المعية العامة؛ لأن الله مع الناس كلهم ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

ومن قال من السلف: إنه تعالى معهم بعلمه؛ فهو حق، إنما قال ذلك؛ لبيان أن مقتضاها: العلم، والسمع، والبصر، وقال الإمام أحمد: «إن الله تعالى بدأ آية المعية بالعلم، وختمها بالعلم»^(١).

فمعنى أنه معهم أين ما كانوا يعني: معهم بعلمه، وهو عَلَّامُ السَّمَاوَاتِ فوق السموات.

(١) «الرد على الجهمية والزنادقة» ص ١٥٤.

وأما المعية الخاصة؛ ففي الآيات الأخرى، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مَاتًا سَمِعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦] ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] هذه معية خاصة؛ لأنها جاءت مقيدة، فالصابرون، والمتقون هم بعض العباد لا كلهم. وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] هذا قاله الرسول ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه عندما قال له: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١). وأخبر الله سبحانه عن هذه المقالة: ﴿إِلَّا أَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِثَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] هذه معية خاصة، والمعية الخاصة تتضمن ما تتضمنه المعية العامة من: العلم، والسمع، والبصر؛ وتزيد: بالنصر، والتأييد، والرعاية، وتتضمن حفظهم، وكلاءتهم.

والخلاصة أن المعية المضافة إلى الله نوعان^(٢):

معية عامة، ومقتضاها: العلم، والسمع، والبصر.
ومعية خاصة، ومقتضاها الخاص: الحفظ، والنصر، والتأييد، والعناية، والرعاية منه ﷺ لأوليائه.
فالمعية العامة، عامة للبر والفاجر، وأما الخاصة، فهي خاصة بالمرسلين، والمؤمنين، والمتقين، والمحسنين، والصابرين، وهكذا.
وأهل السنة والجماعة يثبتون المعية له تعالى على ما يليق به، ويؤمنون بأنه لا منافاة بين علوه، ومعيته، فهو عال في دنوه، قريب في علوه، ولا تعارض بين النصوص الدالة على علوه، والنصوص الدالة على قربيه، ومعيته ﷺ.

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أنس عن أبي بكر رضي الله عنه.
(٢) «منهاج السنة» ٣٧٢/٨، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ١١/٢٤٩، و«مجموع الفتاوى» ١٢٢/٥، و«مدارج السالكين» ٢٥٤/٢.

وأهل الضلال يعارضون بينها، ولاحظ كيف حرفوا نصوص العلو، وحملوا نصوص المعية على ظاهرها عندهم، وليس ما فهموه هو ظاهرها، كلا، لكنهم فهموا نصوص المعية، وحملوها على ظاهرها عند ذي الفهم السقيم، والذهن الجاف الجامد.

والله سبحانه مع عباده أين ما كانوا، لا يخفى عليه من أحوالهم خافية، علمُ الله في كل مكان محيط بكل شيء، والله تعالى فوق مخلوقاته ﴿لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق] (١).



(١) وانظر: ص ١٥٦ فهناك فصل خاص لتقرير هذا المعنى.

إثبات صفة الكلام لله تعالى

وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ بِنِجْمٍ أَيْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]^(١)، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنَ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [٥٢] ﴿مريم﴾، ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١٠] ﴿الشعراء﴾ ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَهْمًا ثُمَّ أَتَاهُمَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمَا أَلْوَاهًا﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [١٦] ﴿القصص﴾، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٥] ﴿القصص﴾، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة]، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ فُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح: ١٥]، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧].

الشرح

هذه الآيات ساقها الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ للاستدلال بها على إثبات كلام الله، وأن الله يتكلم، ويُكلم، وقال، ويقول، والنصوص

(١) في (ظ) و(ب): «كلمات» بالجمع، وهي: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر. «التيسير» ص ١٠٦، و«النشر» ٢/٢٦٢.

القرآنية الدالة على إثبات صفة الكلام لله كثيرة جداً.

وأهل السنة يؤمنون بما دلت عليه هذه النصوص بأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء بما شاء، وكيف شاء، لم يحدث له الكلام بعد أن كان غير متكلم، فيوصف تعالى بالقول فهو يقول، وبأنه يتكلم ﷻ، ويوصف بالمناداة، فهو ينادي، ويناجي ﷻ، ويتكلم كلاماً يسمعه من شاء من عباده، وكلامه بحرف وصوت، يعني: بكلمات وحروف، فكلامه تعالى حروف وكلمات، وسور وآيات، فيجب إثبات صفة الكلام له ﷻ مع نفي مماثلته تعالى للمخلوقات، فكلامه، وتكلمه ليس ككلام أحد من الخلق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وكلامه تصعق منه الملائكة، «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله»^(١) أي: تعظيماً له سبحانه، ولعظم ما يسمعون من وقع كلامه ﷻ، ولكنه إذا شاء كلم عباده، وجعل لهم الطاقة والقدرة على سماع كلامه، أو يكلمهم كيف شاء كلاماً تحتمله قواهم، كما كلم موسى، ونادى الأبوين: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] فكلامه ﷻ مسموع يُسمعه من شاء من عباده، وأهل البدع المعطلة، ومن تبعهم ينفون الكلام عن الله^(٢)، ويقولون: إنه لا يتكلم، ولا يكلم، وأن هذا يستلزم التشبيه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فنفوا حقيقة الكلام عن الله بمثل هذا التلبس الذي هو من وحي إبليس البعيد العدو المبين.

وماذا يقول هؤلاء الضلال عن القرآن؟

يقولون: إنه كلام مخلوق خلقه الله في الهواء لا في محل، وعبر عنه جبريل، أو خلق كلاماً في الهواء، وتلقاه جبريل وبلغه.

(١) رواه البخاري (٤٧٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: مذاهب الناس في كلام الله في: «مجموع الفتاوى» ١٢/١٦٢، و«الكافية الشافية» ص ٦٩، و«مختصر الصواعق» ٤/١٣٠٢، وص ١٦١ من هذا الكتاب.

المهم أنهم يقولون: القرآن مخلوق، كذلك ما يكلم الله به من شاء من عباده مخلوق، فيقولون: إذا أراد ﷺ أن يكلم أحداً خلق كلاماً، ومن ذلك خطاب الله لموسى وكلامه له، زعم الجهمية والمعتزلة: أن الله خلق كلاماً في الشجرة هو ما قصه الله علينا في القرآن: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم]، ﴿هَلْ أُنذِرَكَ حَدِيثِ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النازعات] ومما قصه الله من ذلك: ﴿وَهَلْ أُنذِرَكَ حَدِيثِ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾ [طه] إلى آخر ما قصه الله علينا من خطابه وكلامه لكليمه موسى عليه الصلاة والسلام، فعندهم أن هذا الكلام الذي سمعه موسى كلام مخلوق، خلقه الله في الشجرة، لا أنه كلام قائم به ﷺ، ولا أن موسى سمع كلام الله من الله، وهذا مع أنه تحريف للكلم عن مواضعه، فإنه غاية في التنقص لرب العالمين، فإن الكلام كمال، فالذي يتكلم أكمل من الذي لا يتكلم، والله ﷻ عندما وبخ بني إسرائيل على عبادتهم العجل، ذكر أن العجل لا يتكلم، فكيف يعبدونه ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه]، فجعل من الدليل على بطلان إلهية العجل أنه لا يرجع إليهم قولاً، ولا يرد عليهم جواباً، ولا يتكلم.

وقد دل على إثبات صفة الكلام هذه الآيات، وغيرها.

والتوراة أنزلت على موسى ﷺ، والإنجيل على عيسى ﷺ،

والزبور على داود عليه السلام، والقرآن - الكتاب المصدق لما بين يديه من الكتب - على محمد عليه السلام؛ كلها كلام الله، منزلة من عند الله.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقال تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ [البقرة: ٧٥] فهو كلام الله، وإضافة القرآن إلى الله من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ كعلمه، وسمعه، وبصره، وحياته، ووجهه، ويديه.

والمعطلة نفاة الكلام يقولون: هذا القرآن مخلوق، وهذا ما أنكره عليهم أئمة الإسلام، وكفروا من قال: القرآن مخلوق. وصبر الذين امتحنوا في أمر القرآن؛ ليقولوا بأن القرآن مخلوق، وعلى رأس هؤلاء الإمام أحمد وإمام أهل السنة الذي امتحن بالضرب، والسجن؛ ليقول: القرآن مخلوق، فأبى على الجهمية، وصبر على أذاهم^(١)، فلا غرو أن حاز ذلك اللقب: «إمام أهل السنة»، فرحمه الله وسائر أئمة الهدى.

وهذه الآيات التي ساقها المؤلف؛ للاستدلال بها على إثبات صفة الكلام لله، أولها قول الله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] أي: لا أحد أصدق من الله حديثاً ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] القيل والقول معناهما واحد، أو متقارب، وقال الله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] فكلامه تعالى يسمى حديثاً، وقال تعالى: ﴿وَوَعَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] فأخباره تعالى غاية في الصدق، فهو أصدق الصادقين، ولا أحد أصدق من الله، وهذا معنى: مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا.

وشرائعُه، وأوامره، ونواهيه، كلها عدل: ﴿وَوَعَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

(١) انظر: «ذكر محنة الإمام أحمد» لحنبل بن إسحاق، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص ٤٣٢، و«سير أعلام النبلاء» ١١/٢٣٢.

وكلمات الله نوعان^(١): كلمات كونية، وهي: ما يُكُونُ به الكائنات، كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [التحل]، كما قال لليهود العتاة المتمردين: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف].

وكلمات شرعية، وهي: كلامه الذي أنزل على رسله، وهي: كتبه، وأعظمها وأشرفها: القرآن، فالقرآن كلامه، وكله من كلماته الشرعية. وكلماته الكونية، والشرعية كلها كلامه، ليس شيء منها مخلوقاً؛ ولهذا جاء التعوذ بكلمات الله في غير ما حديث^(٢) كحديث «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»^(٣)، فاستدل العلماء بمثل هذا على أن كلام الله غير مخلوق.

ومن هذه الآيات: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ﴿ فِي غير موضع: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ﴿ [آل عمران: ٥٥] ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴿ [المائدة: ١١٠] ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴿ [المائدة: ١١٦] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ [٢٠] وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰٓدِقِينَ ﴿ [٣٦] قَالُوا

(١) «مجموع الفتاوى» ١١/ ٢٧٠ و ٣٢٢، «وشفاء العليل» ص ٢٨٢.

(٢) كحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة». رواه البخاري (٣٣٧١). وحديث: عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفرع كلمات: «أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون». رواه أبو داود (٣٨٩٣) - واللفظ له -، والترمذي (٣٥٢٨) وقال: حسن غريب؛ والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٦٥) و(٧٦٦)، وصححه الحاكم ١/ ٥٤٨، وحسنه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» ٣/ ١١٨.

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٨) و(٢٧٠٩) من حديث خولة بنت حكيم، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٦﴾ قَالَ يَكَادُمُ ﴿البقرة﴾ إلى آخر القصة.

كلها فيها إضافة القول إلى الله، ومنها قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ [النساء: ١٦٤] كلمه: خاطبه بكلام؛ بأخبار، وأوامر: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْتَهُ بَيْنَهُمَا﴾ [مريم].

الله تعالى نادى موسى، وناجاه.

والنداء هو: الخطاب بصوت رفيع.

والمناجاة: الخطاب بصوت خفي.

فموسى هو كليم الله، وهو نجي الله، فالله تعالى موصوف بالمناداة والمناجاة، والعباد يوصفون بالكلام، والتكليم، وبالمناداة، وبالمناجاة، وليست المناداة كالمناداة، ولا المناجاة كالمناجاة، ولا التكليم كالتكليم، وهذا كله في القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمُ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْآثَرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ﴾ [المجادلة: ٩].

المقصود: أن كل ما يوصف الله به من ذلك، ليس مثل ما يوصف به المخلوق.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] كلم الله: بالرفع فاعل، وموسى: مفعول هو المكلّم، وتكليماً: مصدر مؤكّد يرفع ويدفع احتمال المجاز.

والمعطلة يحرفون هذه الآية - لكن هيهات! - يقولون: وكلم الله، ويكون على تحريفهم التكليم من موسى لله، يعني: موسى كلم الله^(١).

ولو كان الأمر كذلك فهل يكون لموسى خصوصية؟

(١) «بيان تليس الجهمية» ١٢/٢، و«الصواعق المرسله» ٣/١٠٣٧.

لا، كل أحد يمكن أن يكلم الله، أنت تكلم الله، وتناجيه «إذا كان أحدكم في الصلاة فإنه يناجي ربه»^(١) الداعي يكلم ربه يقول: يا رب، يا رب، لكن خصوصية موسى في أن الله كلمه، ولا يستطيع مبطل معطل أن يبطل هذه الأدلة يقول: وكلم الله؛ لأن كلام الله محفوظ في الصدور، وفي المصاحف ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُضِّلَتْ].

وهذا التكليم بين الله أنه كان مناداة، ومناجاة، كما في آية سورة مريم: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم] فالله تعالى نادى موسى، ونادى الأبوين - آدم وحواء - من قبل لما عصيا، وخالفا أمر الله، وارتكبا ما نهيا عنه: ﴿فَدَلَّوْنَهُمَا بِقُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [٢٢] قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنَّ لَنَا تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لِنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف]، وكذلك ﷺ ينادي المشركين يوم القيامة توبيخاً لهم: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [٢٢] [القصاص]، ويخاطب الرسل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ [المائدة]، وفي الحديث: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان»^(٢).

فالله تعالى لم يزل، ولا يزال متكلماً، إذا شاء بما شاء، وكيف شاء، ويكلم من شاء من عباده من: ملائكته، ورسله، وعباده، وسائر الخلق، ومن كلامه: الكتب، ومنها: القرآن، فالقرآن كلام الله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] هو كلام الله كيفما تصرف غير مخلوق، محفوظ في الصدور، ومسموع بالأذان ومقروء بالألسنة، ومكتوب في المصاحف؛ كله كلام الله.

(١) رواه البخاري (١٢١٤)، ومسلم (٥٥١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

لكن كلام الله يسمع ممن؟

يسمع من القارئ، فقلوه تعالى: ﴿حَقَّ يَسْمَعُ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] يسمعه إما من: الرسول ﷺ، أو من بعض المؤمنين.

أما الذي سمع القرآن كلام الله من الله؛ فهو جبريل عليه السلام؛ لأنه هو الموكل بالوحي: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ [الشعراء]، فجبريل الروح الأمين سمع كلام الله من الله، ومحمد ﷺ سمع القرآن من جبريل، والصحابة سمعوا القرآن من الرسول ﷺ، ويسمعه بعضهم من بعض، وهكذا.

والآيات الكثيرة المتقدمة التي جاءت بأساليب، وبألفاظ مختلفة كلها تدل على إثبات كلام الله ﷻ.



ثبوت نزول القرآن من الله ﷻ

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [النمل: ٧٦]، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُّوسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [١٦٦] وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٧﴾ [النحل].

الشرح

هذه الآيات فيها إخبار عن القرآن بأنه منزل من عند الله، والآيات التي فيها الإخبار عن نزول وتنزيل وإنزال القرآن كثيرة جداً ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل] والقرآن يوصف بأنه يقص، وأنه يبشر، وينذر، ويهدي، كلها قد جاءت في القرآن ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [١] وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ [الإسراء]، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢]، فالقرآن يوصف بأنه يقص؛ لاشتماله على القصص؛ كأخبار الأنبياء مع أممهم، وعلى ما فيه من الأوامر، والنواهي، كل هذا يقصه على العباد: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل] هنا جاء التقييد ببني إسرائيل، كما قص عليهم ما قص من أمر المسيح ﷺ، ومن أمر ما

حرم عليهم: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية.

وهذه الآيات التي فيها الإخبار عن نزول القرآن، تؤكد ما مضى من أن القرآن كلام الله؛ لأنه منزل من الله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء]، ﴿نَزِيلٌ أَلَكِنِّبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزُّمَر]، ﴿نَزِيلٌ أَلَكِنِّبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر]، ﴿نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فُصِّلَتْ].

فهذه الآيات التي فيها الإخبار عن نزول القرآن من الله يستدل بها على أن القرآن كلام الله منزل منه سبحانه، ويستدل بها على علوه تعالى؛ لأن النزول إنما يكون من العلو، فهي تؤكد الأمرين جميعاً.



إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة

وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، ﴿عَلَى الْأَرْأْيِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٢٥﴾﴾ [ق]. وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير، مَنْ تدبَّر القرآن طالباً للهدى منه؛ تَبَيَّنَ له طريق الحق.

الشَّرْح

وهذه الآيات ختم بها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ما أورده من النصوص القرآنية الدالة على إثبات صفات الرب ﷻ، وهي النصوص الدالة على إثبات رؤية العباد لله تعالى، وهذه مسألة كبيرة ضل فيها كثير من الطوائف، ووفق الله للحق فيها - وغيرها - أهل السنة والجماعة، ومسألة الرؤية داخلة في مسائل الصفات.

والمعطلة يقولون: إنه تعالى لا يرى^(١).

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بما دل عليه الكتاب والسنة: من أنه تعالى يرى بالأبصار، يراه من شاء من عباده، وقد دلت النصوص على أن المؤمنين يرونه يوم القيامة في الجنة، وفي عَرَصات القيامة، ومن هذه الأدلة: قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ناصرة: بهية حسنة مشرقة، وهي: وجوه أولياء الله المؤمنين يوم القيامة.

(١) «مجموع الفتاوى» ٣٥٦/٨ و ٦٩٥/١٠، و«منهاج السنة» ٣١٥/٢، و«حادي الأرواح» ٦٠٥/٢.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ من النظر بالبصر؛ يعني: تنظر إلى ربها بأبصارها.

ونظر: يأتي متعدياً (بنفسه)، ومتعدياً بـ(في)، ومتعدياً بـ(إلى) (١)؛ فالمتعدي بنفسه بمعنى: الانتظار، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿١١﴾ [البقرة] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، بمعنى: هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا تأويل ما وعدوا به.

والمتعدي بـ(في)، بمعنى التفكير: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، يعني: أولم يتفكروا؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الرؤم: ٨].

أما المتعدي بـ(إلى)، فهو بمعنى: نظر العين، تقول: نظرت إلى كذا، يعني: بعيني، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَلَيْنَهَا وَرَبَّيْنَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ﴿١٦﴾ [ق].

فهذه الآية ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٢﴾ [القيامة] هي أدل دليل على إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى.

ومن الأدلة: ما توعد الله به الكفار المكذبين بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ [المطففين]، فتهديد الكافرين بحجبهم عن ربهم؛ يدل على أن المؤمنين بخلاف ذلك، وأنهم يرون الله سبحانه، فلو كان المؤمنون لا يرونه لما كان بينهم وبين المكذبين فرق، ولو كان تعالى لا يرى البتة كما تزعم المعطلة؛ لما كان في هذا الوعيد فائدة؛ لأن الرؤية على قولهم مستحيلة؛ فالكل محجوب.

ومن الأدلة القرآنية على إثبات الرؤية: قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

(١) «تهذيب اللغة» ٣٧١/١٤، و«حادي الأرواح» ٦٢٣/٢.

الْحُسْنُ وَزِيَادَةٌ ﴿ [يونس: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَأْمُرْنَا بِهَا وَلَكِنَّا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ [ق: ٣٥]، وقد جاء تفسير: الزيادة^(١) والمزيد^(٢) بأنه: النظر إلى وجهه الكريم ﷺ.

﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾: الجنة، وزيادة عظيمة هي نظرهم إلى وجهه الكريم ﷺ، وفي الدعاء المأثور: «وأسالك لذة النظر إلى وجهك»^(٣). نسأله تعالى أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم.

هذه أظهر الآيات التي يستدل بها على إثبات رؤية العباد لربهم ﷻ، وهناك أدلة أخرى منها قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والمعطلة يتمسكون بهذه الآية، ويقولون: لا تدركه الأبصار: لا تراه الأبصار، ثم يحرفون الآيات الأخرى، وهذه الآية التي يحتجون بها على نفي الرؤية، هي حجة عليهم؛ لأن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، فمعنى قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي: لا تحيط به الأبصار؛ لكمال عظمته ﷻ، ونفي الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية من غير إحاطة؛ إذ لو كان لا يرى مطلقاً لما كان لنفي الإحاطة - وهو المعنى الخاص -

(١) روى مسلم (١٨١) عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة: يقول الله - تبارك وتعالى -: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وانظر: «تفسير ابن كثير» ٤٠٧/٧.

(٢) قال ابن القيم في «حادي الأرواح» ٦١٧/٢: قال الطبري: قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله ﷻ، وقاله من التابعين زيد بن وهب، وغيره. وانظر: «شرح أصول اعتقاد السنة» ٥١٩/٣.

(٣) رواه أحمد ٢٦٤/٤، والنسائي ٥٤/٣، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٢، وابن حبان (١٩٧١)، والحاكم ٥٢٤/١ من حديث عمار رضي الله عنه. ورواه أحمد ١٩١/٥، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٤، والحاكم ٥١٦/١ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

فائدة، فنفي الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية، من غير إحاطة.

فكانت الآية التي يستدل بها المعطلة على نفي الرؤية دليلاً عليهم لا لهم^(١).

ولعل الإمام ابن تيمية تعمد هذا الترتيب وتحراه، وهو أنه ختم هذه النصوص التي أوردها من القرآن على إثبات صفات الرب، مما يحقق للعباد معرفتهم بربهم، فنحن عرفنا ربنا بأسمائه وصفاته، وذلك بما أنزله في كتابه، وبلغه رسوله ﷺ، فيحصل للعباد في هذه الحياة العلم بربهم، لكنه علم من غير إحاطة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ففي الدنيا العباد لا يرونه، ويوم القيامة يرونه، فيجتمع لهم العلم الذي في قلوبهم، والرؤية له تعالى بأبصارهم، فكأن الإمام ابن تيمية في إيراد هذه الآيات في هذا الموضع ينبه إلى أن رؤية العباد لربهم غاية لهم، فتتوق نفوسهم إلى النظر إلى وجهه الكريم، بعد أن عرفوه في الدنيا بأسمائه، وصفاته، كما علمهم، فإنه تعالى يتم هذا لأوليائه يوم القيامة، ويكشف الحجاب لهم؛ فينظرون إليه، وذلك غاية نعيمهم، فلا يلتفتون إلى شيء مع نظرهم إليه ﷺ^(٢).

وفي النهاية يقول المؤلف: «وهذا باب واسع»، يعني: النصوص الدالة على أسماء الرب، وصفاته، وأفعاله، مما يورث العلم بالله، باب واسع، من تدبر هذه النصوص؛ تبين له طريق الحق، فتدبر القرآن هو سبيل العلم النافع، وهو الطريق لمعرفته ﷺ المعرفة الصحيحة؛ فإن العقول لا تستقل بمعرفته، غاية ما تحصل العقول المعرفة الإجمالية، أما معرفة أسماء الله، وصفاته على التفصيل، فلا سبيل للعقول إلى ذلك، وإنما طريق العلم في ذلك هو ما جاءت به الرسل.

(١) «منهاج السنة» ٣١٧/٢، و«بيان تليس الجهمية» ٤٠٤/٢، و«حادي الأرواح» ٦١٨/٢.

(٢) سيأتي الكلام على الرؤية - أيضاً - في ص ١٤٦.

فرحم الله الإمام ابن تيمية على هذه العناية العظيمة، فقد يقول بعض الناس: إنه أسهب وأكثر، لكن المقام جدير بالعناية، فنصوص الصفات في القرآن ليست محدودة قليلة في موضع، أو اثنين، أو ثلاثة، بل هي كثيرة جداً، فهذه الآيات التي ساقها هي قليل من كثير. فاقراً أيّ سورة تجد فيها من إثبات أسمائه، وصفاته، وأفعاله.

وانظر السورة الجامعة لمضمون القرآن كله سورة الفاتحة، وكيف أنها صدرت بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ هذه الآيات الثلاث، فيها جماع أسماء الرب، وصفاته، لكن على سبيل الإجمال.

وفي قول الشيخ «من تدبر القرآن طالباً للهدى منه» تنبيه إلى أن الانتفاع بالقرآن، وحصول المعرفة، وظهور الحق لا يحصل بمجرد التدبر؛ بل لا بد من صحة النية، وسلامة القصد، وذلك بأن يكون القصد من التدبر طلب الهدى، والفرقان بين الحق والباطل.



ذكر بعض أحاديث الصفات

إثبات النزول والفرح والضحك والعَجَب والقَدَم

ثم سنة رسول الله ﷺ؛ فالسنة تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه، وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول؛ وجب الإيمان بها كذلك.

مثل قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرنني فأغفر له؟». متفق عليه^(١).

وقوله ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته...». الحديث متفق عليه^(٢).

وقوله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة». متفق عليه^(٣).

وقوله: «عجب ربنا من قنوط عباده [١ / ٢٨] وقرب غيره^(٤)، ينظر إليكم، أزلين^(٥)، قنطين؛ فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب». حديث حسن^(٦).

(١) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٦٣٠٨ و ٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٤ و ٢٧٤٧) من حديث ابن مسعود، وأنس رضي الله عنهما.

(٣) البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ب): خيره.

(٥) في (ب): أذلين.

(٦) رواه أحمد ١١/٤، وابن ماجه (١٨١) من حديث أبي رزين رضي الله عنه بلفظ: =

وقوله ﷺ: «لا تزال جهنم يُلقى فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها [رجله^(١)] - وفي رواية: عليها قدمه -، فينزوي بعضها إلى بعض فتقول: قَطَّ قَطَّ». متفق عليه^(٢).

وقوله: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار». متفق عليه^(٣).

[وقوله: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»]^{(٤)(٥)}.

وقوله في رقية المريض: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض؛ كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا؛ أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع». رواه أبو داود^(٦). وقوله:

= «ضحك...»، ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٣٥ بنحوه من حديث عائشة رضي الله عنها. وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨١٠).

(١) زيادة من: (م).

(٢) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواية: «قدمه» عند البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٧٤٨٣) - واللفظ له -، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) زيادة من: (م).

(٥) تقدم تخريجه في ص ١٢٢.

(٦) أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٣٧)، والحاكم ٣٤٤/١ من حديث أبي الدرداء، وقال الحاكم: قد احتج الشيخان بجميع رواة هذا الحديث غير زيادة بن محمد، وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث، وتعقبه الذهبي: قلت: قال البخاري وغيره: منكر الحديث. وضعفه ابن عدي في «الكامل» ١٤٥/٤؛ وابن حبان في «المجروحين» ٣٠٨/١؛ وقال الذهبي في «الميزان» ٩٨/٢: - بعد ذكر من ضعف زيادة -: وقد انفرد بحديث الرقية: «ربنا الذي في السماء...» بالإسناد.

«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء». رواه البخاري وغيره^(١).
 وقوله: «والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش»^(٢)، وهو يعلم ما أنتم
 عليه». رواه أبو داود والترمذي وغيرهما^(٣).
 وقوله للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت:
 أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة». رواه مسلم^(٤).
 وقوله ﷺ: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث ما كنت».
 حديث حسن^(٥).
 وقوله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا
 يبصقنَّ قبل وجهه ولا عن يمينه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه». متفق
 عليه^(٦).

- (١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
 (٢) في (م): «والعرش فوق الماء والله فوق العرش...» حديث حسن، رواه أبو
 داود وغيره.
 (٣) رواه أحمد ٢٠٦/١، وأبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠). وقال: حسن
 غريب. وابن ماجه (١٩٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٠١، والحاكم ٤١٢/٢
 و٥٠٠. وصححه، وتعقبه الذهبي. من حديث العباس ﷺ، وصححه الجوزجاني
 في «الأباطيل» ٧٩/١، وقواه ابن تيمية في «مناظرة الواسطية» ١٩٢/٣، وابن القيم
 في «تهذيب السنن» ٩٢/٧. وشيخ الإسلام ﷺ ذكر الحديث بالمعنى.
 (٤) مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم ﷺ.
 (٥) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» ٣٠٥/١، و«المعجم الأوسط» ٣٣٦/٨ -
 وقال: ولم يرو هذا الحديث عن عروة بن رويم إلا محمد بن مهاجر تفرد به
 عثمان بن كثير - والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٩٨، أبو نعيم في الحلية
 ١٢٤/٦ - وقال: غريب من حديث عروة لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر
 - من حديث عبادة بن الصامت ﷺ. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٩/٨: غريب.
 (٦) رواه جمع من الصحابة بألفاظ مختلفة في الصحيحين وغيرها، ولم أجده بهذا
 اللفظ، وأقرب لفظ له حديث جابر ﷺ في صحيح مسلم (٣٠٠٨)، وأما
 الشاهد منه فرواه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) من حديث ابن عمر ﷺ،
 والبخاري (٤٠٥) من حديث أنس ﷺ.

وقوله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن؛ أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس [٢/٢٨] فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر». رواه مسلم^(١).

وقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر: «أيها الناس. اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته». متفق عليه^(٢).

الشرح

تقدم بيان مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الرب ﷻ، وأسمائه أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله ﷺ إثباتاً، ونفياً.

فيثبتون له ما أثبتته لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل.

ومضمون هذا أنه يجب الإيمان بما جاء في القرآن من أسماء الرب وصفاته، وما جاء في سنة الرسول ﷺ، ولهذا لما أورد الإمام ابن تيمية كثيراً من النصوص القرآنية المتضمنة لكثير من أسماء الله وصفاته - مما يدخل في القاعدة المتقدمة^(٣)، وهي: «أنه ﷻ موصوف بالإثبات

(١) تقدم تخريجه في ص ٥٠.

(٢) رواه أحمد ٤/٤٠٢ - واللفظ له -، والبخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) ص ٣٩.

والنفي) - أتبع ذلك بذكر بعض النصوص النبوية المشتملة على بعض أسماء الرب وصفاته .

فإن السنة هي الأصل الثاني في الاستدلال، فإن الله أنزل على نبيه ﷺ الكتاب والحكمة، الكتاب هو: القرآن، والحكمة هي: سنة الرسول ﷺ، فكلاهما وحي، كما قال ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

فكل ما يُبلِّغه النبي ﷺ عن الله - سواء كان قرآنًا، أو سنة - فإنه وحي أوحاه الله إليه، وكل منهما منزل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

فيجب الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به الرسول ﷺ في سنته، كما يجب العمل بما أمر الله به في القرآن، والانتهاز عما نهى عنه سبحانه، وكذلك ما أمر به الرسول ﷺ، أو نهى عنه، فإنه يجب العمل بأوامره ﷺ، ونواهيه، وطاعته في أمره ونهيه .

وإنكار السنة مطلقاً، ودعوى أننا لسنا مكلفين إلا بالقرآن كفر، وضلال، ومخالفة للقرآن؛ فإن الله تعالى أمر باتباع الرسول ﷺ، وطاعته .

قال الشيخ رحمه الله: «فالسنة تفسر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه» المراد بالسنة في هذا السياق: سنة الرسول ﷺ، وهي: أقواله، وأفعاله، وتقريراته، هذا هو المراد بالسنة إذا قيل: الكتاب والسنة .

فسنة الرسول القولية، والفعلية، والتقريرية؛ تبين وتفسر القرآن، وتدل عليه وتعبر عنه، والأغلب على سنة الرسول ﷺ أنها بيان .

ومن السنة ما يتضمن أخباراً، وتشريعات ليست في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [التحل: الذكر: القرآن].

فالرسول ﷺ قد فسر القرآن وبينه، ففسر ما أشكل من ألفاظه، وكثيراً من ألفاظه يعرفها المخاطبون باللسان العربي، كما روي عن ابن عباس: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهله، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله»^(١).

فالرسول ﷺ بين القرآن، فالسنة فيها تفصيل ما أُجمل في القرآن، وتقييد المطلق، وتخصيص العام؛ فأحكام الصلاة التفصيلية: صفتها، أفعالها، أقوالها، مواقيتها، أكثرها إنما تجده في السنة، وأحكام الزكاة: أنصبة الزكاة، الأموال التي تجب فيها الزكاة، والحج كثير من أحكامه إنما عرفت تفصيلاً بسنة الرسول ﷺ، وهذا الموضوع وتفصيله يطول الحديث عنه.

والمقصود: أن ما وصف الرسول ﷺ به ربه من الأحاديث الصحيحة التي تلقاها أهل العلم والمعرفة - أهل الشأن وهم أهل الحديث - بالقبول، وجب الإيمان بها كذلك.

يعني: كما يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، يجب الإيمان بما وصف الرسول ﷺ به ربه من الأحاديث الصحيحة، التي تلقاها أهل العلم بهذا الشأن بالقبول.

يجب الإيمان بها، سواء كانت من قبيل المتواتر، أو الآحاد، فأهل السنة والجماعة يقبلون كل ما صح عن النبي ﷺ.

أما أهل البدع^(٢) فإنهم - بناء على أصولهم الفاسدة في نفي صفات الرب سبحانه - يردون نصوص الصفات، إما بحجة أنها آحاد، والآحاد يزعمون أنه لا يحتج بها في العقائد.

وإن كانت متواترة قالوا: إنها ظنية الدلالة لا تفيد اليقين، فهم

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٣٤/١، والطبراني في «مسند الشاميين» ٣٠٢/٢ بنحوه.

(٢) «مجموع الفتاوى» ٧٣/١٩ و١٥٦.

يدفعون هذه النصوص، ويردونها زاعمين؛ إما أنها لم تثبت، أو أنها ظنية الدلالة.

هذا وهم ليسوا من أهل هذا الشأن فلا يميزون بين صحيح ولا ضعيف، ولا بين متواتر وآحاد.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يصفون الله بكل بما وصفه به الرسول ﷺ مما صح عنه ﷺ في الأحاديث التي تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول، ويؤمنون بذلك، وهذا هو الواجب، كما يجب الإيمان بما في القرآن.

وقد أورد الإمام ابن تيمية في هذا الفصل أمثلة لهذه الأحاديث، فمنها ما دل على صفات قد دل عليها القرآن كالتكليم في قوله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»^(١).

أو العلو كما في قوله ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء». فهذا مثل قوله سبحانه: ﴿ءَأْمِنُّمَّ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلْك: ١٦]، وكقوله ﷺ للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء»^(٢).

أو إثبات بعض الأسماء مع تفسيرها، كالأول والآخر والظاهر والباطن، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به يقول: «اللهم رب السموات والأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء - إلى قوله -: اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»^(٣).

أقول: إن كل هذه الأحاديث إنما دلت على مثل ما دل عليه القرآن، فتكون هذه الصفات قد تطابقت عليها دلالة القرآن، ودلالة

(١) تقدم تخريجه في ص ١٢٢.

(٢) تقدم تخريجه في ص ١٣٣.

(٣) تقدم تخريجه في ص ٥٠.

السنة، فتكون ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع أهل السنة والجماعة. وهذه النصوص - أعني تلك النصوص التي قد دلت على مثل ما دل عليه القرآن - سنكتفي فيها بهذه الإشارة.

ونتأمل ما أورده الشيخ من النصوص الدالة على صفات لم يأت ذكرها في القرآن، وألاحظ أن الإمام ابن تيمية رحمته الله قد قدم هذه الأمثلة وساقها تباعاً، وهي هذه الأدلة:

حديث: النزول، الفرح، الضحك، حديث القَدَم، فهذه الصفات إنما ثبتت بالسنة، فليس في القرآن ذكر لهذه الصفات فيما أعلم.

فأول ذلك قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»^(١).

وهذا الحديث رواه جمع غفير من الصحابة، وعده أهل العلم من المتواتر، فقد تواترت السنة عن النبي ﷺ بإثبات نزول الرب تعالى في آخر الليل^(٢).

لذلك أهل السنة والجماعة يثبتون النزول الإلهي ويؤمنون به، مع نفي مماثلته لنزول الخلق، ونفي العلم بالكيفية، فيقولون: إنه تعالى ينزل حقيقة، ونزوله سبحانه يتضمن دنواً وقرباً، وإذا قلنا: ينزل حقيقة، فلا يعني أنه ينزل مثل نزول العباد، لا بل ينزل كيف شاء، والنزول معلوم، والكيف مجهول، لا كما يقول المعطلة: تنزل رحمته، أو أمره، أو ينزل ملك^(٣).

فهذا من التحريف الذي ينكره أهل السنة والجماعة، ويرفضونه،

(١) تقدم تخريجه في ص ١٣١.

(٢) انظر: الأحاديث الواردة في ذلك في: «كتاب النزول» للإمام الدارقطني، و«نظم المتناثر في الحديث المتواتر» للكتاني ص ١٩١ رقم (٢٠٦).

(٣) «شرح حديث النزول» ص ١٣٨، و«مختصر الصواعق» ٣/١١٠٠.

والله قد ذم اليهود لتحريف الكلم عن مواضعه، وهذا منه .
فالرسول ﷺ يقول: «ينزل ربنا»، والأصل: أن يحمل الكلام على الحقيقة، ويؤكد الحقيقة قوله: «فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟...» وهذا يمنع من احتمال المجاز.

فهل يجوز أن يقول الملك، أو تقول الرحمة: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفني فأغفر له؟
فأهل السنة مجمعون على أن النزول من فعل الرب تعالى، وأنه هو الذي ينزل حقيقة، لا كنزولنا، ولا يقاس به، ونزول الله تعالى صفة فعلية تكون بمشيئته .

والمعطلة يلبسون على الجهال، ويقولون: هذا يتضمن أن الله يزول عن مكانه .

فهذه من الشبهات التي يشبهون بها على الأغرار، ولهذا قال بعض الأئمة: «إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه .
فقل: أنا أو من برب يفعل ما يشاء»^(١) .

ما أحسن هذا الرد المفحم: أنا أو من برب يفعل ما يشاء .
ينزل كيف شاء، واستوى على العرش كيف شاء، ويجيء يوم القيامة للفصل بين عباده كيف شاء، فعال لما يريد .
أما إذا قيل: إنه لا ينزل، لا يجيء، لا يتكلم... فهذا تعجيز وتنقص للرب سبحانه، فالذي يفعل أكمل ممن لا يفعل .

وكذلك القول في الفرح، والضحك، فيجب الإيمان بالفرح والضحك، أن الله يفرح، وفرحه تعالى يتضمن محبته بما يفرح به، ورضاه به، وعنه .

(١) القائل هو الإمام الفضيل بن عياض رحمته الله . انظر: «خلق أفعال العباد» ص ١٧، و«الإبانة» لابن بطة (الرد على الجهمية) ٣/ ٢٠٥، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ٢/ ٥٠٢ .

يفرح كما في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن النبي ﷺ: «الله أشد فرحاً...»^(١). يفرح حقيقة، لكن لا كفرح العباد، إذا فسرنا فرح العباد بأنه: لذة وسرور بالمحبوب أو نحوه، فهذه صفة المخلوق، فاللذة لا نضيفها لله، لكنه فرح يتضمن المحبة.

فقوله ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده». هذا يتضمن أن الله يحب توبة التائبين، بل يفرح بتوبة التائبين، فالفرح إذاً صفة يجب إثباتها له تعالى، وأنها لا تماثل فرح المخلوق، ولا نعلم كنهها، وكيفيةها.

وهكذا الضحك، وقد جاء في أحاديث عدة - ومنها هذا الحديث - أن النبي ﷺ قال: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخلان الجنة، فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يقاتل هذا في سبيل الله ﷻ فيستشهد، ثم يتوب الله على القاتل، فيسلم فيقاتل في سبيل الله ﷻ فيستشهد»^(١). فالله يضحك إليهما؛ لأن أمرهما عجب، يجتمعان في الجنة، القاتل والمقتول، وضحكه إليهما يتضمن رضاه عنهما، ولا أقول: إن هذا تفسير للضحك، لا؛ بل هو تعالى يضحك كيف شاء، وهو معنى يختلف عن معنى الفرح، فيجب إثبات ذلك كله، مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية.

وإذا كان العلم بالكيفية مستحيلاً، فلا يجوز التفكير فيه؛ كالتفكير في كيفية نزول الرب، أو فرحه، أو ضحكه؛ لأنه لا سبيل إلى أن تعلمها، فلا تفكر ولا تخيل، بل آمن وأثبت ما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية.

وأما الحديث الرابع: فهو حديث قال عنه الشيخ: إنه حديث حسن، وقد رواه الإمام أحمد وغيره، وهو حديث طويل، والشيخ اقتصر على الشاهد، كما اقتصر على الشاهد في الحديث الثاني.

فقوله ﷺ: «عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيرِهِ، ينظر إليكم

(١) تقدم تخريجه في ص ١٣١.

أزلين قنطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب»^(١).

الشاهد منه في هذا المقام: «فيظل يضحك» وفيه دلالة على إثبات صفة العَجَب، والضحك، والنظر، لكن صفة العَجَب والنظر ثابتتان في القرآن وقد تقدم الكلام على النظر^(٢)، العَجَب لم يمر في الشواهد التي ساقها المؤلف لكنه ثابت.

ومن الأدلة القرآنية على إثبات العَجَب قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصَّافَات: ١٢] في قراءة صحيحة سبعة^(٣)، فالضمير في ﴿عَجِبْتَ﴾ يعود لمن؟ إلى الله تعالى، كما دل على صفة العَجَب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوَّأْنَا لَئِي خَلَقْنَا جَدِيدًا﴾ [الرَّعد: ٥].

وهذا الحديث - كذلك - من الأدلة على إثبات صفة العَجَب، فهو تعالى يوصف بالعَجَب على المنهج المقرر: «إثبات مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية».

وليس عجبه - تعالى - لجهله بالأسباب، فهذا شأن المخلوق الذي يعجب - أحياناً - لجهله بالسبب، كما يقال: (إذا ظهر السبب بطل العجب) فهذا في عجب المخلوق، أو في بعض عجب المخلوق.
«من قنوط عباده» القنوط: شدة اليأس.

«ينظر إليكم أزلين» والأزْل: الشدة، والأزِل: هو الذي قد بلغت به الشدة حداً بعيداً، واستولى عليه اليأس، فالأزِل والقَنْطُ معناهما متقارب.

«ينظر إليكم أزلين قنطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب» مع قرب الفرج، وقرب تغيير الله للأحوال من الشدة إلى الرخاء، من القحط

(١) تقدم تخريجه في ص ١٣١. (٢) ص ٩١.

(٣) هي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف العاشر. «التيسر» ص ١٨٦، و«سراج القارئ» ص ٣٣٤، و«النشر» ٢/٣٥٦.

إلى الخصب، في هذا الظرف الله تعالى يعجب لهذه الحال، فيظل يضحك كيف شاء ﷺ، فإن العباد إذا طالت عليهم الشدة استولى عليهم اليأس واشتد، وآل بهم الأمر إلى القنوط، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الرُّوم].

الحديث الخامس: قوله ﷺ: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله - وفي رواية: عليها قدمه -، فينزوي بعضها إلى بعض فتقول: قط قط». متفق عليه^(١).

وفي هذا الحديث إثبات الرجل، والقدم له ﷺ، وأهل السنة يثبتون لله ما جاء في هذا الحديث على حقيقته، كما يثبتون سائر الصفات؛ كاليدين والعينين له ﷺ، ويقولون: إن له تعالى قدمين، كما جاء في الأثر المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الكرسي: أنه موضع القدمين^(٢)؛ أي: قدمي الرب ﷺ.

والقول في القدمين واليدين واحد، لا مجال للتفريق، وأهل السنة لا يفرقون، وأهل البدع لا يفرقون! كيف ذلك؟

(١) تقدم تخريجه في ص ١٣٢.

(٢) «السنة» لعبد الله بن أحمد ٣٠١/١، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٠٧، والحاكم ٢/٢٨٢، والضياء في «المختارة» ٣١١/١٠، وقال العلامة الأزهري في تهذيب اللغة ٥٤/١٠: الصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه الثوري وغيره، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يُقدر قدره». وهذه الرواية اتفق أهل العلم على صحتها، والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم، فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار. وانظر: فتح الباري ١٩٩/٨. وانظر: ص ٤٨ من هذا الكتاب.

أهل البدع ينفون كل هذه المعاني، كما ينفون حقيقة نزوله، واستوائه، و ينفون حقيقة الفرح، والضحك، والعجب، و ينفون اليدين، والعينين، والوجه، والقدم، ينفون ذلك كله؛ لأن مبدأهم أن إثبات الصفات لله يستلزم التجسيم، والتشبيه، وما أشبه ذلك.

ثم إن كانت نصوصاً قرآنية لا يمكن أن يدفعوها بعدم الثبوت، ينفون منها - كما تقدم -^(١) أحد موقفين:

إما التفويض بأن يجروها ألفاظاً من غير تدبر ولا فهم لمعناها، زاعمين أنها لا يفهم منها شيء.

أو التأويل بحملها على معان بعيدة.

أما الأحاديث^(٢) فالأمر عندهم فيها أوسع، فإنها إن كانت آحاداً قالوا: هذه آحاد، وقد يدفعونها من أول الأمر دون أن ينظروا فيها، أو يحكموا على متنها بتفويض أو تأويل.

وإن كانت متواترة وقفوا منها موقفهم مما جاء في القرآن؛ كالجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، هذه الطوائف تتفق على نفي هذه الصفات التي دلت عليها السنة الصحيحة عن النبي ﷺ، كما نفوا ما جاء في القرآن.

فبالنسبة للفرح، والضحك يمكن أن يفسروه بالرضا، ثم الرضا له تفسير معروف عند نفاة الصفات وهو: إرادة الإحسان، أو نفس الإحسان بما يخلقه الله من النعم.

ويفسرون الغضب: بإرادة الانتقام، أو هو نفس الانتقام بما يخلقه الله من العقوبة.

أما الرُّجُل فالذين يؤولون يقولون: المراد بالرجل الجماعة من قول العرب: رجل من جراد، فالمراد جماعة من أهل النار. لا تزال جهنم

(١) ص ٧١ و ١٠٧.

(٢) انظر: ص ١٣٦.

يُلقي فيها حتى يلقي الله تعالى عليها جماعة من أهل النار، وفوجاً كثيراً حتى يغطيها ويملاها بها.

وهذا خلاف ما فهمه السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وخلاف ما يدل عليه السياق، ثم إن رواية «عليها قدمه» توضح، وتدفع هذا التحريف.

ومضمون هذا الحديث قد جاء أصله في القرآن: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق] فهذه الآية شاهدة لما أخبر به الرسول ﷺ، وكلام الله، وكلام رسوله يصدق بعضه بعضاً، لا تزال جهنم يلقي فيها يعني أهلها، ﴿كَلِمًا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَاءَ لِمُهمَّ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [المُلك: ٨]، أهل جهنم يُلقون فيها إلقاءً، ويطرحون طرحاً، ﴿أَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٠].

قوله ﷺ: «لا تزال جهنم» هذا الفعل يدل على الاستمرار - يعني - أنها تبقى وتستمر تطلب المزيد «حتى يضع رب العزة فيها رجله» في بمعنى: على، كما في الرواية الأخرى: «عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض» أي: تتضايق فتمتلي، وتقول: «قط قط»، يعني: يكفي يكفي، نعوذ بالله من النار.

وفي هذا تحقيق لوعده ﷺ؛ فإنه قد وعد الجنة والنار بملئهما؛ إذ: «قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشياء، وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشياء، ولكل واحدة منكما ملؤها»^(١).

فالنار يضيقتها الرب حتى تمتلي، وأما الجنة فإذا دخل أهل الجنة يبقى فيها فضل، فهي واسعة مع كثرة من يدخلها من عباد الله، ومع ذلك يبقى فيها فضل، فينشئ الله لها أقواماً، فيسكنهم الجنة برحمته^(٢) ﷺ،

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.
(٢) هذا جزء من الحديث الذي تقدم تخريجه في ص ١٣٢، ١٤٢: «لا تزال جهنم يلقي فيها...».

أما النار فإنه لا يعذب بها إلا المستحقين لعذابه، نعوذ بالله من عذاب الله .

فالمقصود: أن هذه الصفات التي تضمنتها هذه الأحاديث كلها إنما ثبتت بالسنّة، وليس في القرآن - فيما أعلم - ما يدل عليها .
 أما ما بعد هذه الأحاديث إلى آخر ما أورده الشيخ، فكلها قد دلت على صفات دل عليها القرآن: كالتكليم، والعلو، والمعية، والسمع، والرؤية، وإثبات بعض الأسماء: كالأول، والآخر، والظاهر، والباطن، والسميع، وغيرها، والله أعلم .



رؤية المؤمنين لربهم سبحانه، ووسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق

وقوله: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها [فافعلوا^(١)]. متفق عليه^(٢)».

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به.

فإن الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم. فهم وسط في باب صفات الله ﷻ، بين أهل التعطيل الجهمية، وبين أهل التمثيل المشبهة.

وهم وسط في باب أفعال الله بين القدرية، والجبرية. وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيدية: من القدرية وغيرهم. وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية.

(١) سقطت من: (ب).

(٢) رواه البخاري (٤٨٥١)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض وبين الخوارج.

الشرح

لاحظ أن المؤلف ختم أحاديث الصفات بحديث الرؤية، كما ختم ما أورده من آيات الأسماء والصفات بالآيات الدالة على رؤية الرب تعالى؛ تدرك أن الشيخ تعمد هذا الترتيب، وكأنه إشارة إلى أن الرؤية هي التي ينتظرها المؤمنون، وهي محققة للمؤمنين الذين آمنوا بالله، وبما أخبر به في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

وأحاديث الرؤية من الأحاديث المتواترة^(١)، فرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ثابتة بالكتاب، وبالسنة المتواترة، وإجماع الصحابة، ومن تبعهم بإحسان، وهم الفرقة الناجية^(٢).

يقول الشيخ: «إلى أمثال هذه الأحاديث» يعني: هذه نماذج، وإلا فأحاديث الصفات التي بيّن فيها الرسول ﷺ أسماء ربه، وصفاته، وأفعاله كثيرة جداً لا حصر لها.

فإن الفرقة الناجية المنصورة - أهل السنة والجماعة - يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه، لا يفرقون بين ما جاء في القرآن، وما جاء في السنة؛ بل يؤمنون بهذا كله، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، كما تقدم ذكره^(٣).

يقول الشيخ عن الفرقة الناجية إنهم: «وسط في فرق الأمة» الفرقة الناجية هي الوسط في فرق الأمة، والوسط: العدل الخيار، كما أن هذه الأمة وسط في الأمم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾

(١) انظر: «رؤية الله للدارقطني»، و«حادي الأرواح» ٢/٦٢٥، و«نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ص ٢٥٠ رقم (٣٠٧).

(٢) تقدم الكلام على الرؤية في ص ١٢٦.

(٣) ص ٣٢.

[البقرة: ١٤٣] أي: عدولاً خياراً، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء، ولا تقصير ولا تجاوز، اعتدال، واستقامة، والوسطية تحقق الاستقامة، والاستقامة هي: لزوم الصراط المستقيم، فلا انحراف هنا، ولا هناك.

كما أن الأمة المحمدية التي تحقق لها الإيمان بالله ورسوله، ولم تأت بما تخرج به عن الإسلام وسط في الأمم، وإن كان لبعضهم ذنوب وأخطاء، وعند بعضهم بدع.

لكن ما دام أنه قد تحقق لهم الإيمان ظاهراً وباطناً، ولم يأت أحد منهم بما يخرج به عن الإسلام، فإنه من الأمة المحمدية التي يثبت لها هذا الوصف بحسبها، فكل من كان أتم استقامة كان حظه من الوسطية بحسب ذلك.

المقصود: أن الشيخ يقول: «إن الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - وسط في فرق الأمة، كما أن الأمة وسط في الأمم»، ثم يفصل ذلك في مسائل فيقول:

«فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة»، أهل التعطيل ينفون صفات الرب، ويعطلون الرب عن صفات كماله، ويعطلون النصوص عما دلت عليه من الحق، وشهرهم الجهمية إذ ينفون الأسماء والصفات، ويدخل فيهم المعتزلة، فإن لفظ الجهمية إذا أطلق يتناول المعتزلة.

ويقابلهم أهل التمثيل، الذين يمثلون صفات الرب بصفات الخلق، يقول أحدهم: له يد كيدي - تعالى الله -، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، وهكذا، فهؤلاء أهل التمثيل.

وكلا المذهبين ضلال وكفر، كما قال الإمام نعيم بن حماد^(١) رَضِيَ اللهُ

(١) نعيم بن حماد الخزاعي، الإمام العلامة، صاحب التصانيف، كان صلباً في السنة، شديداً على الجهمية، روى عن ابن المبارك، والفضيل، وابن عيينة، =

«من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس في ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه»^(١).

فأهل السنة يثبتون لله ما أثبتته لنفسه بلا تعطيل؛ خلافاً للمعطلة، فإن المعطلة غلوا في التنزيه، وزعموا أنهم ينفون الصفات عن الله حذراً من التشبيه، فغلوا في التنزيه، فأفضى بهم ذلك إلى التعطيل، وفروا من تشبيهه، فوقعوا في تشبيهه أقبح.

وقولنا: «بلا تشبيه» معناه تنزيه الله عن النقائص والعيوب خلافاً للمشبهة، - أعني: أهل التمثيل - الذين غلوا في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه، ولهذا قال بعض أهل العلم^(٢): «إن المعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً» لأن نفي جميع الصفات يستلزم نفي الذات.

والمشبه الذي يقول: لله سمع كسمعي، وبصر كبصري، ليس هذا هو الله الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه.

فأهل السنة وسط يثبتون لله الأسماء والصفات، وينزهونه عن كل ما لا يليق به، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، فهذه وسطيتهم، فكانوا بريئين من الإفراط والتفريط، وسائر الانحرافات والضلالات التي وقع فيها من خالفهم.

ثانياً: وأهل السنة وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية. الجبرية يقولون: لا فعل للعبد؛ بل كل الأفعال أفعال الله، فالعبد لا فعل له، والله هو الفاعل لكل شيء.

وعلى مذهبهم الباطل الخبيث يكون الله هو الفاعل لأفعال العبد،

= وغيرهم. روى عنه يحيى بن معين، والبخاري، وأبو داود، وغيرهم. قال الخطيب: إن أول من جمع المسند وصنّفه نعيم. توفي عام ٢٢٩هـ. «سير أعلام النبلاء» ٥٩٥/١٠.

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ٥٨٧/٣، و«تاريخ دمشق» ١٦٣/٦٢.

(٢) «مجموع الفتاوى» ٢٦١/٥.

بمعنى أنه هو الموصوف بها، فهو المصلي، والصائم، والآكل، والشارب... ونحوها.

فلا فعل للعبد عندهم، ولا إرادة ولا مشيئة، وحركاته لا اختيار له فيها؛ بل مثله مثل الريشة في مهب الريح، وحركته كحركة الأشجار، وحركة المرتعش، والعروق النابضة.

ويقابلهم القدرية، ومنهم المعتزلة، ينفون القدر، والجبرية يثبتونه، ولكنهم يغفلون في الإثبات.

وأما القدرية فيراد بهم - في الغالب - النفاة الذين يقولون: إن الله تعالى لا يقدر على أفعال العبد، بمعنى: أن العبد يخلق فعله، فيتصرف دون مشيئة الله، ودون قدرته، فالله لا يقدر أن يجعل هذا مؤمناً وهذا كافراً أو يجعل المطيع عاصياً أو العاصي مطيعاً، أو الكافر مؤمناً أبداً.

فالعبد يفعل بإرادته المحضة المطلقة المنقطعة عن مشيئة الله، وعن قدرة الله، فينفون عموم المشيئة، وعموم الخلق.

وأهل السنة والجماعة بين ذلك، وسط في أفعال الله، فيقولون: إنه تعالى خالق كل شيء، فجميع ما في الوجود خلقه، فهو تعالى خالق السموات والأرض ومن فيهن، وهو خالق العباد، وخالق قدرتهم وإرادتهم، وخالق أفعالهم: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات].

ولكن للعبد فعل، فأفعال العباد ليست أفعالاً لله، فالعبد هو المصلي والقائم، والراكع والساجد، والآكل والشارب، والصادق والكاذب، والظالم والسارق، وهكذا.

العبد هو الذي يوصف بهذه الأفعال، هي أفعال للعبد، لكنها واقعة بمشيئته تعالى وبقدرته، وهي مفعولة له ليست فعلاً له، فالمفعول غير الفاعل، المفعول: هو الشيء المصنوع المنفصل عن الفاعل.

وأما الفعل فمن شأنه أن يقول بالفاعل.

وقد تقدم^(١) أن الذين ينفون صفة المحبة والرضا، والغضب والسخط عن الله، يفسرها بعضهم بأشياء منفصلة، - مفعولات - : بالنعم، والعقوبات المخلوقة .

إذاً؛ أهل السنة والجماعة وسط في أفعال الله، بين الجبرية الذين يقولون: إن العبد مجبور وليس له إرادة ولا اختيار ولا فعل، وإضافة الأفعال إليه إضافة مجازية، وإلا فهي في الحقيقة أفعال الله، لكن الفعل عندهم هو المفعول فليس هناك إلا الفاعل والمفعول، ليس هناك فعل يقوم به؛ لأن من الممتنع عندهم قيام الأفعال الاختيارية به ﷺ .

والقدرية النفاة الذين يقولون: إن العبد يخلق فعله، وإنه لا تعلق لمشية الله، ولا لقدرته بأفعال العبد .

فأهل السنة يثبتون القدر، ويؤمنون بكل مراتبه، ويؤمنون بالشرع، ويثبتون فعل العبد، فخالفوا بذلك الجبرية والقدرية، وكانوا وسطاً بين الطائفتين الضاليتين المنحرفتين .

ثالثاً: أهل السنة وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والجهمية، وبين الوعيدية من الخوارج والمعتزلة .

فالخوارج والمعتزلة وعيدية، والجهمية مرجئة .

فأهل السنة في باب الوعيد - والمراد بالوعيد: الوعد بالعذاب والعقاب لأهل كبائر الذنوب من الموحدين، كما توعد الله القاتل، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، ومن فر من الزحف، وقاذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وما أشبه ذلك من نصوص الوعيد - وسط بين المرجئة الجهمية، والوعيدية من الخوارج والمعتزلة .

فالمرجئة نظرتهم إلى الوعيد ضعيفة؛ لأن الإيمان عندهم هو التصديق فقط، أو المعرفة فقط، ويقولون قولتهم المشهورة: «إنه لا يضر

مع الإيمان ذنب؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ إذا؛ انتفى الوعيد، ليفعل المسلم ما يشاء، ولا يخاف!

هذه نظرة المرجئة إلى وعيد الله نظرة تهوين، وتهاون، وغفلة، وإعراض، ولا يقيمون له وزناً.

أما الوعيدية - وهم الخوارج والمعتزلة - فيقولون: إن الوعيد الذي توعده الله به العصاة حتمي، فمن مات مصراً على كبيرة، فلا بد له من دخول النار، وإذا دخل النار فلا بد له من الخلود فيها. وهم يتفقون على تخليد مرتكب الكبيرة في النار.

وأهل السنة والجماعة وسط في هذا المقام، يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة من الوعيد، مما توعده الله من عصاه وخالف أمره.

ويقولون: إن هذا الوعيد معلق على المشيئة، فالعاصي إذا مات فهو تحت مشيئة الله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، وإن عذبه بالنار؛ فمآله إلى الخروج منها؛ للأحاديث المتواترة في خروج الموحدين من النار^(١).

فيقولون: إن مرتكب الكبيرة مستحق للوعيد، ومتعرض للوعيد، ولا بد أن يعذب الله من شاء من مرتكبي الكبيرة، خلافاً للمرجئة الجهمية.

ويقول أهل السنة: إنه تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، ثم يخرج من النار خلافاً للخوارج والمعتزلة.

ويقولون: نصوص الوعيد تُمرُّ كما جاءت، ولا تحرف، وإن كانت كل نصوص الوعيد على الذنوب مقيدة بقيد متفق عليه، وهو نصوص التوبة، فكل من تاب من الذنب تاب الله عليه.

(١) انظر: «قطف الأزهار المتناثرة» ص ٣٠٣ رقم (١١٢)؛ و«نظم المتناثر» ص ٢٥٢ رقم (٣٠٨)، وص ١٨٨ من هذا الكتاب.

ومقيدة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

ومقيدة بنصوص خروج الموحدين من النار.

ورابعاً: أهل السنة والجماعة وسط في أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، هذا التقابل قريب، ومرتب بالذي قبله، فالتقابل بين الطائفتين المتطرفتين المنحرفتين واحد.

وأهل السنة والجماعة وسط في أسماء الإيمان والدين، وهي: الأسماء الشرعية التي ترجع إلى حال الإنسان في دينه: مؤمن، مسلم، تقي، صالح. وكذلك: كافر، منافق، فاسق، عاص، هذه هي أسماء الإيمان والدين، فأهل السنة وسط في هذه الأسماء التي تتضمن، وتستتبع أحكاماً دنيوية وأخروية.

وسط في باب أسماء الإيمان والدين، أو في باب الأسماء والأحكام، بين الحرورية - وهو: اسم للخارج نسبة إلى الموضع الذي خرجوا فيه: حروراء^(١) - والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، هذا الانقسام يتعلق أيضاً بمرتكب الكبيرة.

لكن القضية الأولى: تتعلق بحكم الوعيد في الآخرة، وقد علمنا حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة عند أهل السنة، وعند الخوارج والمعتزلة، وعند المرجئة والجهمية.

والثانية: حكمه في الدنيا؛ فالحرورية يقولون: إن مرتكب الكبيرة كافر، يخرج عن الإيمان، ويدخل في الكفر، ويكون مرتداً كافراً حلال الدم، والمال.

والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن، ولا كافر، وهذا أصل من أصولهم، كما أن من أصولهم إنفاذ الوعيد - يعني - حتمية وقوع ما توعد الله به من عصاه.

(١) قيل: قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها. «معجم البلدان» ٢/ ٢٤٥.

وأما المرجئة فيقولون: العاصي مؤمن كامل الإيمان؛ لأن الإيمان عندهم هو التصديق، فكل من كان مصداقاً بربوبيته تعالى، ومصداقاً برسالة النبي ﷺ؛ فهو مؤمن كامل الإيمان.

انظر إلى التقابل والتناقض؛ الخوارج يقولون: كافر، والمعتزلة قالوا: هو في منزلة يخرج عن دائرة الإيمان، وليس بمؤمن، والمرجئة يقولون: بل هو مؤمن كامل الإيمان.

وأهل السنة بين ذلك: يقولون: من أظهر الإيمان وأبطن الكفر؛ فهو منافق، ومن ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب وأصر عليها؛ فهو فاسق، وهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، مؤمن ناقص الإيمان، فلا يسلبون عنه مطلق الاسم، ولا يعطونه الاسم المطلق يقولون: مؤمن ناقص الإيمان^(١).

إذا؛ صاروا وسطاً في مرتكب الكبيرة - وهو الموحد الذي لم يأت بناقض - يقولون عنه: عاص فاسق ناقص الإيمان، لا يقولون: مؤمن كامل الإيمان، ولا يقولون: كافر، ولا يقولون: إنه في منزلة بين المنزلتين.

وبهذا تظهر وسطيتهم، ويظهر تطرف من خالفهم، فالحرورية والمعتزلة في طرف، والمرجئة في طرف، هؤلاء هم المتطرفون حقاً، أما أهل السنة فهم عدول خيار وسط، لا إفراط ولا تفريط، أهل عدل في أحكامهم، وأقوالهم، وأفعالهم.

خامساً: أهل السنة وسط في ما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ، فقد اختلفت فيهم الفرق، ففريق غلّوا، وفريق جفّوا، وفريق توسطوا.

فأهل السنة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الراضية والخوارج.

(١) انظر: ص ٢٠٢.

فإن الرافضة يغفلون في آل بيت النبي ﷺ؛ يغفلون في علي بن أبي طالب ﷺ، وفاطمة بنت النبي ﷺ وذرئته منها، ويتجاوزون فيهما الحد.

وأما الخوارج فإنهم يكفرون كثيراً من الصحابة، ومنهم علي ﷺ، فكانوا مع الرافضة على طرفي نقيض.

فالخوارج هم شر النواصب؛ لأن الطائفة الناصبة نصبوا العداة لأهل بيت النبي ﷺ، وخيرهم مطلقاً علي ﷺ. والرافضة مع غلوهم في علي ﷺ وذرئته نصبوا العداوة لخير هذه الأمة بعد نبينا، لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وجمهور الصحابة ﷺ، ولا يستثنون إلا نفرًا قليلاً.

فهم شر من الخوارج؛ لأنهم شاركوا الخوارج في نظير ما ضلوا وانحرفوا فيه من أمر الصحابة، وزادوا عليه، فالرافضة شر، والخوارج خير منهم بكثير^(١)، فالذي يبغض - مثلاً - علياً، أو يكفره أهون ممن يبغض أبا بكر، ويكفره، وإن كان الكل ضالاً منحرفاً زائغاً عن سبيل الحق.

فأهل السنة وسط، يحبون أصحاب رسول الله ﷺ وينزلونهم منازلهم، ولا يبغضون أحداً منهم، ولا يتبرؤون من أحد منهم، ولا يذكرونهم إلا بالجميل، ويبغضون من يبغضهم، وبغير الخير يذكروهم.

وينزلونهم منازلهم، ولا يغفلون في أحد منهم، كما صنعت الروافض، ولا جفاء كما صنعت الخوارج، والله المستعان.



(١) انظر: تقرير هذا المعنى في: «مجموع الفتاوى» ٣/٣٥٦ و ٢٨/٤٧٧ - ٤٩٩ و ٥٢٧.

من الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بعلوه ومعيته

وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله في كتابه، وتواتر عن رسوله ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمة من: أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦﴾ [الحديد]. وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجهه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق؛ بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم، مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته. وكل هذا الكلام الذي ذكره الله - من أنه فوق العرش وأنه معنا - حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يسان عن الظنون الكاذبة، [مثل أن يُظن أن ظاهر قوله ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلْك: ١٦] أن السماء ثقله، أو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإن الله وقد وسع كرسيه السموات والأرض، وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره^(١).

(١) زيادة من: (م).

الشرح

هذا فصل خصصه الشيخ رحمته الله لتقرير صفتين من صفات الله، تقدم ذكرهما وذكر أدلتهما من الكتاب والسنة^(١)، وهما: علوه تعالى على خلقه واستواؤه على عرشه، ومعيته لعباده، ولكنه خصص لهاتين الصفتين فصلاً خاصاً؛ لوجود الاضطراب في هذا المقام، وكثرة الاشتباه في هذا الأمر.

ذكر الشيخ رحمته الله: أن من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر به في كتابه، وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة: من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا كما في آية الحديد، فإن الله تعالى قد جمع فيها بين الأمرين: بين ذكر العلو والمعية: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [الحديد].

فمن الإيمان بالله: الإيمان بعلوه تعالى، وفوقيته على خلقه، واستوائه على عرشه، وأنه تعالى مع ذلك هو مع عباده، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، فهذا مما أخبر الله به في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة.

إذاً؛ هاتان الصفتان ثابتتان بالكتاب، والسنة، والإجماع، ولا منافاة بين هاتين الصفتين؛ فإنه تعالى مع علوه على خلقه واستوائه على عرشه هو مع عباده، مطلع وراقيب ومهيمن عليهم، لا يخفى عليه شيء من حالهم وأمرهم.

والمعية التي وصف الله بها نفسه - ويجب إثباتها له - لا تقتضي أن يكون الله مختلطاً بالخلق، وحالاً فيهم - تعالى الله عن ذلك -.

يقول الشيخ: «فإن هذا المعنى الباطل لا توجهه اللغة»، المعية لا

(١) العلو والمعية ص ١٠٨ والاستواء ص ١٠٣.

تقتضي اختلاطاً، ولا حلولاً، فاللغة لا توجهه، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، فالذين لم يفهموا من معيته تعالى لعباده إلا أنه مختلط بهم حال فيهم حتى قالوا: إنه في كل مكان! هؤلاء خارجون عن موجب اللغة، مخالفون لما أجمع عليه سلف الأمة، ومخالفون لما تقتضيه الفطرة السوية.

ومعية المخلوق للمخلوق لا تقتضي اختلاطاً وحلولاً، ومثاله: هذا القمر، فوق حيث شاء ﷻ وبعيد عن الأرض، ويقال: إنه معنا مع المسافر وغير المسافر، وهو في مكانه، فإذا كانت معية المخلوق للمخلوق لا تقتضي اختلاطاً، فكيف بمعية الخالق للمخلوق؟! يجب أن يعلم أن ما وصف الله به نفسه من علوه ومعيته، وفوقيته ومعيته أن كل ذلك حق على حقيقته.

والله تعالى مستو على عرشه حقيقة، عال على خلقه حقيقة، وهو معنا حقيقة، وليس في قولنا: إنه معنا حقيقة ما يتضمن الحلول، هو معنا حقيقة على ما يليق به، ويناسبه ويختص به، فهو حق على حقيقته.

يقول الشيخ: «لا يحتاج إلى تحريف وصرف له عن ظاهره» الله تعالى نفسه معنا، وهو فوق سماواته مستو على عرشه، وهو سبحانه معنا يرانا، ويسمعنا، وعلمه محيط بنا: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧].

يقول المؤلف: «ولكن يصاب عن الظنون الكاذبة» ما يُثبت لله من الفوقية - من كونه في السماء - يجب أن يصاب عن الظنون الكاذبة، مثل: أن يظن أن معنى أن الله في السماء: في داخل السماء تقله، وتحمله، والسماء الأخرى تظله - تعالى الله - فهذا ظن كاذب، وسوء ظن بالله، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، فإن أهل السنة والجماعة مجمعون على أن معنى في السماء - يعني - في: العلو فوق جميع المخلوقات، فهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء.

وكذلك المعية يجب أن تصان عن الظن الكاذب؛ كظن الحلولية الذين يقولون: معنى أنه معنا: أنه في كل مكان حال في الأشياء، في داخل الغرف، في داخل الأمكنة المستخبثة، حال في كل شيء - يعني - أشبه ما يكون بالهواء الذي يملأ الفراغ - تعالى الله عما يقول الظالمون، والجاهلون، والمفترون علواً كبيراً، سبحانه الله عما يصفون -.

ويشير الشيخ إلى الدليل الدال على امتناع أن يحيط به شيء من مخلوقاته، فإنه سبحانه العلي وهو العظيم الذي لا أعظم منه، فالمخلوقات كلها في قبضته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وهو العظيم الذي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهو الذي ﴿يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، [فاطر: ٤١] ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الرؤم: ٢٥]، فهذه العوالم كلها في قبضته تعالى يدبرها كيف شاء.

وهذا الفصل ينبغي حفظه؛ لأن فيه عبارات جيدة تتضمن بيان ما يجب انتهاجه والثبات عليه من إثبات هاتين الصفتين: العلو والمعية، والإيمان بالله، وكتبه ورسوله ﷺ.



لا منافاة بين علوه وفوقيته، وقربه ومعيته

ودخل في ذلك: الإيمان بأنه قريب من خلقه [مجيب] ^(١) كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة]، وقال النبي ﷺ: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» ^(٢). وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته، لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثل شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوه، قريبٌ في علوه.

الشَّحْ

هذا الفصل متمم للذي قبله؛ ولهذا يقول: فقد دخل في ذلك - يعني - فيما تقدم من الإيمان بعلوه ومعيته الإيمان، بأنه قريب مجيب قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فالله تعالى موصوف بالعلو والفوقية، كما أنه موصوف بالقرب وبالمعية، وكل من هذه المعاني ثابت بالنصوص من الكتاب والسنة، ولا منافاة بين علوه وفوقيته، وقربه ومعيته، هو ﷺ فوق جميع المخلوقات مستو على عرشه، وفي نفس الوقت هو مع عباده، وهو قريب من الداعين والعابدین، وهذا الفصل مكمل أضاف إليه مسألة القرب، والكلام فيها مع العلو يشبه الكلام في المعية مع العلو، والله المستعان.

(١) زيادة من: (م).

(٢) تقدم تخريجه في ص ١٣٤.

اعتقاد أهل السنة في القرآن

ومن الإيمان به وبكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدا، وإليه يعود، وأن الله تكلم [به]^(١) حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو: كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة، بل إذا قرأه الناس، أو كتبه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، فإن الكلام إنما [٢/٢٩] يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً [وهو كلام الله؛ حروفه ومعانيه؛ ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف]^(٢).

الشَّرح

هذا الفصل من أعظم فصول هذه العقيدة أهمية؛ لأنه يتعلق بقضية كبرى ألا وهي: مسألة كلام الله التي اضطرب فيها الناس، واختلف فيها أهل الضلال، وهدى الله إلى الحق فيها أهل السنة والجماعة، وهذه المسألة هي التي نشأت عنها الفتنة الكبرى - فتنة القول بخلق القرآن، والمحنة بذلك - في خلافة المأمون^(٣) حتى حُمل الناس على هذه البدعة

(١) لا توجد في: (ب).

(٢) زيادة من: (م).

(٣) هو الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد العباسي، ولد سنة ١٧٠هـ، وقرأ العلم والأدب، والأخبار، والعقليات، وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، ودعا إلى القول بخلق القرآن، بويع بالخلافة في أول سنة ١٩٨هـ، =

بالقوة، وامتحن العلماء، وعلى رأسهم إمام أهل السنة الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
يقول الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة تكلم به سبحانه وسمعه منه جبريل، وبلغه إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشُّعَرَاءُ]، وهذا هو المعقول؛ فكل عاقل إذا سمع إضافة الكلام إلى متكلم عَقَلَ أنه كلامه، وقال: هذا كلام فلان.

فالقرآن العظيم هو: المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، وهو محفوظ في الصدور: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنَتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

يقول الشيخ: «القرآن كلام الله منزل» قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ [الرُّم: ١]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، هذه هي عقيدة أهل السنة في القرآن أنه منزل غير مخلوق، بل هو صفة من صفات الله.

فالكلام صفة الله، والقرآن من كلام الله تكلم به سبحانه، منزل غير مخلوق خلافاً للجهمية والمعتزلة ومن شابههم من القائلين بأن هذا القرآن مخلوق، والله لا يتكلم فالقرآن ليس كلامه حقيقة، وإن أضيف إليه فهو من إضافة المخلوق إلى خالقه، ويقولون: القرآن كلام الله؛ لكنه ليس على معنى أنه تكلم به؛ بل على معنى أنه خلقه، وقد صرح الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإضافة القرآن إليه، وأنه كلامه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِ لِنَأْخُذُوهَا ذُرُونَا نَنْبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

والمعطلة من الجهمية والمعتزلة يقولون: هذا القرآن مخلوق خلقه الله إما في الهواء، أو في نفس جبريل، أو كيفما كان^(١).

وأهل السنة يؤمنون بأنه كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق منه بدا - أي -: ظهر القرآن من الله، وسُمع من الله كلاماً تكلم به سبحانه كيف شاء.

فالله يتكلم بالوحي كيف شاء، ويتلقاه عنه من شاء من ملائكته، وجبريل هو الموكل بالوحي كما في آيات كثيرة منها: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشُّعْرَاءُ]، وجبريل هو الروح الأمين، بل قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٥﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٦﴾﴾ [التكوير].

وقول الشيخ: «وإليه يعود» يشير إلى رفعه في آخر الزمان حين يرفع القرآن من المصاحف والصدور؛ كما جاء ذلك في كثير من الآثار^(٢)؛ لأنه قرب قيام الساعة يُقبض المؤمنون، فلا يبقى في الأرض أحد يقول: الله الله^(٣).

وهذا معنى قول أهل السنة: وإليه يعود.

إذاً؛ القرآن هو كلام الله حقيقة لا مجازاً، والذين ينفون الكلام عن الله مطلقاً يقولون: إنه ليس كلام الله حقيقة؛ بل إضافته إليه من قبيل إضافة المخلوق إلى خالقه.

(١) انظر: ص ١١٧.

(٢) انظر جملة منها في: مصنف عبد الرزاق ٣/٣٦٢، ومصنف ابن أبي شيبة ١٥/٥٢٨، وسنن الدارمي ٢/٨٩٥، والدر المنثور ٥/٣٣٤ - ٣٣٦، وذكر شيخ الإسلام في مناظرة الواسطية - مجموع الفتاوى ٣/١٧٤ -: أن الحافظ أبا الفضل بن ناصر، والحافظ أبا عبد الله المقدسي جمعا ما في ذلك من الآثار عن النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين.

(٣) روى مسلم (١٤٨) عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله». وفي رواية: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله».

يقول الشيخ: «ولا يجوز إطلاق القول بأن القرآن حكاية عن كلام الله أو عبارة» هذه إشارة إلى مذهب الأشاعرة، فالأشاعرة يقولون: إن كلام الله معنى واحد نفسي قديم قائم بالرب ليس بحرف ولا صوت، وأما ما يسمعه الملائكة، أو يسمعه الأنبياء، أو هذا القرآن، أو غيره من الكتب، هذه الألفاظ عبارة أو حكاية، قد يعبرون بهذا أو هذا، وقولهم: عبارة أي: تعبير عن كلام الله ليس القرآن كلام الله حقيقة؛ بل هو مجاز - تعالى الله عما يقول الجاهلون والغالطون علواً كبيراً - إنهم بذلك يشبهون الله بالأخرس الذي تكون في نفسه المعاني، ويعبر عنها من يفهم إشارته عن المعنى الذي فهمه منه.

ولهذا أشار الشيخ إلى بطلان قول هؤلاء بقوله: «ولا يجوز أن يقال: إن هذا القرآن حكاية عن كلام الله أو عبارة» لا بل هو كلام الله حقيقة، والكلام إنما يُضاف إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، فلا يقال: إن القرآن كلام محمد، هذا قول الكفار: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٥٥)﴾ [المدثر] لا يقال: إنه كلام محمد ﷺ، أو كلام بشر، أو إنه كلام جبريل؛ لأن الكلام وإن كان جبريل قد بلغه، ومحمد ﷺ قد بلغه، وقد أضيف إليهما القرآن بلفظ القول: ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ﴾ كلمة (رسول) تنبئ أن إضافة القول للرسول إضافة تبليغ، وقد أضيف إلى جبريل كما في آية التكوير: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤)﴾ [التكوير]، وأضيف إلى محمد ﷺ، وهو الرسول البشري في سورة الحاقة: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ (٤)﴾ [الحاقة].

وهذا يمنع أن يقال: إنه قول جبريل ابتداءً؛ ابتداءه جبريل، أو أنه ابتداءه محمد؛ لأنه قد أضيف إليهما، فلا يجوز أن يكون كل منهما ابتداءً، كلا بل كلُّ منهما بلَّغه، فإضافة القرآن إلى جبريل الرسول من الملائكة، أو إلى محمد وهو الرسول من البشر إضافة تبليغ كما ينبئ عن ذلك لفظ رسول، إذًا؛ الكلام ليس كلامه، بل كلام مرسله.

ولهذا جاء التنصيص على أنه كلام الله، وقد أجمع أهل السنة على أن القرآن كلام الله؛ لأن من ينفي أن يكون القرآن كلام الله حقيقة، وأنه مخلوق إنما يقول ذلك بناء على أصله الفاسد، وهو أن الله لا يتكلم - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وتقدم^(١) أن نفي الكلام عن الله تنقص لرب العالمين، وأن الله بين لبني إسرائيل بطلان إلهية العجل بأنه لا يتكلم ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف].

وختم الشيخ هذا الفصل بقوله: «القرآن هو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف».

والجهمية والمعتزلة نفاة الكلام مطلقاً يقولون: القرآن ليس كلام الله حروفه ومعانيه، بل الكل مخلوق، وأما الأشاعرة فيقولون: المعنى كلام الله، أما الحروف فهي مُعَبَّرٌ بها عن تلك المعاني، والحق أن القرآن كلام الله ﷺ حروفه ومعانيه، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] هذه الآية تكلم الله ﷺ بها كيف شاء، وتلقاها عنه الرسول الكريم جبريل عليه السلام، وبلغها للرسول الكريم من البشر محمد ﷺ.

وهكذا، فالقرآن كله من الله حقيقة حروفه ومعانيه، وهكذا سائر الكتب المنزلة هي كلامه ﷺ - يعني -: قبل التحريف، فقد أنزل الله على موسى التوراة، وأنزل الإنجيل على عيسى، وقرن الله في كتابه بين الكتب الثلاثة بقوله تعالى: ﴿زُلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [٣] من قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران] أي: هذا الكتاب.

هذا ما يتعلق بهذا الفصل، وهو فصل ضمنه الشيخ رحمه الله تقريراً وافياً للمذهب الحق - مذهب أهل السنة والجماعة - في القرآن، وهو مناف للمذاهب الباطلة.

من الإيمان بالله ورسله: الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

وقد دخل - أيضاً - فيما ذكرنا من الإيمان به، وبكتبه ورسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحوماً ليس دونها سحب، وكما يرون القمر ليلة البدر، ولا يضمون في رؤيته، يرونه سبحانه وهو^(١) في عَرَصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله ﷻ.

الشَّرح

وهذا فصل عقده الشيخ لمسألة الرؤية لمزيد العناية بها؛ لأن مسألة الرؤية مما اتسع فيها الكلام، وعظم فيها الاشتباه والاضطراب. فبين الشيخ: أنه قد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، دخل في هذه الأصول: الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم، ليست رؤية قلبية كما يقول المحرفون، لا بل عياناً بأبصارهم، والدليل على هذا: نصوص الكتاب، والسنة المتواترة^(٢)، وإجماع سلف الأمة، فهي قضية تضافت عليها الأدلة.

يقول الشيخ: «يرونه وهم في عَرَصات القيامة» يعني يرونه ﷻ في

(١) في (م): وهم.

(٢) انظر: ص ١٤٧.

ساحات القيامة ومواقفها، ويروونه كذلك بعد دخولهم الجنة كما يشاء: كيفية، وزماناً، ومكاناً، لا نحدد إلا في حدود ما صرحت به النصوص الثابتة من الكتاب، أو من السنة الصحيحة.

فالمقصود: أن الشيخ عقد لبعض هذه المسائل - التي سبق ذكر أدلتها^(١) - فصولاً؛ لأنها مسائل كثر الكلام والخلاف فيها بين فرق الأمة، وبين أهل السنة ومخالفهم.



الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه

أحوال الناس بعد الموت، وبعد البعث

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت؛ فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر، وبنعيمه. فأما الفتنة: فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي. وأما المرتاب فيقول: آه آه^(١) لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق^(٢)، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم، وإما عذاب إلى يوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله تعالى بها في كتابه [و] ^(٣) على لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً، وتدنو

(١) هكذا هنا، وفي المسند وأبي داود «هاه هاه»، وعند البقية «لا أدري» كما في التخريج.

(٢) رواه أحمد ٢٨٧/٤، وأبو داود (٤٧٥٣)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ١١٩، وابن جرير في «تهذيب الآثار» - مسند عمر ﷺ - ٤٩١/٢ - والحاكم ٣٧/١، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص ٣٩ من حديث البراء ﷺ مطولاً، وصححه - أيضاً - ابن القيم في «الروح» ص ٨٨؛ «وإعلام الموقعين» ١٧٨/١، و«تهذيب السنن» ١٩٣/٧، وقواه شيخ الإسلام ونقل عن جماعة تصحيحه. «شرح حديث النزول» ص ٢٦٢ - ٢٨٠.

(٣) زيادة من (م).

منهم الشمس، ويلجهم العرق، وتُنصَب الموازين فيوزن فيها أعمال العباد ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٢﴾ [المؤمنون] وتنشر الدواوين - وهي: صحائف الأعمال - فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره؛ كما قال سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١١٣) أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١١٤﴾ [الإسراء].

الشَّحْ

الإيمان باليوم الآخر هو أحد أصول الإيمان الستة التي فسر بها النبي ﷺ الإيمان، وهو الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر، أو بتعبير آخر: الإيمان بالبعث بعد الموت.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر أشياء كثيرة مما جاءت به النصوص، فكل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت فهو داخل في الإيمان باليوم الآخر.

فالدور ثلاث: دار الدنيا - وهي دار العمل - ودار البرزخ، والدار الآخرة - وهما دارا جزاء -.

فيجب الإيمان بما دلت عليه نصوص الكتاب، والسنة من: فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، وما يكون بعد ذلك من القيامة الكبرى؛ فإن القيامة قيامتان:

قيامه صغرى، وهي: الموت الذي يكون به الانتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ.

وقيامة كبرى وهي: التي أخبر الله تعالى بها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وأجمع عليها المسلمون.

فإنه تعالى يبعث الأموات من قبورهم: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٧) [الحج]، وفتنة القبر وعذابه ونعيمه:

أحوال من أحوال دار البرزخ. ومعنى البرزخ: الحاجز بين الدنيا والدار الآخرة: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وهو: ما بين الموت إلى البعث.

وقد دل القرآن، والسنة المتواترة^(١) على فتنة القبر وعذابه. والفتنة: الابتلاء، والمراد بفتنة القبر: سؤال الملكين: منكر ونكير للميت، «فإن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أناه ملكان فيقعدانه ويسألانه يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟...».

فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، وأما الكافر فيتلجلج ويحار، فيقول: هاه هاه لا أدري فـ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧] كما ذكر ذلك ﷺ في كتابه، فهذه الآية فسرت التثبيت في القبر: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستقامة على الإسلام حتى الموت ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بالتثبيت عند فتنة القبر.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه أوحى إليّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل، أو قريباً من فتنة المسيح الدجال: فيؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا واتبعنا هو محمد - ثلاثاً - فيقال: نم صالحاً قد علمنا إن كنت لموقنا به، وأما المنافق فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً؛ فقلته»^(٢).

تفتنون: يعني تمتحنون بالسؤال.

وبعد هذه الفتنة إما نعيم، وإما عذاب، ومن عذاب الشقي أنه إذا تحير في الجواب، وقال: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلتُ، يُوكل به من

(١) انظر: كتاب «إثبات عذاب القبر» للبيهقي، و«الروح» ص ٩٧، و«أحوال القبور» لابن رجب ص ٤٣، و«كطف الأزهار» ص ٢٩٤ رقم (١٠٩).

(٢) رواه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) من حديث أسماء رضي الله عنها.

يضره بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق.

وهذه الأمور تجري في القبور، والناس قريبون جداً منها ولا يدرون شيئاً عنها، فهي من علم الغيب، والإيمانُ بها من الإيمان بالغيب. وقد جاء في الصحيحين^(١) حديث صاحبَي القبرين، وأن الرسول ﷺ أخبر أنهما يعذبان، والصحابة معه لا يدرون عن تعذيبهما، ولا عن سبب تعذيبهما، ومن حكمة الله أنه ستر أحوال القبور، وأهوالها، وعذاب المعذبين فيها، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»^(٢).

ولو سمع الناس ما في القبور لما استطاعوا المُقام، ولما طاب لهم عيش، ولما تدافنوا إلي ولفر الناس وهاموا على وجوههم. فالقبور فيها أمور وخطوب؛ ولهذا جاءت الاستعاذة بالله من عذاب القبر، ومن فتنة القبر في كثير من النصوص، وانظروا كيف أوصانا النبي ﷺ أن نستعيذ بالله من هذه الأخطار العظيمة في كل صلاة بعد التشهد.

قال النبي ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»^(٣).

ولو كُشف للناس أحوال القبور لما كان لهم ثواب على الإيمان بذلك؛ لأن الثواب إنما هو على الإيمان بالغيب، فهذا هو الذي فيه الفضل، ويتبين فيه المؤمن المصدق من الكافر الجاحد قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣] الآية،

(١) رواه البخاري (٢١٦)، مسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس ؓ.

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٨).

(٣) رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨) - واللفظ له - من حديث أبي

هريرة ؓ.

ولهذا إذا عاين الإنسان مصيره انغلق عليه باب التوبة، فالله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، ويقبل توبة التائبين ما لم يئسوا من الحياة، ويعاينوا العذاب كما أخبر الله عن الهالكين من المكذبين: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

إذا؛ فمن أصول أهل السنة: الإيمان بفتنة القبر، وعذاب القبر، ونعيم القبر، وقد أنكر ذلك بعض المبتدعة، وأنكره الملاحدة الزنادقة^(١)، ويلبسون فيقولون: هذه القبور لا نرى فيها شيئاً، فلا يؤمنون إلا بما تدركه حواسهم، وهذا ضلال بين، فكم من الأمور الموجودة القريبة منا ولا ندركها؟!

أليس الإنسان قد وكل الله به ملائكة من حوله يكتبون أعماله ويحفظوه ولا يحس بهم؟

بل إن ملائكة الموت - ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب - حين نزع الروح أقرب إلى الإنسان من أهله، وهم لا يدرون.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة] فأحوال القبور الإيمان بها من الإيمان بالغيب، ولا يصح أن يكون عند المسلم أدنى شك لكونه لا يرى شيئاً ولا يحس به.

وقد يكشف الله لبعض الناس شيئاً من أحوال القبور كما تواترت الأخبار، فيكشف أحياناً لبعض الناس أشياء: إما أمور مسموعة، أو أمور مرئية^(٢).

(١) «الروح» ص ١٠٥، ورد عليهم في ص ١١١.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٩٦/٤ و ٣٧٦/٢٤، و«شرح حديث النزول» ص ٣٩٩، و«الروح» ١١٩ و«أحوال القبور» ص ٦١.

وبعد ذلك يبقى الناس في قبورهم، وفي أحوالهم إلى القيامة الكبرى التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وأجمع عليها المسلمون، فالقيامة البعث بعد الموت، فالإيمان بها من أصول الإيمان، ومن أنكر البعث فهو كافر: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْعَبُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]، والحديث عن البعث في القرآن طويل، ومستفيض، ومتنوع، وكثير، وواسع.

قال المؤلف: «يقوم الناس من قبورهم» هذه القيامة الكبرى، تُعاد الأرواح إلى الأجساد، ويُجمع شتات الأبدان، يجمع ما تمزق وتفرق، ويُعاد خلقاً جديداً: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾﴾ [ق] فالأجزاء المتفرقة والأوصال المتمزقة والعظام النخرة يجمعها ربك، وينشئها نشأة أخرى، ويعيد الأرواح نفسها إلى تلك الأبدان التي ينشئها الله نشأة جديدة، فتشقق عن الناس قبورهم، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ [ق: ٤٤] تشقق الأرض كما تشقق عن النبات، يدفن البذر في الأرض فتنمو هذه البذور، فتشقق عنها الأرض، فتخضر وتخرج الأشجار والثمار، والله شبه إحياء الأموات، وإخراجهم من قبورهم بإحياء الأرض بعد موتها: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج] وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ يَأْتِيهِ مِنَ الْبُحْرَيْنِ نَبْهَتِ لَمَالًا أَلْبَسْتُهُمْ جُذُوعَ النَّخْلِ وَمِنْ يَنْبَعِثُ مِنْ تَحْتِهَا نَاقُورَاتُ الْفِجَاجِ تَكْرُرُ ﴿٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ولما أخبر الرسول ﷺ بذلك، سألته أم المؤمنين عائشة: الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال الرسول ﷺ: «يا عائشة! إن الأمر أشد من أن

ويكونون: «حفاة عراة غرلا» أي: غير متعلين، ولا مكتسين، ولا مختونين: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ولما أخبر الرسول ﷺ بذلك، سألته أم المؤمنين عائشة: الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال الرسول ﷺ: «يا عائشة! إن الأمر أشد من أن

يهمهم ذلك»^(١).

وذكر الشيخ جملة مما يكون يوم القيامة؛ فمن ذلك: دنو الشمس من رؤوس الخلائق، كما جاء بذلك الحديث الصحيح: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق؛ فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً»^(٢). ولو كانت خلقتهم وطبيعتهم كطبيعتهم في هذه الحياة لأحرقتهم الشمس، لكن حياة الآخرة خلقت للبقاء، وإذا ردت الأرواح إلى الأبدان فإنها ترد رداً لا انفصال ولا فراق بعده.

ومما يكون يوم القيامة: نصب الموازين، ووزن الأعمال: ﴿وَنُضِعُّ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيباً﴾ [الأنبياء].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكذا نصوص السنة الدالة على وزن الأعمال^(٣).

وكذلك نشر الدواوين، وهي: صحائف الأعمال، والآيات في هذا كثيرة ذكر الشيخ منها قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] أي: ألزمناه عمله، ونصيبه في عنقه ملازم له.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً﴾ كتاباً حقيقياً الله أعلم بكيفيته.

﴿يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾ أي: مفتوحاً ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير].

﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ كتاب قد أحصي على الإنسان فيه كل صغير وكبير.

﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا

(١) رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٤) من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه.

(٣) انظر: «التذكرة» ٧١٥/٢، و«فتح الباري» ٥٣٨/١٣.

الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴿٥٣﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ
وَكَبِيرٍ مُّسْتَنْطَرٌ﴾ [القمر].

فكل هذا مما يجب الإيمان به، وهو داخل في الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بكل ما أخبر الرسول ﷺ به من فتنة القبر، وعذاب القبر، ونعيم القبر، والبعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم حفاة، ودنو الشمس، ونصب الموازين، ووزن الأعمال، ونشر الدواوين، كل هذا مما يجب الإيمان به، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله؛ لأن منهجهم ومذهبهم قائم على الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه، وما أخبر به رسوله ﷺ لا يعارضون شيئاً من ذلك بعقولهم، أو بعقل فلان، أو بآراء فلسفية، أو جدل كلامي، بل مذهبهم قائم على التسليم لخبر الله سبحانه، وخبر رسوله ﷺ، يؤمنون بذلك كله كما جاء عن الإمام الشافعي رحمته الله أنه قال: «أمنت بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وأمنت برسول الله، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ»^(١).

وأهل البدع وإن أقروا بالبعث فإنهم يقولون أقوالاً تخالف موجب النصوص، وينكرون بعض ما ورد في السنن، مثل: من ينكر الميزان^(٢)، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما أخبر الله به في كتابه وأخبر به رسوله ﷺ، والإيمان بهذه الأمور كله داخل في الإيمان باليوم الآخر.



(١) «لمعة الاعتقاد» ص ٨، و«مجموع الفتاوى» ٢/٤ و ٣٥٤/٦.

(٢) كالمعتزلة. انظر: «مقالات الإسلاميين ص ٤٧٢»، و«درء تعارض العقل والنقل» ٣٤٨/٥ - وذكر أنه قول البغداديين من المعتزلة دون البصريين -، وفتح الباري ٥٣٨/١٣.

محاسبة الله للخلائق

ويحاسب الله الخلق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه، كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها.

الشرح

ومما يكون يوم القيامة من الأمور العظيمة الحساب، فيوم القيامة له أسماء كثيرة منها: يوم الفصل، ويوم النشور، ويوم التلاق، ويوم التناد، ويوم الحساب، والحساب من أعظم ما يكون يوم القيامة.

يحاسب الله الخلائق، وهو سريع الحساب، وهو أسرع الحاسبين ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ۖ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ ﴿٨﴾ وَنَقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۖ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿١٣﴾ [الانشقاق]، فمن الناس من يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم من يناقش الحساب.

وقد قال ﷺ: «من نُوقِشَ الحِسَابَ عُدْبٌ، فقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أليس الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق]؟ قال: ذلك العرض»^(١).

(١) رواه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

حساب المؤمن الذي غفر الله له ذنوبه إنما هو عرض أعماله عليه؛ ويسترشد إلى هذا بقول الشيخ: «يحاسب الله الخلق، ويخلو بعبد المؤمن فيقرره بذنوبه - إلى آخره -».

وقول الشيخ: «كما وصف ذلك في الكتاب والسنة».

هذه الكلمة عامة وهي: إشارة إلى دليل قوله: «ويحاسب الله الخلق، ويخلو بعبد المؤمن» فمن أمور الحساب ما دل عليه القرآن، كما في الآيات التي ذكرتها، ومنها ما دلت عليه السنة، والفقرة الثانية إنما جاءت بها السنة، فالرسول ﷺ أخبر: «أن الله يدني عبده المؤمن حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، ثم يقول له: إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»^(١).

يقول الشيخ: «وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنهم لا حسنة لهم» ولكونهم لا حسنة لهم؛ لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ لأن من له حسنة وسيئات توزن أعماله؛ فقد ترجح الحسنات فينجو، وقد ترجح السيئات، فيستوجب العذاب.

وقول الشيخ: «وأما الكفار؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته... ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها» كأن هذه العبارة تُشعر بأن أعمالهم لا توزن^(٢)، والقرآن ظاهره - والله أعلم - أن الكفار توزن أعمالهم؛ فتخف موازينهم قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٢﴾ تَلَفَحُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون] الآيات، ونظائر هذا في القرآن متعددة، فالذين تخف موازينهم؛ يبوؤون بالشقوة، وهم الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ

(١) رواه البخاري (٦٠٧٠)، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «التذكرة» ٧٢٠/٢، و«فتح الباري» ٥٣٨/١٣.

عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ [المؤمنون] فيقول الله تعالى لهم: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ [المؤمنون]:
[١٠٨] نعوذ بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، نعوذ بالله
من مصير أهل الشقاء.



وجوب الإيمان بالحوض والصراط

وفي عَرَصَة^(١) القيامة: الحوض المورود لمحمد ﷺ ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لن يظمأ بعدها أبداً.

والصراط منصوب على متن جهنم - وهو: الجسر الذي بين الجنة والنار - يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مرَّ على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتصن لبعضهم من بعض، فإذا هُذِّبوا ونُقِّوا أذن لهم في دخول الجنة.

الشَّرْح

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر؛ ويجب الإيمان به: الحوض لنبينا ﷺ فقد تواترت به السنة^(٢) وأخبر الرسول ﷺ بوصفه، ووصف مائه، ومساحته، ومن ذلك ما ذكره الشيخ في أحد الروايات: «طوله

(١) في (م): عرصات.

(٢) «قطف الأزهار المتناثرة» ص ٢٩٧ رقم (١١٠)، «ونظم المتناثر» ص ٢٤٨ رقم (٣٠٥).

شهر، وعرضه شهر»^(١)، وفي رواية أخرى تقدير مساحته: «كما بين أيلة، وصنعاء»^(٢) و«كما بين صنعاء، والمدينة»^(٣) وروايات كثيرة في مقداره^(٤).

المقصود: أنه حوض عظيم، ومورد كريم ترد عليه هذه الأمة، ويشرب منه المؤمنون الذين ثبتوا في هذه الحياة على هدى الله، واستقاموا على سنة رسوله ﷺ، وهذا الحوض قد ورد: «أن ماءه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، وأنيته وكيزانه كنجوم السماء»^(٥).

كل هذا يجب الإيمان به، وأهل السنة يؤمنون بهذا كله تصديقاً لخبر الصادق المصدوق ﷺ، وهذا من فضائل نبينا فإن الله تعالى يظهر فضله وكرامته على سائر الأنبياء بذلك الحوض، وبكثرة الواردين عليه، «وإنه ليرد عليه أقوام يعرفهم ﷺ فيُختلجون دونه وبحال بينهم وبين الورود، فيقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فيقول ﷺ: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»^(٦). نعوذ بالله من التغيير والتبديل والردة من الإسلام.

يقول الشيخ: «في عرصات القيامة الحوض لنبينا» عرصات القيامة: موافقها، وساحاتها.

وذكره للحوض في هذا الموضع يشعر بأنه يختار أن الحوض قبل

- (١) رواه البخاري (٦٥٧٩)، مسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو ؓ.
- (٢) رواه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣) من حديث أنس ؓ.
- (٣) رواه البخاري (٦٥٩١)، ومسلم (٢٢٩٨) من حديث حارثة بن وهب ؓ.
- (٤) انظر: أحاديث الحوض في «البداية والنهاية» ١٩/٤٢٣ - ٤٦٦.
- (٥) نحو هذا اللفظ في البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو ؓ، ومسلم (٢٤٧) من حديث أبي هريرة ؓ و(٢٣٠٠) من حديث أبي ذر ؓ و(٢٣٠١) من حديث ثوبان ؓ.
- (٦) رواه البخاري (٦٥٨٣ و٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٩٠ و٢٢٩١) من حديث سهل بن سعد، وأبي سعيد الخدري ؓ.

الصراط، فإن أهل العلم اختلفوا في الحوض هل هو قبل الميزان، أو بعده؟ وهل هو قبل الصراط أو بعده؟^(١).

والأظهر - والله أعلم -: أنه قبل الصراط، وبعد الميزان فإنه يناسب - والله أعلم - أن يكون ورودهم بعد الحساب؛ ليروي غليلهم، ويثلج نفوسهم بعد المعاناة، والله أعلم بحقيقة الأمر.

المقصود: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بحوض النبي ﷺ، وقد أنكر الحوض بعض طوائف المبتدعة^(٢)، ولا حجة لهم في هذا الإنكار إلا الاستبعاد الذي لا سند له إلا قولهم: كيف يكون الحوض بهذه المساحة؟ وكيف يكون في عرصات القيامة؟ فنقول: الله تعالى على كل شيء قدير.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في الحوض: «يشخب فيه ميزابان من الجنة»^(٣). وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أندرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي ﷺ عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنته عدد النجوم»^(٤).

أي: أن شراب هذا الحوض يُمد من نهر الكوثر الذي امتن الله به على نبينا محمد ﷺ في الجنة.

ومما يجب الإيمان به، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الصراط، وهو: جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة والنار يعبر منه الناس بحسب سَيْرهم وثباتهم على الصراط الذي نصبه الله للعباد في هذه الحياة الدنيا؛ ففي الدنيا صراط، وهو: دين الله الذي بعث به رسله،

(١) «التذكرة» ٧٠٢/٢، و«زاد المعاد» ٦٨٢/٣، و«شرح الطحاوية» ٢٨٢/١.

(٢) في «الإبانة» للأشعري ص ٨٦: وأنكرت المعتزلة الحوض، وفي «الفتح» ٤٦٧/١١: أنكره الخوارج، وبعض المعتزلة.

(٣) رواه مسلم (٢٣٠٠) عن أبي ذر رضي الله عنه، و(٢٣٠١) عن ثوبان رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٤٠٠).

ودينه هو: الصراط المستقيم، وهو في حق هذه الأمة شريعة محمد ﷺ، فمن كان على دين الله وصراطه المستقيم أثبت، وفي سيره أسرع كان على ذلك كذلك ﴿جَزَاءً وَفَأَقَا﴾ [التَّبَأْ]، ف«الجزاء من جنس العمل»، ولهذا الناس يمرون عليه منهم: من يمر كالبرق سرعة، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم كالفرس الجواد، ومنهم كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من لا يسير، وعلى الصراط كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، وفي الحديث: «فناج مُسَلَّم، ومكدوس في النار»^(١).

ويمر الناس على هذا الصراط، فمن عبر تجاوز الخطر - اللهم نجنا من عذابك يوم لقاءك - ولهذا بين الشيخ أن من عبر الصراط دخل الجنة من أول وهلة دون أن يمسه عذاب، فأما الذين يعذبون فإنهم لا يعبرون، بل يسقطون في النار، وينالهم العذاب. والله أعلم.

والذي يشعر به سياق النصوص التي وردت في الصراط أن هذا العبور إنما يكون لأهل الإيمان، وللمنتسبين لأهل الإيمان، أما الأمم الكافرة كاليهود، والنصارى، وعباد الأوثان فهؤلاء ليسوا ممن يمر على الصراط - والعياذ بالله - كما جاء في الحديث: أن الناس يحشرون يوم القيامة فيقال: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبعون ما كانوا يعبدون فيلقون في النار دون أن يعبروا على الصراط^(٢).

(١) روى البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل: يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف، كلاليب، وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون، كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم...». لفظ مسلم.

(٢) في حديث أبي سعيد السابق - والسياق لمسلم - «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام =

المقصود: أنه يجب الإيمان بالصراط، وبما جاء من عبور الناس،
وتفاوتهم في المرور.

= والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وُعَبِّرَ أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيز ابن الله. فيقال: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين ﷺ في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: .. فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً - مرتين، أو ثلاثاً - حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق؛ فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم...» الحديث.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز...» رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) واللفظ له. وانظر: «فتح الباري» ٤٤٨/١١.

وإنه لمثال لحال الناس وسيرهم على صراط هذه الحياة فمنهم: من هو مستقيم، ويسير سيراً حثيثاً مواصلاً ليله ونهاره إلى الله ما يَضِيع من وقته شيء، وآخر دونه، فتأمل واقعك.

والسير في هذه الحياة يكون بسير القلوب، وبسير الأبدان تبعاً فيما يتطلب ذلك، وبعد المرور على الصراط - والحديث الآن عن المؤمنين الذين عبروا، وتجاوزوا الخطر - يوقف الناس على قنطرة بين الجنة والنار قبل الدخول^(١)، الإخوة المؤمنون الأحبابُ يقتصن لبعضهم من بعض الحقوق التي تكون بينهم فيذهب الغل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾ [الحجر: ٤٧] حتى لا يكون لأحد على أحد شيء، وهذا غير المقاصدة التي جاءت في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»^(٢).

قال الشيخ: «فإذا هذبوا ونقوا» وكمل طيبهم أذن لهم بدخول الجنة، فيدخلونها طيبين قد طابوا في الدنيا، وكمل طيبهم وتأهلوا لدخول دار الطيبين: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِيبَتْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَبَوًّا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر]، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالصراط على ما جاء في الأخبار، ويسلمون، فمنهجهم ومذهبهم قائم على التسليم لله ورسوله ﷺ، لا يعارضون شيئاً بأرائهم، وأهوائهم،

(١) رواه البخاري (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨١).

ومعقول فلان ورأيه، وأما أهل الأهواء فإنهم يحكمون عقولهم في أخبار
الرسول ﷺ هذا معقول، وهذا غير معقول، وهذا كذا، وهذا كذا.



إثبات شفاعات النبي ﷺ

وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ، وأول من يدخل الجنة من الأمم: أمته.

وله في القيامة ثلاث شفاعات: أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم، بعد أن يتراجع الأنبياء - آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم - الشفاعة حتى تنتهي إليه. وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع [٢/٣١] فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين، والصديقين، وغيرهم، يشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها. ويُخرج الله تعالى من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضل رحمته، ويبقى في الجنة فضل عمّن دخلها من أهل الدنيا، فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة.

الشرح

ذكر الشيخ جملة من الأمور التي تكون يوم القيامة، والإيمان بها يدخل في الإيمان باليوم الآخر منها:

أن أول من يستفتح باب الجنة نبينا محمد ﷺ يستفتح فيفتح له، فيدخل فيكون أول من يدخل الجنة مطلقاً^(١)، وأول من يدخل الجنة من

(١) رواه مسلم (١٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

الأمم أمته^(١)، فهو أفضل النبيين والمرسلين^(٢)، وأمته خير الأمم^(٣)، كل هذا مما صحت به الأحاديث عن النبي ﷺ، وهذه أيضاً من خصائصه ﷺ، وفضائله التي يظهر الله بها فضله على رؤوس الأشهاد ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح]، ويدخل بعده وأمته من شاء ﷺ.

ثم يقول الشيخ: إن للرسول ﷺ ثلاث شفاعات:

الشفاعة الأولى: وهي الشفاعة في أهل الموقف، أن يقضى بينهم، وتسمى: الشفاعة الكبرى، وهي: المقام المحمود الذي امتن الله به عليه في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»^(٤).

وهذه الشفاعة خاصة به، وهي الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء أولو العزم، كما ثبت عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل المتواتر، حين يأتي الناس لآدم، ويطلبون منه أن يشفع لهم عند الله، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى ﷺ إلى أن ينتهي الناس إلى النبي ﷺ، فيقول: «أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامداً أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع...»^(٥).

(١) رواه مسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» عند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٤) رواه البخاري (٦١٤) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٥) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس ﷺ، وانظر: «قطف الأزهار المتناثرة» ص ٣٠٣ رقم (١١٢).

هذه الشفاعة الكبرى التي يتراجع عنها الأنبياء، ويتقدم لها نبينا محمد ﷺ لعظيم منزلته عند ربه .

والشفاعة الثانية: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، ويجري نحو ما جرى من تدافع وتراجع الأنبياء عن الشفاعة في ذلك، فيشفع - أيضاً - لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة^(١)، وفي كل ذلك إظهار لشرفه ﷺ، وإعلاء لقدره، وإظهار لكرمه على ربه .

وهاتان الشفاعتان - شفاعته في أهل الموقف أن يقضى بينهم، وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة - خاصتان به لا يشركه فيهما أحد من الأنبياء، ولا غيرهم .

والثالثة: الشفاعة في أهل الكبائر فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، وهذه الشفاعة له، ولغيره من الأنبياء، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين، والملائكة .

وهذه الشفاعة هي التي ينكرها أهل البدع كالخوارج، والمعتزلة؛ لأن ذلك يناقض أصلهم، وتقدم^(٢) أن من أصولهم أن أهل الكبائر لا بد لهم من دخول النار، والخلود فيها فتمتنع الشفاعة كما تمتنع في المشركين: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفَاعِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ [المدثر]. فجعلوا مرتكب الكبيرة كذلك لا تنفعه شفاعة الشافعين .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله، ويثبتون هذه الشفاعة للنبي ﷺ وغيرها، لكن هذه أهمهما وأبرزها، ولهذا اقتصر الشيخ عليها فائتان خاصتان به، والثالثة مشتركة، ولكن له منها الحظ الأوفر، فإنه ثبت أنه ﷺ يشفع أربع مرات، يقول: «فأشفع فيحد لي حداً، فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأشفع فيحد لي حداً، فأخرجهم من

(١) رواه مسلم (١٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٢) ص ١٥٢ .

النار، وأدخلهم الجنة إلى أربع مرات»^(١).
ويُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَاماً بغيرِ شفاعَةٍ^(٢)؛ بل بمحضِ فضلِهِ
ورحمته ﷺ، والكل من فضلِهِ، والكل من رحمته حتى مَنْ يخرجُ بشفاعةِ
الشافعين، هل خرجوا إلا برحمةِ اللهِ، وبفضله؟

مَنْ الذي أذن للشافع أن يشفع؟ ومن الذي قبل منه الشفاعَةُ؟
فهو ﷺ تارة يسدي فضلَهُ بسببِ يهيؤُهُ، ويجريهِ على يدِ بعضِ
العباد، وتارة يمنحُ ويؤتي فضلَهُ دونِ توسطِ سببٍ، والسببُ إذاً توسطُ
فهو - أيضاً - عائدٌ إلى إرادتهِ تعالى ورحمتهِ وفضلِهِ، فالأمرُ له أولاً
وآخرًا، يكرمُ الشافعَ فيأذنُ له بالشفاعةِ، ويرحمُ المشفوعَ له فينجيه من
العذابِ بشفاعةِ مَنْ أذنُ له بالشفاعةِ والقبولِ.

قال الشيخ: «ويبقى في الجنة فضل عمّن دخلها من أهل الدنيا
فينشئ اللهُ لها أقواماً فيدخلهم الجنة».

ثبت هذا في الحديث عن النبي ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها،
وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى
بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى
ينشئ اللهُ لها خلقاً، فيسكنهم فضل الجنة»^(٣).



(١) تقدم تخريجه في ص ١٨٧ حاشية (٥).

(٢) روى البخاري (٧٤٣٩) - واللفظ له -، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «... يشفع النبيون، والملائكة، والمؤمنون،
فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا
فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافيته كما تنبت
الحبّة في حميل السيل...» الحديث.

(٣) تقدم تخريجه في ص ١٣٢.

كلمة مجملة عن اليوم الآخر

وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب، والعقاب، والثواب، والجنة، والنار، وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المُنزَّلة من السماء، [والأثارة]^(١) من العلم المأثورة عن الأنبياء، وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذلك ما يشفي، ويكفي، فمن ابتغاه وجده.

الشرح

هنا أجمَلَ الشيخ الكلام عن اليوم الآخر بعد ما ذكر أشياء مما يكون يوم القيامة، مما يجب الإيمان به، ثم ختم بهذه الجملة. أي أنواع، وتفاصيل ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والعقاب، والثواب والجنة والنار، وتفاصيل ذلك موجود في الكتب المنزلة من السماء: كالتوراة، والإنجيل، والقرآن، وغيرها من كتب الله المنزلة، كلها تضمنت من هذا ما تضمنته، وكذلك في المأثور عن الأنبياء آثار كثيرة تتضمن أخباراً عن اليوم الآخر، لكن لا يُثبت من ذلك إلا ما وصلنا بخبر المعصوم ﷺ.

أما الآثار المروية عن الأنبياء التي لم تثبت بطريق يجب اعتماده، فالأمر فيها معلق على الدليل، كأخبار بني إسرائيل؛ إما أن يقوم الدليل على كذبه فيرد، أو على صدقه فيجب الإيمان به، أو يبقى لا يصدق ولا يكذب، ولا شك أن الأنبياء أخبروا عن اليوم الآخر،

(١) في (ب): والآثار.

لكن إذا جاءت عنهم جزئيات تفصيلية، فلا بد من ثبوت ذلك. وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ، وهو ما جاء في الكتاب والسنة، من ذلك ما يشفي ويكفي، لا نحتاج أبداً إلى أن نرجع إلى التوراة، والإنجيل، أو أخبار بني إسرائيل ففي الكتاب والسنة الغنى، اقرأ القرآن ماذا تجد فيه من الحديث عن اليوم الآخر؟ تجد الكثير، بل إنه لم يأت من تفاصيل اليوم الآخر في الكتب المنزلة مثل ما جاء في القرآن، وكذلك سنة النبي ﷺ فيها من الأخبار، والآثار المتعلقة باليوم الآخر شيء كثير.

وهذا العلم موجود، وميسر، لمن ابتغاه وطلبه، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿١٧﴾ [القمر].



مذهب الفرقة الناجية في الشرع والقدر وأفعال العباد

وتؤمن الفرقة الناجية^(١) - أهل السنة والجماعة - بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين: فالدرجة الأولى: الإيمان بأنّ الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات، والمعاصي، والأرزاق، والآجال، ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق، فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة^(٢)، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه^(٣)، جفت الأقلام وطويت الصحف^(٤) كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ

(١) في (ب) وزيادة: من.

(٢) رواه أحمد ٣١٧/٥، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥) - وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه -، وابن جرير في «تاريخه» ٢٨/١ - وصححه -، والضياء في «المختارة» في مواضع، منها: ٣٥١/٨ - ٣٥٣ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد ١٨٢/٥، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وابن حبان (٧٢٧) من حديث ابن الديلمى عن أبي بن كعب، وابن مسعود، وحذيفة موقوفاً، ورفع زيد بن ثابت رضي الله عنه، وقال الذهبي في «المهذب في اختصار السنن الكبير» ٤٢١٣/٨: إسناده صالح، وصححه ابن القيم في «شفاء العليل» ص ١١٣. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٤٣٩).

(٤) رواه أحمد ٢٩٣/١، والترمذي (٢٥١٦) - وقال: حسن صحيح -، والضياء في =

وَالْأَرْضُ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ [الحج]، وقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد]، وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، فإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع [١/٣٢] كلمات فيقال: «اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد»^(١). ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكروه اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله تعالى النافذة، وقدرته الشاملة، وهو [الإيمان]^(٢) بأن ما شاء الله كان، وما [لم يشأ]^(٣) لم يكن، وأنه ما في السموات، والأرض من حركة، ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه ﷻ على كل شيء قدير، من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض، ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه، وقد أمر العباد بطاعته، وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين، والمحسنين، والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد. والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم. والعبد هو المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم.

وللعباد قدرة على أعمالهم، وإرادة، والله خالقهم، وخالق قدرتهم،

= «المختارة» ١٠/٢٢ - ٢٥، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص ٣٤٥.

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) زيادة من: (ب) و(م).

(٣) في (ظ): شاء.

وإرادتهم، كما قال: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير].

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة^(١)، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا العبد قدرته، واختياره، ويخرجون عن أفعاله، وأحكامه حكمها، ومصالحها.

الشرح

قال الشيخ: «وتؤمن الفرقة الناجية بالقدر خيره وشره» وكان الأنسب لو قال: فصل؛ لأنه انتقل إلى موضوع جديد، ويلاحظ أن الشيخ ميز هذا المقام بتعبير؛ لأن مسألة القدر هي من المسائل الكبار التي تباينت فيها مذاهب الأمة.

وتؤمن الفرقة الناجية المنصورة - أهل السنة والجماعة - بالقدر

(١) رواه أحمد ٨٦/٢ و١٢٥، وأبو داود (٤٦٩١ و٤٦٩٢)، والحاكم ١٥٩/١ - وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه -، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ٧٠٧/٤، وقال المنذري في «تهذيب السنن» ٥٨/٧: هذا منقطع، سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر، وقد روي هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس فيها شيء يثبت. وقال ابن القيم في «تهذيب السنن» ٦٠/٧ - ٦١: هذا المعنى قد روي عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر، وحذيفة، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ورافع بن خديج؛ فأما حديث ابن عمر، وحذيفة فلهما طرق؛ وقد ضعفت. وقال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» ٣٥٨/٢: كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها، وقال في ٧٩٧/٢ - بعد ذكر هذا الحديث -: وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة. وانظر: «الموضوعات» لابن الجوزي ٤٥١/١، و«أجوبة الحافظ ابن حجر عن أحاديث المصايح» ١٧٧٩/٣، وتعليق المعلمي على «الفوائد المجموعة» ص ٥٠٣.

خيرته وشره، ولاحظ أن هذا هو الأصل السادس، وأن الشيخ أشار إلى بعض ما يتعلق بالإيمان بالله، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، ثم انتهى إلى الكلام عن الأصل السادس وهو الإيمان بالقدر، فالفرقة الناجية المنصورة تؤمن بالقدر خيرته وشره، كما في قوله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيرته وشره»^(١).

تؤمن بالقدر يعني: بتقدير الله للأشياء قبل كونها، والأشياء المقدرة فيها خير وشر، فالقدر يطلق ويراد به:

التقدير السابق: تقدير الله للأشياء في علمه وكتابه.

ويطلق القدر على: الشيء المقدر، تقول عن الحادث: هذا قدر - يعني -: أمر مقدر، فكل الأشياء قدر: قيامك، وقعودك، ومشيك، وأكلك، وشربك، والصحة، والمرض كلها قدر، ولهذا لما سئل النبي ﷺ عن الأدوية والرقى فقالوا: هل ترد من قدر الله؟ قال: «هي من قدر الله»^(٢). ولما رأى عمر ﷺ الرجوع بالناس عن الشام لما بلغهم أنه قد نزل بها الطاعون بعدما استشار الصحابة، فقال أبو عبيدة بن الجراح ﷺ: يا أمير المؤمنين أفراراً من قدر الله؟ قال: نعم! نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله، فجاء عبد الرحمن بن عوف ﷺ - وكان متغيّباً في بعض حاجته - فقال: إن عندي في هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدّموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»^(٣).

(١) تقدم تخريجه في ص ٢٩.

(٢) رواه أحمد ٤٢١/٣، والترمذي - وحسنه - (٢٠٦٥)، وابن ماجه (٣٤٣٧)، والحاكم ١٩٩/٤ - وصححه - عن أبي خزيمة عن أبيه ﷺ. وأخرجه ابن حبان (٦١٠٠) عن كعب بن مالك ﷺ. وأخرجه الطبراني (٣٠٩٠) والحاكم ١٩٩/٤ من حديث حكيم بن حزام ﷺ.

وانظر: «العلل» لابن أبي حاتم ٣٣٨/٢، و«العلل» للدارقطني ٢٥١/٢.

(٣) رواه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩) من حديث ابن عباس ﷺ.

قال الشيخ: «الإيمان بالقدر على درجتين، وكل درجة تتضمن شيئين...».

الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله علم ما يكون قبل أن يكون بعلمه القديم الأزلي، وعلم ما العباد فاعلون من الطاعات والمعاصي، كل ذلك معلوم للرب بعلمه القديم، هذه المرتبة الأولى من الإيمان بالقدر، فلا بد في الإيمان بالقدر من الإيمان بعلم الله السابق، هذا شيء.

الشيء الثاني: الإيمان بأن الله كتب مقادير الأشياء عنده في كتاب، وهو: اللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب، وهو الكتاب المبين، أو الإمام المبين، وهو الذكر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٥) [الأنبياء]، كتب ذلك بقلم المقادير كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».

وفي الحديث الآخر عنه ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء»^(١).

فكل ما هو كائن إلى يوم القيامة قد كُتِبَ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ (٥٢) [القمر].

ومن أدلة المرتبتين: العلم والكتابة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧) [الحج].

فجمع سبحانه بين علمه تعالى بكل شيء، واشتمال كتابه على كل شيء، فكل ما في السماء والأرض، وكل ما جرى ويجري في هذا الوجود مكتوب في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا

(١) تقدم تخريجه في ص ١٠٧.

حَبَّتْ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام].

فعلى سبيل المثال: كل ما يجري للإنسان من أحوال: صحة ومرض، وهم وحزن، أو سعة رزق أو ضيقه، أو سعادة أو شقاوة، كل ذلك مكتوب.

هذا التقدير العام الأول.

وهناك تقديرات أخرى:

تقدير ثان: يتعلق بآدم وذريته، قبل أن يخلق الله آدم بأربعين عاماً كما في الحديث الصحيح في محاجة آدم وموسى، قال آدم لموسى ﷺ: «... هل وجدت في التوراة: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؟ قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملتُ عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى»^(١).

وتقدير ثالث: وهو تقدير يتعلق بكل إنسان، فكل إنسان له تقدير خاص، كما في الحديث المتفق على صحته عن النبي ﷺ أنه قال - في الجنين عندما يبلغ أربعة أشهر -: «فيأتيه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله، وعمله وشقي أو سعيد»^(٢).

وتقدير رابع، وهو التقدير الحولي: وهو ما يكون في ليلة القدر:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان].

وسميت ليلة القدر؛ لأن الله يقدر فيها ما يكون في السنة من ليلة القدر إلى مثلها - أي: - من السنة إلى السنة، وهذه التقديرات لا تناقض التقدير، والكتاب الأول، والله تعالى حكيم عليم.

(١) رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢) - واللفظ له - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر: تعليقا لشيخ الإسلام على هذا الحديث في «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ٢٥٨/١١.

(٢) تقدم تخريجه في ص ١٩٣.

الدرجة الثانية من الإيمان بالقدر: الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن هذا الوجود لا يكون فيه من حركة، ولا سكون، ولا تقديم، ولا تأخير، ولا وجود صغير، ولا كبير إلا بمشيئة الله سبحانه، وهذه المرتبة مضمونها الإيمان بعموم مشيئة الله؛ لأن مشيئة الله عامة، لا يخرج عنها شيء، لا أفعال العباد، ولا الحيوان ولا غيرها. وهذه المرتبة الثالثة من مراتب القدر.

والمرتبة الرابعة: - وهي: الشيء الثاني من الدرجة الثانية - : الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، فهو خالق السموات والأرض ومن فيهن، وما بينهما من الذوات والصفات والأفعال، خالق العرش، وما دون العرش: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

الخلاصة: أن الإيمان بالقدر لا يتم إلا بهذه الأمور الأربعة، وتسمى مراتب الإيمان بالقدر، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر على هذا الوجه بمراتبه الأربعة.

وأما المنكرون للقدر فهم طائفتان:

غلاة أنكروا العلم والكتاب، ويقولون: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وجودها، ومعنى هذا: أنه لم يُقَدَّر الأشياء، ولم يكتب ما سيكون، كما ينكرون عموم المشيئة، وعموم الخلق، ويُخْرِجون أفعال العباد عن مشيئة الله وخلقها.

وهذا مذهب قدماء القدرية وغلاتهم.

أما المتوسطون منهم: فينكرون المرتبة الثالثة، والرابعة، وهي: عموم المشيئة، والخلق، ومنهم: المعتزلة، فينكرون عموم المشيئة، وعموم الخلق، فيُخْرِجون أفعال العباد عن مشيئة الله، فعندهم أن أفعال العباد ليست بمشيئة الله، والعبد يتصرف بغير مشيئة الله، والله لا يقدر أن يغير من حال الإنسان شيئاً، فيتضمن ذلك تعجيز الرب - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً - .

ويُخْرِجون أفعال العباد عن ملكه، فمضمون قولهم: أنه تعالى ليس له الملك كله!

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأنه الله تعالى له الملك كله، وله الأمر كله ﷺ.

ومع الإيمان بالقدر بما يشتمل عليه من الأمور الأربعة التي نقول: إنها مراتب الإيمان بالقدر؛ فإنه يجب الإيمان بالشرع، وقد اختلف الناس في هذا المقام^(١)؛ فمنهم:

من آمن بالشرع، وأنكر القدر، وهم: القدرية؛ كالمعتزلة، وغيرهم.

ومنهم: من آمن بالقدر، وكفر بالشرع، أو أعرض عن الشرع، ولم ينظر إليه؛ كالجبرية الذين يقولون: الإنسان مجبور على أفعاله، وشرهم الذين يعارضون الشرع بالقدر، ومنهم المشركون الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] فعارضوا دعوة الرسل محتجين بالقدر.

وطائفة قالوا: إن الشرع، والقدر فيهما تناقض، فطعنوا في حكمة الرب سبحانه، وتعارض بين الشرع، والقدر، وإن أثبتتهما وتسمى: الإبليسية؛ فزعيمهم في هذا إبليس، فهو الذي اعترض على الرب، وطعن في حكمته، مع إقراره بالشرع والقدر، فكان هو إمام هذه الطائفة المخذولة.

وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بالقدر بما يشتمل عليه من الأمور الأربعة، ويؤمنون بالشرع، وأن الله أمر عباده بالإيمان والطاعات، ونهاهم عن الكفر والفسوق والعصيان، وأنه تعالى يحب المتقين، والمقسطين، والتوابين، والمتطهرين، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والمفسدين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين.

(١) «الرسالة التدمرية» ص ٤٨٨.

والإيمان بالشرع يتضمن الفرق بين ما يحبه الله ﷻ ويبغضه، ويتضمن إثبات الأسباب، وكونها مؤثرة بإذن الله، ويدخل في ذلك الإيمان بأن العباد فاعلون حقيقة، وأن لهم مشيئة واختياراً، خلافاً للجبرية، وأن الله خالق قدرتهم وأفعالهم، كما تقدمت الإشارة إلى هذا عند ذكر وسطية أهل السنة والجماعة بين الجبرية والقدرية^(١).

ولا يستقيم أمر العباد، وإيمانهم؛ بل لا تستقيم الحياة إلا بهذا وهذا، فمن أنكر واحداً منهما، أو غفل عنه ضل عن الصراط المستقيم، وانحرف في سلوكه وتصرفاته، وفسد من أمور المجتمع بحسب ما وقع من الخلل في ذلك، فلا بد من النظر إلى الأمرين جميعاً، ووضع كل من الأمرين في موضعه، فعند المصائب عليك أن تنظر إلى القدر، وتؤمن بقدر الله، ولا تتسخط من قضائه وقدره.

وعند المعائب والمعاصي عليك أن تنظر إلى الشرع؛ فتلوم نفسك، وتستغفر وتتوب إلى ربك، وتراجع نفسك وتندم.

ومن نظر إلى القدر عند المعاصي هانت عليه، وأصبح لا يبالي بمعصية الله فيقدم عليها، ويستخف بها.

وقول الشيخ: «وقد أمر العباد بطاعته، وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين» إلخ.

هذا تفصيل لقوله: «والعباد فاعلون حقيقة» فما داموا هم الفاعلون حقيقة، إذأ؛ فالعبد هو: المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمطيع، والعاصي... إلخ.

وقول الشيخ: «ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره».

منهم الجبرية؛ فالجبرية يغلون في إثبات القدر، فهم يقرون بعموم

مشيئة الله، وبعموم قدرته وخلقه، ولكنهم غلوا حتى سلبوا العبد قدرته واختياره.

وقول الشيخ: «ويخرجون عن أفعاله، وأحكامه حِكْمَها ومصالحها». وهو ما يتضمنه مذهب القدرية الجبرية من نفي الحكمة، فعندهم أن كل ما هو ممكن يجوز على الرب ﷻ، وهو تعالى يتصرف بزعمهم بمحض المشيئة لا لحكمة، فهو يجعل هذا طائعاً، وهذا عاصياً، أو يعذب هذا، وينعم هذا، أو يأمر بكذا، وينهى عن كذا؛ كل ذلك بمحض المشيئة، فلا فرق عندهم بين أمره بالتوحيد، ونهيه عن الشرك، ولذا يجوز عندهم العكس، وهو: أن يأمر بالشرك، وينهى عن التوحيد! وأن تنعيمه للمؤمنين والصالحين في الجنة، وتعذيبه للكافرين؛ كل هذا بمحض المشيئة ليس في شيء من ذلك حكمة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - .



مذهب أهل السنة في الإيمان، ومرتكب الكبيرة

ومن أصول [الفرقة الناجية]^(١): أن الدين، والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية [٢/٣٢]. وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي، والكبائر، كما تفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحَدُهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ مَا صَالِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَاطًا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [١٠، ٩، الحُجرات: ٩، ١٠]، ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة؛ بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»^(٢)، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبه ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو

(١) في (م): أهل السنة والجماعة.

(٢) زيادة من (م).

مؤمن»^(١). ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته؛ فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.

الشرح

عقد الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الفصل؛ لبيان مذهب أهل السنة في ثلاث مسائل سبقت الإشارة إلى بعضها، عند الكلام على وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة^(٢).

المسألة الأولى:

ما يتناوله اسم الإيمان - أي - مسمى الإيمان ما هو؟
يقول الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين، والإيمان قول وعمل».

قول وعمل خلافاً للمرجئة الذين يقولون: إن الإيمان تصديق القلب فقط، وأما الأعمال فليست من الإيمان، أو كقول الجهمية: هو المعرفة، والمعنى متقارب.

وخلافاً للكرامية الذين يقولون: الإيمان هو التصديق باللسان، فمن صدَّق بلسانه؛ فهو مؤمن يعني: في الدنيا، وإن كان مخلداً في النار يوم القيامة.

لكنه في الحقيقة ليس بمؤمن، من صدَّق بلسانه، وأظهر الإيمان بلسانه فقط؛ فليس بمؤمن في الحقيقة، بل هو منافق هذا هو اسمه الشرعي قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة].

وخلافاً لمرجئة الفقهاء كالإمام أبي حنيفة، ومن تبعه الذين يقولون: الإيمان تصديق القلب، وإقرار اللسان.

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥)، مسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ص ١٥١ وما بعدها.

وأئمة أهل السنة ينكرون كل هذه الأقوال، ويقولون: إن الإيمان قول وعمل؛ للأدلة الكثيرة التي دلت على هذا، فالرسول ﷺ فسر الإيمان في حديث جبريل: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه...» الحديث^(١). بأصوله الستة، وهي اعتقادية.

وفسر النبي ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بأمر عملية قال لهم: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»^(٢).

ففسره بأمر عملية بنحو تفسيره للإسلام، وأبلغ من هذا قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٣).

يقول الشيخ: «من أصول السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل» ثم يفصل ذلك بقوله: «قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح».

يعني: أن الإيمان يشمل هذه الأمور الخمسة:

قول القلب: اعتقاد القلب، وهو: تصديقه.

وقول اللسان: هو الإقرار، كما يقر الكافر عند إسلامه، بقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وعمل القلب: كمحبة الله تعالى، ورسوله ﷺ، وأوليائه، ومحبة ما يحب، والخوف من الله، ورجائه، والتوكل عليه.

وعمل اللسان: كالذكر بأنواعه، وتلاوة القرآن، والأمر بالمعروف،

والنهي عن المنكر.

(١) تقدم تخريجه في ص ٢٩.

(٢) رواه البخاري (٥٣) - واللفظ له -، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) - واللفظ له - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعمل الجوارح: كالصلاة، وما فيها من عمل الجوارح؛ كالقيام، والركوع والسجود، والحج، وما فيه من عمل الجوارح؛ كالطواف، والسعي، وسائر المناسك؛ فالإيمان يشمل ذلك كله.

فالإيمان بضع وستون شعبة؛ فالصلاة من الإيمان، والزكاة من الإيمان، والصيام من الإيمان، والحج من الإيمان.

قوله: «قول القلب واللسان».

هذا تفصيل لقول أهل السنة: قول القلب واللسان - يعني -: اعتقاد القلب، وإقرار اللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

وهذا أتم من قول من يقول: إن الإيمان اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. صحيح أن هذا يرد مذهب المرجئة، لكن ما ذكره الشيخ من هذه الأمور الخمسة أتم؛ لأنه يستوعب كل جوانب الإيمان.

وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه: أن الإيمان قول، وعمل، خلافاً لكل من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان؛ فالأعمال من الإيمان، وأدلة ذلك ظاهرة بينة لمن تدبر نصوص الكتاب والسنة.

المسألة الثانية:

أن الإيمان يزيد وينقص، وكثير من المرجئة يقول: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه التصديق، وهو شيء واحد لا يزيد ولا ينقص.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد وينقص، وما دخلته الزيادة دخله النقص إذا خلا عن الزيادة قال تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفصح: ٤]، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران].

فالإيمان يزيد بالطاعة، فكل من كان لله أطوع كان إيمانه أكمل، والتصديق بالقلب يقوى ويضعف.

وينقص الإيمان بالمعصية، وهذا هو المعقول، أفيكون إيمان التقي المستقيم على أمر الله ظاهراً وباطناً كإيمان المنتهك لحرمان الله؟! أفيكون إيمان آحاد المؤمنين كإيمان الكُمَّل من المؤمنين كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فضلاً عن فوقهم؟!!

وكل من أوتي علماً وبصيرة، وتفقداً لحاله؛ فإنه يحس بزيادة الإيمان ونقصه: بقوة الخوف من الله، وقوة التوكل، فالخوف يقوى ويضعف، والتوكل يقوى ويضعف، والرجاء يقوى ويضعف.

هذا في أحوال القلوب فضلاً عن الأعمال الظاهرة.

وكما تقول المرجئة: إن الإيمان واحد، وأهله فيه سواء، كذلك الخوارج والمعتزلة عندهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص - بمعنى - أنه كلٌّ لا يتجزأ، فإذا فات منه جزء، أو فقد منه جزء زال الكل، كمرتكب الكبيرة يزول إيمانه كله بزوال بعضه بفعل تلك الكبيرة.

وعند أهل السنة: لا يزول كل الإيمان بزوال بعضه.

والإيمان شعب كما في الحديث^(١)، لكن منها شعب قد يزول الإيمان بزوالها، وشعب لا يزول الإيمان بزوالها، وإلا لوقع الناس في حرج عظيم.

المسألة الثالثة: حكم مرتكب الكبيرة:

أهل السنة والجماعة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي، وأهل القبلة هم: كل من أظهر الإسلام ولم يأت ناقضاً من نواقضه، كما في الحديث عن النبي ﷺ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم...»^(٢) فكل الطوائف التي لا يحكم بكفرها، فهي من أهل القبلة، والمنافقون من أهل القبلة في الظاهر، وإلا فهم ليسوا

(١) تقدم تخريجه في ص ٢٠٤.

(٢) رواه البخاري (٣٩١) من حديث أنس رضي الله عنه.

من المؤمنين، بل هم مع الكافرين قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿١٤٥﴾ [النساء].

فأهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي: أي لا يقولون: يكفر بفعل أي معصية.

فالمعاصي أنواع: معاصٍ توجب الكفر، وتنقض الإسلام؛ كالاستهزاء بآيات الله وبرسول الله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٦٥﴾ [التوبة].

ومثل: سب الإسلام، أو سب الرسول ﷺ هذه ذنوب يخرج بها الإنسان عن الإسلام؛ ولهذا قال الشيخ: «إن أهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي»، خلافاً للخوارج؛ فإن الخوارج يكفرون بالذنوب، والمعروف أنهم يكفرون مرتكب الكبيرة^(١).

فمن ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب خرج عن الإسلام عندهم، وصار مرتداً حلال الدم والمال؛ كالسارق، والزاني، وشارب الخمر.

أما أهل السنة، فإنهم لا يكفرون بهذه الذنوب، بل أخوة الإيمان باقية مع المعصية؛ فالقاتل أخٌ للمقتول، قال الله تعالى في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ﴾ [البقرة: ١٧٨] يعني: القاتل الذي عفي له ﴿مِنْ أَخِي﴾ [البقرة: ١٧٨] يعني: من دم أخيه المقتول، فالقاتل والمقتول أخوان في الإسلام، وإن كان القاتل عاصياً ظالماً، والمقتول مظلوماً.

لكن هذا الذنب لا تزول معه أخوة الإيمان، ومثل هذه آية الحجرات: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] إلى أن قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فأهل السنة لا

(١) «مقالات الإسلاميين» ص ٨٦، و«الملل والنحل» ١/ ٨٥، وقال شيخ الإسلام: الخوارج يكفرون بالذنب الكبير، أو الصغير عند بعضهم. «مجموع الفتاوى» ١٥١/١٩.

يسلبون العاصي، أو الفاسق الملي - الملي: نسبة لملة الإسلام - الإيمان كما تفعل الخوارج والمعتزلة.

والخوارج لا يقتصرون على سلبه الإيمان، بل يسلبونه الإيمان ويكفرونه، أما المعتزلة فإنهم يسلبونه الإيمان، وأهل السنة لا يكفرونه، ولا يسلبونه الإيمان، ولا يخلدونه في النار يوم القيامة، بل هو يوم القيامة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، ثم يخرج من النار برحمته ﷺ، وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته، وكل ذلك من فضله، وكرمه، وإحسانه.

وذكر الشيخ: أن الفاسق يدخل في اسم الإيمان في بعض الآيات، وقد لا يدخل في بعض الآيات، ففي قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] هذه يدخل فيها الفاسق، فليس من شرط الرقبة التي أمر الله بتحريرها كمال الإيمان، بل يجزئ تحرير رقبة إنسان ذكر أو أنثى معه أصل الدين، ولهذا قال الرسول ﷺ للجارية - التي أراد سيدها أن يعتقها -: «أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»^(١).

ولا يدخل الفاسق الملي في الإيمان المطلق في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] فالفاسق الملي لا يدخل في من هذه صفاتهم؛ لأنه ليس مؤمناً حقاً، هو مؤمن في الجملة، كما لا يدخل في اسم الإيمان في قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٢)؛ أي: الإيمان الكامل الذي يمنع من مقارفة هذه الفواحش، فالمؤمنون الكُمَّل يمنعهم إيمانهم عن اقتراف المعاصي الكبيرة كالزنا، أو السرقة، أو الانتهاب.

(١) تقدم تخريجه في ص ١٣٣.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٢٠٣.

المسلم الزاني وهو يزني عنده أصل الإيمان لا يزول عنه؛ لأنه لو زال عنه صار مرتدًا، لكن يزول عنه الإيمان الكامل الذي يمنع من الإقدام على الفاحشة.

ومتى يعود له إيمانه؟ إذا تاب عاد إليه ما كان معه من إيمان.

وذكر الشيخ في ختام هذا الفصل حكم الفاسق - وهو مرتكب الكبيرة العاصي من المسلمين - أن أهل السنة يقولون فيه: «إنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه» أي: هو مؤمن بما معه من إيمان. «فاسق بكبيرته» أي: فاسق باعتبار الكبيرة.

يقول الشيخ: «فلا يعطى الاسم المطلق» فيقال: هو مؤمن، أو هذا مؤمن.

«ولا يسلب مطلق الاسم» فيقال: إنه ليس بمؤمن؛ لأن هذه فيها سلب لمطلق الإسلام، فلا يعطى الاسم المطلق؛ بحيث يوصف بالإيمان الكامل، فيقال: هذا مؤمن.

ولهذا لما قَسَمَ الرسول ﷺ قَسَمًا، فقال له سعد بن أبي وقاص ﷺ: «يا رسول الله أعط فلاناً، فإنه مؤمن، فقال النبي ﷺ: أو مسلم، أقولها ثلاثاً، ويردها علي ثلاثاً، أو مسلم»^(١).

ففرق بين الإيمان والإسلام، فالإسلام يقع على سائر المسلمين، فكل من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ولم يأت بناقض من نواقض الإسلام، فهو مسلم، فاسم الإسلام أعم وأوسع دائرة، ولا يكون الإنسان مسلماً على الحقيقة، إلا ومعه أصل الإيمان: إيمان القلب.

فكل مؤمن مسلم، وكل محسن مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً الإيمان الكامل.

(١) رواه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠).

فهذا تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسائل الثلاث:
في مسمى الإيمان وما يتناوله هذا الاسم، وفي زيادة الإيمان
ونقصانه، وفي حكم مرتكب الكبيرة، أو الفاسق الملي، يعني: بأي
التعبيرين.

وقد أشار إلى مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، ومذهب
الخوارج، ومذهب المعتزلة، فأهل السنة والجماعة يخالفون هذه
الطوائف فيما ابتدعوه من الأسماء والأحكام، فمرتكب الكبيرة حكمه في
الدنيا - مثلاً -: أنه مؤمن ناقص الإيمان ليس بكافر، ولم يخرج عن
الإيمان مطلقاً، وفي الآخرة تحت مشيئة الله.

وهذا هو موجب عدل الرب ﷻ فلا يُسَوِّي بين مَنْ آمَنَ به،
وبرسله مع ارتكاب بعض الذنوب، وبين من كفر به، وبرسله، كما لا
يسوي بين العاصي الفاسق المجترئ على حرَمَاتِ الله، وبين المتقين:
﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨) [ص].



مذهب أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ، وقرابته، وأزواجه

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم، وألستهم لأصحاب محمد ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر]، وطاعة النبي ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(١). ويقبلون ما جاء به الكتاب، أو السنة، أو الإجماع من فضائلهم، ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل [١/٣٣] الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل. ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأنه الله تعالى قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر -: «اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم»^(٢)، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي ﷺ^(٣)، بل قد رضي عنهم، ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة^(٤)، ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ كالعشرة^(٥)، وكثابت بن قيس بن

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) - واللفظ له -، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٤٩٦) من حديث جابر رضي الله عنه عن أم مبشر رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري (٤٨٤٠)، ومسلم (١٨٥٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٥) رواه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧)، وقال: حسن صحيح -، وابن ماجه =

شَّمَّاس^(١)، [وغيرهم من الصحابة]^(٢).

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وغيره، من أن «خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر»^(٣). ويثلاثون بعثمان، ويربعون بعلي، كما دلت عليه الآثار، وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان، وعلي، بعد اتفاقهم على أبي بكر، وعمر [أيهما أفضل، فقدّم قوم]^(٤) عثمان، وسكتوا، أو ربّعوا بعلي، وقدّم قوم علياً، وقوم توقفوا. لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يُضَلَّل المخالف فيها عند^(٥) جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يُضَلَّل المخالف فيها مسألة الخلافة.

وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة؛ فهو أضل من حمار أهله.

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية

= (١٣٣)، وصححه ابن حبان (٦٩٩٣)، والضياء في «المختارة» ٢٨٢/٣ - ٢٩٠، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(١) رواه البخاري (٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) لا توجد في (ب).

(٣) رواه أحمد ١٠٦/١ و١٢٧، والبخاري (٣٦٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» ٥٥٥ - ٥٥٨، والطبراني في «الكبير» ١٠٧/١، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ١٩٩/٧ - ٢٠١، وقال شيخ الإسلام، أيضاً: وقد ثبت عن علي في «صحيح البخاري»، وغيره من نحو ثمانين وجهاً أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر». «مجموع الفتاوى» ٤٧٣/٢٨، ونحوه في ٤٢٢/٤.

(٤) سقط من: (ب).

(٥) في (ب): الجمهور وجمهور.

رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدیر خم^(١): «أذكرکم الله في أهل بيتي، أذكرکم الله في أهل بيتي»^(٢).

وقال - أيضاً - للعباس عمه - وقد شكى إليه أن بعض قریش [٢/٣٣] يجفون بني هاشم - فقال: «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي»^(٣). وقال: «إن الله اصطفى إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»^(٤).

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويقرون^(٥) بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصاً خديجة، أم أكثر أولاده، وأول من آمن به، وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العلية، والصديقة بنت الصديق التي قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٦). ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة، ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

الشَّرح

وهذا فصل ضمَّنه الشيخ رحمه الله منهج أهل السنة والجماعة في أصحاب وقرابة وزوجات الرسول ﷺ، وأمر الصحابة صار قضية عقدية، وقد افترق فيهم الناس كما تقدمت الإشارة إلى هذا في الكلام عن

(١) واد بين مكة والمدينة قرب الجحفة. «معجم البلدان» ٢/٣٨٩.

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٣) رواه بمعناه أحمد ١/٢٠٧، والطبراني في «الكبير» ١١/٤٣٣، والحاكم ٣/٣٣٣ من حديث العباس رضي الله عنه، وأحمد ٤/١٦٥، والترمذي (٣٧٥٨)، - وقال: حسن صحيح -، والبيزار ٦/١٣١، والحاكم ٣/٣٣٣ من حديث عبد المطلب بن ربيعة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(٥) في (ب): ويؤمنون.

(٦) رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وسطية أهل السنة^(١).

وأهل السنة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج، ومنهج أهل السنة والجماعة يتضمن هذه الأمور التي ذكرها الشيخ، فمن أصول أهل السنة في هذا الباب:

سلامة قلوبهم من بغض الصحابة، ومن الغل والحقد عليهم، وكذلك ألسنتهم سليمة فلا يسبون، ولا يتبرؤون من أحد منهم، بل يحبون أصحاب رسول الله ﷺ بقلوبهم، ويثنون عليهم بألسنتهم، ويدعون الله لهم، كما وصف الله التابعين لأصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار فقال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر].

فسألوا ربهم أن يطهر قلوبهم من الغل، وهذا مشروع من المؤمنين لإخوانهم عموماً، لكن أحق الناس بذلك هم الصدر الأول: أصحاب الرسول ﷺ.

وكذلك أهل السنة والجماعة يطيعون الرسول ﷺ أكمل طاعة في قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٢).

قال هذا ﷺ لبعض الصحابة الذين تأخر إسلامهم من بعد الفتح، وهو خالد بن الوليد لما كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف بعض الاختلاف فقال ﷺ لخالد بن الوليد: «لا تسبوا أصحابي»^(٢).

فالصحة مراتب فبعض الصحابة أكمل صحة من بعض، فالسابقون الأولون ليسوا كالذين تأخر إسلامهم، وهذا - أيضاً - ينسحب على من جاء بعد الصحابة فقوله: «لا تسبوا أصحابي» وإن ورد على هذا السبب،

(١) ص ١٥٤.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٢١١.

فإنه يتضمن نهي من يأتي بعدُ عن سب أصحاب الرسول ﷺ.

وقد قال الرسول ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(١). فإذا كان أيّ مسلم سبابه فسوق، فكيف بسب أحد من أصحاب الرسول ﷺ؟ فكيف بسب أفاضل الصحابة وأكابرهم؟

وقد باء بهذا الإثم الطائفة المخذولة الشقية طائفة الرافضة، فهم شر طوائف الأمة وأشدّها بغضاً وسباً وظلماً لأصحاب الرسول ﷺ.

ولهذا قال الشيخ في آخر الكلام: «ويتبرؤون - أهل السنة والجماعة - من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل».

ومن تفصيل مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب الرسول ﷺ: أنهم يفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل، على من أنفق من بعد الفتح وقاتل، وليس المراد بالفتح فتح مكة كما يتبادر لأذهان كثير من الناس. لا، فالفتح هنا هو صلح الحديبية، وهو الذي أنزل الله فيه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح]، وكان صلح الحديبية سبباً لفتح مكة، وبين الفتحين قريب من سنتين.

وهذه المفاضلة نَبَّهَ اللهُ تعالى إليها بقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ أَوْلَيْكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللهُ الْحَسَنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] لكن مع الفارق، فالذين أنفقوا وقاتلوا في أيام الشدة وقلة النصير؛ لا يساويهم ولا يدانيهم من أنفق بعد ما قويت شوكة الإسلام وظهر دين الله، والكل قد وعدهم الله الحسنى، لكن مع التفاوت والتفاضل الذي لا يقدر قدره إلا الله سبحانه.

ومن تفصيل هذا الأصل: أن أهل السنة يقدمون المهاجرين على الأنصار؛ لأن الله قدمهم في الذكر، فكل آية يذكر الله فيها المهاجرين

(١) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والأنصار، فإنه تعالى يقدم المهاجرين: ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

كما أنهم يؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسنة من فضائل الصحابة عموماً وخصوصاً، فيؤمنون ويصدقون بقوله ﷺ: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١).

فيعرفون لأهل بدر هذه الفضيلة العظيمة، كما أنهم يؤمنون بما أخبر به الرسول ﷺ من قوله: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة».

وهم أهل بيعة الرضوان، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، الذين قال الله فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨] من الصدق في الإيمان، ونصرة الرسول ﷺ، والصدق في مبايعة ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] بايعوا الرسول ﷺ في ذلك الموقف على الموت^(٢)، أو بايعوه على ألا يفروا^(٣)؛ ففازوا بهذا الوعد، وفازوا بهذا الثناء، إنها فضيلة لا يدركها أحد بعدهم.

وأهل السنة يؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ومناقبهم، ومما يدخل في هذا: أنهم يشهدون بالجنة لمن شهد له رسول ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة بن الجراح، هؤلاء هم العشرة^(٤). والمبشرون بالجنة كثير، ومنهم: ثابت بن قيس بن شماس

(١) تقدم تخريجه في ص ٢١١.

(٢) رواه البخاري (٢٩٦٠)، ومسلم (١٨٦٠) من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ.

(٣) رواه مسلم (١٨٥٦) و(١٨٥٨) من حديث جابر بن عبد الله، ومعقل بن

يسار ﷺ.

(٤) نظمهم الحافظ ابن حجر بقوله:

لقد بشر الهادي من الصحب ذمراً
سعيد، زبير، سعد، طلحة، عامر
بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
أبو بكر، عثمان، ابن عوف، علي، عمر =

خطيب النبي ﷺ^(١)، ومنهم الحسن والحسين ﷺ^(٢).

وهذه بشارات على وجه التعيين فلان وفلان وفلان، وتقدم أنه ممن يُشهد لهم بالجنة كل من بايع تحت الشجرة - أهل بيعة الرضوان - الذين قال فيهم الرسول ﷺ: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة».

فهذا يقتضي أن أهل السنة والجماعة يقفون مع النصوص، ويؤمنون بكل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق، فكل ما أخبر به فهو حق من عند الله.

ومن المسائل الكبيرة التي تدخل في هذا الأصل: أن أهل السنة يؤمنون، ويقبلون ما تواتر عن علي ﷺ وعن غيره: «أن أفضل هذه الأمة: أبو بكر، ثم عمر»^(١)، ويثلاثون بعثمان، ويربعون بعلي.

فأهل السنة والجماعة قائلون بأن أفضل الصحابة الخلفاء الراشدون، وأن ترتيبهم في الفضل على ترتيبهم في الخلافة، فأفضل هذه الأمة على الإطلاق أبو بكر ثم عمر، وهذا بإجماع المسلمين الأولين والآخرين بإخراج طائفة الروافض.

وذكر الشيخ: إن أهل السنة قد وقع بينهم خلاف في القديم في المفاضلة بين عثمان وعلي. فقوم: قدموا عثمان وسكتوا، أو ربّعوا بعلي. وقوم: قدموا علياً. وقوم: توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تفضيل عثمان على علي، وأن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على ترتيبهم في الخلافة.

وهذا يعني أن الخلاف قد ارتفع، وأجمع أهل السنة أخيراً على تقديم عثمان على علي.

= «فتح المغيث» ٦٤/٤، وتخريج الحديث في ص ٢١١.

(١) تقدم تخريجه في ص ٢١٢.

(٢) رواه أحمد ٣/٣، والترمذي (٣٧٦٨)، وابن حبان (٦٩٥٩)، والحاكم ٣/١٦٧، وصححوه، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

لكن يجب أن يُفَرَّق بين مسألة المفاضلة بين عثمان وعلي، وبين الطعن في خلافة عثمان، فلا يلزم من تفضيل علي على عثمان الطعن في خلافة عثمان؛ فمسألة تفضيل علي على عثمان يقول الشيخ: «ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها».

أما مسألة الخلافة؛ فمن طعن في خلافة واحد من الخلفاء الراشدين فهو ضال أضل من حمار أهله، فمن طعن في خلافة عثمان، وقال: إنه تقديم للمفضول، وإنه كان عن محاباة من بعض الصحابة، وإن عثمان قد هُضم حق علي، فهو ضال مضل.

وقد قال بعض السلف^(١): «من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار»؛ لأن المهاجرين والأنصار قد اتفقوا على تقديم عثمان في الخلافة، وهذا حجة لما عليه جمهور أهل السنة، واستقر عليه أمرهم من تقديم عثمان على علي في الفضل^(٢).

فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ومنهجهم في أصحاب الرسول ﷺ: سلامة قلوبهم وألسنتهم، ومحبتهم، وإنزال كل منزلته، وهذا هو العدل.

وكذلك من منهج أهل السنة والجماعة أنهم يعرفون لقراءة الرسول ﷺ فضلهم، ويحفظون وصية النبي ﷺ في أهل بيته حين قال يوم غدیر خُم: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^(٣) وأهل بيته ﷺ قرابته القريبى الأدنون، وهم بنو هاشم، ثم قريش على مراتبهم لهم حظهم وشرفهم من قرابة النبي ﷺ بقرابتهم للنبي ﷺ، ولكن هذه الفضيلة لا تتحقق إلا مع الإيمان، فإذا لم يتحقق الإيمان فلا تنفع الأنساب؛ فأبو

(١) روي هذا عن: أيوب السختياني، وأحمد بن حنبل، والدارقطني رحمهم الله. «السنة» للخلال ٣٩٢/٢، و«مجموع الفتاوى» ٤٢٦/٤ و٤٣٥.

(٢) انظر: مسألة عثمان وعلي في: «منهاج السنة» ٧٣/٢، و«مجموع الفتاوى» ٤٢٥/٤، و«فتح الباري» ١٦/٧، و«فتح المغيث» ٥٧/٤.

(٣) تقدم تخريجه في ص ٢١٣.

لهب، وأبو طالب لم تنفعهم قرابتهم من النبي ﷺ حين لم يؤمنوا به .
وقال ﷺ - حين شكك إليه العباس أن قريشاً تجفون بني هاشم - :
«والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله - يعني: لإيمانكم -
ولقرايتي»^(١) فمن كان مؤمناً من قرابة النبي ﷺ وصحبته؛ فإنه اجتمع له
فضل الصحبة، وفضل القرابة، كعلي رضي الله عنه له فضل الصحبة فهو من
سادات الصحابة، ومن السابقين الأولين، وفضل القرابة فهو أفضل قرابة
النبي ﷺ.

وكذلك من منهج أهل السنة والجماعة أنهم يوالون ويحبون أزواج
النبي ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون أنهن زوجاته في الآخرة، ويعرفون
لهن فضيلتهن، فلهن فضل الصحبة، وفضل صلتهم بالنبي ﷺ: ﴿النَّبِيُّ
أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وهذه الأمومة
أمومة حرمة، وكرامة، وليست أمومة القرابة التي ينسبها ما ينسبها من
أحكام الميراث وغيره^(٢)، قال تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْنَا مِنْكَ أَهْلٌ مِنَ
النِّسَاءِ إِنَّا نَتَّقِيكَ فَمَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
(٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَأَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وهذه الآية تدل - على
الصحيح - على أن زوجات النبي ﷺ من أهل بيته؛ بل هن أولى من
يدخل في هذا الاسم^(٣).

يقول شيخ الإسلام: وخصوصاً خديجة وعائشة. فخديجة أم أكثر
أولاده؛ لأنها أولى زوجاته، وهي من أسبق السابقين إلى الإسلام،
وعائشة التي قال فيها الرسول ﷺ: «فضل عائشة على النساء، كفضل

(١) تقدم تخريجه في ص ٢١٣.

(٢) «منهاج السنة» ٤/٣٦٩.

(٣) «التمهيد» ١٧/٣٠٢، و«منهاج السنة» ٤/٢٤ و٧/٧٣، و«جلاء الأفهام»
ص ٢٣٦ - ٢٤٧، و«تفسير ابن كثير» ٦/٤١٠.

الشريد على سائر الطعام»^(١).

والشريد هو: الخبز باللحم، وهو من أفضل الطعام. وأهل السنة مختلفون في المفاضلة بينهما، فقوم فضلوا عائشة، وقوم فضلوا خديجة، ومنهم من قال: إن هذه أفضل من وجه، وهذه أفضل من وجه^(٢)، وعندي - والله أعلم - أن القول بتفضيل خديجة: قول قوي؛ لأدلة كثيرة دالة على فضلها^(٣)، وكلهن فضليات - رضي الله عنهن -.



(١) تقدم تخريجه في ص ٢١٣.

(٢) هذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم. «مجموع الفتاوى» ٣٩٣/٤، و«بدائع الفوائد» ١١٠٤/٣، و«جلاء الأفهام» ص ٢٦٣.

(٣) وهذا اختيار الحافظ ابن حجر. «فتح الباري» ١٣٤/٧.

موقف أهل السنة والجماعة

مما شجر بين الصحابة

ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها: ما هو كذب، ومنها: ما قد زيد فيه ونقص، وغيّر عن وجهه، والصحيح منه: هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم، وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: «إنهم خير القرون»^(١)، «وإن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم»^(٢). ثم إذا كان قد صدر عن أحدهم ذنب، فيكون قد تاب منه، [و]^(٣) أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعته محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه؛ فإذا [١/٣٤] كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا، فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٢١١.

(٣) في (ب) و(م): أو.

ثم القَدْر الذي يُنْكَر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم: من الإيمان بالله، ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم، وبصيرة، وما مَنَّ اللهُ به عليهم من الفضائل؛ عِلْم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان، ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله تعالى.

الشَّرْح

تقدم ذكر جمل من المسائل التي يتضمنها منهج أهل السنة والجماعة في أصحاب الرسول ﷺ، ومن منهجهم وطريقتهم القويمة السليمة أنهم يمسون عمّا شجر بين الصحابة، فلا يخوضون فيما وقع بينهم من الخلاف، والنزاع، والحروب، ولا يجعلون ما جرى بين الصحابة حديثاً يتسلون به؛ فضلاً عن أن يتذرعون به إلى الطعن في أصحاب الرسول ﷺ بل يُعرضون عنه، ويغفلون عنه؛ لأن مع ما في الخوض فيه من المفساد؛ فإنه أيضاً يؤلم قلوب المؤمنين؛ فلا يحبون التكلم فيه والتشاغل به؛ بل إذا تذكروا ذلك، أو ذكّر لهم وقفوا، وزجروا من يخوض في ذلك، ويبادرون بالترضي عن أصحاب الرسول ﷺ، والدعاء لهم بالمغفرة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر].

فلا يخوضون فيما شجر بين الصحابة لا كلاماً، ولا كتابة وتأليفاً، فتسطير ما جرى بين الصحابة لا خير فيه، اللهم إلا من يكتب للرد على المبطلين وإزاحة الشبه^(١)، فيكون هذا الكلام، وهذا التأليف ليس

(١) «منهاج السنة» ٦/٢٥٤.

مقصوداً لذاته، فلا يقصد به مجرد الأحاديث التاريخية، والخوض الذي تزجى به الأوقات، ويؤدي إلى تسويد القلوب.

ومن أحسن ما أثير في هذا قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لما قيل له: ما تقول في أهل صفين؟ فقال: «تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني بها»^(١).

وهذا معنى عظيم، وأصل يجب التفطن له والتمسك به؛ بل إن هذا المعنى هو الواجب نحو ما يكون بين المسلمين، فكيف بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الأخيار، خير هذه الأمة.

ثم من هذا الأصل يقولون: إن ما نقل من المساوىء من تلك الحروب، أو غيرها منها: ما هو كذب، فالأخبار التاريخية كثير منها كذب، وقد يكون أصل الخبر واقعاً، لكن التفاصيل منها ما هو كذب، ومنها ما زيد فيه ونقص، وغيّر عن وجهه، هذا قسم.

والصحيح مما أثير من مساوىء الصحابة هم فيه معذرون مأجورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، فهم مأجورون بأجر، أو أجرين، فيجب الكف عن الخوض في مساوئهم، والتماس العذر فيما ثبت، وما لم يثبت لا ينظر فيه، ويرد من أول وهلة.

لكن ما ثبت يُخَرَّج على هذا الوجه: أن ما وقع هو اجتهاد، وهذا لا يقتضي أن الصحابة معصومون؛ بل أهل السنة لا يقولون: إن أحداً من الصحابة معصوم، فالعصمة إنما هي للرسول صلى الله عليه وسلم^(٢).

أما الصحابة فهم بشر تجوز عليهم الذنوب في الجملة، وتعرض لهم العوارض النفسية، وتحصل من أحدهم الزلة، والله تعالى يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

(١) «حلية الأولياء» ١١٤/٩.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٨٩/١٠، و«أصول الفقه» ٣٢٢/١، و«شرح الكوكب المنير» ١٦٩/٢.

﴿٢١﴾ [الأعراف] اتقوا: فالمتقون قد يذنبون، ويقول تعالى في صفة المتقين الذين يُعَدُّ الصحابة في أول، وأعلى درجاتهم من هذه الأمة بعد نبيا ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران].

وإذا علم هذا فما يُقَدَّر أن يقع منهم من ذنوب؛ فإن لهم من أسباب المغفرة ما ليس عند غيرهم، فإنه يغفر لهم إما بالتوبة، وهم أخرى بها، وإما بالحسنات الماحية، أو المصائب المكفرة.

هذه مكفرات الذنوب لهم ولغيرهم، ولكنهم هم أولى بها، ونصيبيهم منها أعظم وأكبر، أو يغفر لهم بشفاعة النبي ﷺ الذين هم أحق بشفاعته.

مع أن ما يُقَدَّر أن يصدر عنهم إن صدر نزر قليل في جانب فضائلهم، وحسناتهم، فإن لهم سوابق، وفضائل لا يلحقهم فيها غيرهم، وقد قال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(١).

كيف وهم الذين قال فيهم الرسول ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم»^(٢). وقرنه هم الصحابة ﷺ.

فالمقصود: أن الواجب هو الكف عن مساوئ الصحابة، والتماس العذر لهم، وتذكر ما لهم من الفضائل والسوابق، وما لديهم من أسباب المغفرة، وما يكون منهم من ذنوب، فإن ذلك مغمور في جانب حسناتهم وفضائلهم^(٣).

(١) تقدم تخريجه في ص ٢١١.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٢٢١.

(٣) ينظر كتيب: «المنهج في التعامل مع روايات ما شجر بين الصحابة» للدكتور محمد أبا الخيل.

وختاماً؛ يقول الشيخ: «من نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة.. علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم».

وهذا يستفاد من قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فإذا كانت هذه الأمة خير الأمم، والصحابة خير هذه الأمة؛ تبين أن الصحابة خير الناس بعد الأنبياء، لا كان في الماضي مثلهم، ولا يكون في آخر الزمان مثلهم.

وأما ما ورد في صفة، وأجر الغرباء، وأن للعامل في أيام الصبر أجر خمسين من الصحابة^(١)، فهو محمول عند أهل العلم على الفضل المقيد: لهم أجر خمسين في صبرهم على البلاء، وتسلب الأعداء، مع قلة المعين، لا أن لهم أجر خمسين من الصحابة في كل عمل؛ فيكونون بهذا أفضل من الصحابة لا؛ بل هم أفضل من الصحابة في خصلة من خصال الدين، وفضيلة من الفضائل، فلا يكونون بهذا أفضل من الصحابة مطلقاً، فالتفضيل المقيد لا يوجب الفضل المطلق^(٢).



(١) رواه أبو داود (٤٣٤١)، الترمذي (٣٠٥٨) - وقال: حسن غريب -، وابن حبان (٣٨٥)، والحاكم ٣٢٢/٤، - وصحاه - من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، وحسنه ابن القيم في «الكافية الشافية» ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٤٩٤)، و«الضعيفة» (١٠٢٥).

(٢) «الكافية الشافية» ص ٣٤٥ - ٣٤٧، و«فتح الباري» ٦/٧ - ٧، و«نيل الأوطار» ٣٥٢/٨.

الإيمان بكرامات الأولياء

ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم، والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف، وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة، والتابعين، وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

الشَّحْ

التصديق بكرامات الأولياء - أي: الإيمان بأنها حق - وهي: ما يُجري الله على أيدي أوليائه من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات والقدرة والتأثيرات؛ كالذي حكاه الله عن بعض أوليائه في سورة الكهف، وما جرى لهم من خوارق العادات حيث مكثوا في كهفهم ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] بقوا أحياء، ولم يموتوا مع ما مضى عليهم من السنين، ومع ذلك لما استيقظوا صاروا يتكلمون في شأنهم ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، وهذا خارق للعادة، لو نام إنسان مدة طويلة هلك ومات؛ لأن جسمه يحتاج إلى الغذاء؛ ينفد وقوده، وتنفذ طاقته، لكن هؤلاء مكثوا هذه السنين، ومع ذلك بقوا أحياء ﴿وَنُقِلَّتْ لَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨].

وكذلك ما أجرى الله على يد الخضر - على القول بأنه ولي لا نبي^(١) -

(١) وهو قول أكثر العلماء، انظر: «مجموع الفتاوى» ٤/٣٩٧، و«تفسير ابن كثير» ٤/١٨٧.

من الوقائع الثلاث التي استعظمها موسى: خرق السفينة، وقتل الصبي، وتقويم الجدار كل ذلك من خوارق العادات العلمية الكشفية التي أجراها الله على يدي عبده الخضر، فأهل السنة يؤمنون بكرامات الأولياء إجمالاً، لكن من أصولهم الإيمان والتصديق بما ثبت وصح من كرامات الأولياء، وهم بهذا يخالفون أهل البدع كالمعتزلة الذين ينكرون كرامات الأولياء^(١).

والأخبار مستفيضة في هذا الشأن، وقد ذكر المؤرخون أموراً كثيرة، ومنها ما يشاهد بين حين وآخر، وكرامات الأولياء التي يجريها الله على أيديهم لا تزال جارية من صدر هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة، والله تعالى يجري كرامات الأولياء؛ تقوية لإيمان بعضهم، وسداً لحاجة بعضهم، فقد يقع العبد الصالح في ضرورة؛ فيحدث الله له أمراً خارقاً للعادة يكشف به ضرورته؛ فما صح من ذلك وثبت وجب الإيمان به وتصديقه، أما ما لم يثبت فإنه يتوقف فيه، ونقول: إنه ممكن؛ فلا نشبهه ولا ننفيه^(٢).



(١) «النبوات» ١/١٢٩ و٤٨٤.

(٢) انظر: «قاعدة في المعجزات والكرامات» لشيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ١١/٣١١ - ٣٦٢، وللوقوف على شيء من كرامات الأولياء اقرأ كتاب: «كرامات أولياء الله» للإمام اللالكائي في الجزء الخامس من شرح «أصول اعتقاد أهل السنة»، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ١١/٢٧٦ - ٢٨٢.

اتباع أهل السنة لآثار الرسول ﷺ والصحابه رضي الله عنهم وإجماع الأمة

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع: آثار رسول الله باطنياً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»^{(١)(٢)}.

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، فيؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد؛ وبهذا سُموا أهل الكتاب والسنة، وسُموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان [٢/٣٤] لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين.

و[الإجماع]^(٣) هو الأصل الثالث الذي يعتمد في العلم والدين، وهم يَزِنُونَ بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال [وأعمال]^(٤) باطنة، وظاهرة مما له تعلق بالدين. و[الإجماع]^(٥) الذي

(١) في (ب) و(م): فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

(٢) رواه أحمد ١٢٦/٤، وأبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الترمذي (٢٦٧٦)، وابن حبان (٥)، والحاكم ٩٥/١ - ٩٧ من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه.

(٣) من (م)، وفي (ظ) و(ب): الاجتماع.

(٤) لا توجد في: (ب).

(٥) من (م)، وفي (ظ) و(ب): الاجتماع.

ينضبُطُ هو ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة.

الشرح

ومن أصول أهل السنة: اتباع آثار النبي ﷺ، وما جاء به ظاهراً وباطناً، واتباع آثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهذا مما أمر الله به عباده، فقد أمرهم باتباع الرسول: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فطريقتهم اتباع سنة الرسول ﷺ وتعظيمها والتمسك بها، واتباع آثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وسنة الخلفاء الراشدين، فما سنَّه أبو بكر، أو عمر، أو عثمان، أو علي ؓ مما لم يختلفوا فيه، ولم يخالف دليلاً من الكتاب والسنة، فهو سنة ماضية نحن مأمورون باتباعهم، واتباعهم في هذا هو من تحقيق اتباع النبي ﷺ؛ لأننا بذلك نعمل بوصيته ﷺ حين قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين...»^(١).

يقول الشيخ عن أهل السنة والجماعة: إنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمونه، ويؤمنون بأنه أصدق الكلام، وأن هدي الرسول خير الهدي، فيقدمون كلام الله على كلام غيره، وهدي الرسول على هدي غيره؛ لذلك سُموا أهل الكتاب والسنة؛ لتقديمهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لإيمانهم بأن القرآن هو أصدق الكلام، وأن هدي الرسول ﷺ هو خير الهدي.

كما جاء في خطبته ﷺ: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها»^(٢). لذلك سُموا أهل

(١) تقدم تخريجه في ص ٢٢٨.

(٢) رواه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله ؓ.

الكتاب والسنة؛ لأنهم المستمسكون بهما المُحَكَّمُونَ لهما، الذين لا يقدمون عليهما معقولاً، ولا ذوقاً، ولا استحساناً، لا يقدمون عليهما شيئاً.

ويسمى أهل السنة أيضاً: بأهل الجماعة، فهم أهل السنة والجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وهم يجتمعون على الحق، ويأمرون بالاجتماع عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ويعملون بالإجماع: إجماع الصحابة^(١) ﷺ يقول الشيخ: والإجماع هو الدليل الثالث.

فأصول الأدلة الثلاثة: الكتاب، والسنة، والإجماع. والإجماع في الحقيقة دليل تابع للكتاب والسنة، وأهل السنة والجماعة يزنون بهذه الأصول الثلاثة - الكتاب، والسنة، والإجماع - أقوال الناس، وأفعالهم، وأحوالهم مما له تعلق بالدين.

هذه هي الأصول الثلاثة التي يجب أن توزن بها الأعمال والأقوال، والأحوال، والأخلاق، وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه: الاعتصام بحبل الله وهو: دينه الذي بعث به رسوله ﷺ، والاتباع للسلف الصالح من الصحابة الذين أثنى الله عليهم، وعلى المتبعين لهم بإحسان.



(١) قال شيخ الإسلام: «الإجماع: .. المعلوم منه هو ما كان عليه الصحابة، وأما بعد ذلك فتعذر العلم به غالباً، ولهذا اختلف أهل العلم فيما يذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة». «مجموع الفتاوى» ٣٤١/١١.

منهج أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع الناس

ثم هم مع هذه الأصول: يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج، والجهاد، والجمع، والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا، أو فجاراً، ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه ﷺ»^(١). وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»^(٢).

الشرح

عقد الشيخ رحمه الله هذا الفصل الذي ختم به هذه العقيدة؛ لبيان منهج أهل السنة في معاملة الناس، وفي سلوكهم في أنفسهم، وهم مع هذه الأصول المتقدمة كلها من: إيمانهم بالله، وصفاته مما جاء في الكتاب والسنة على التفصيل المتقدم، وإيمانهم باليوم الآخر بكل ما أخبر الله به في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ، وإيمانهم بالقدر، وقولهم في الإيمان، وقولهم في أصحاب الرسول ﷺ على التفصيل المتقدم، واعتمادهم في الاستدلال على الكتاب والسنة والإجماع، واقتفاء آثار السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم مع هذه الأصول: «يأمرون بالمعروف، وينهون عن

(١) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

المنكر»، فهم مصلحون؛ ومنهجهم ليس علمياً وعقدياً فقط. يقول الشيخ: «على ما توجبه الشريعة» لا على ما يوجبه الهوى والرأي المجرد، فالمعتزلة من أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنهم يدخلون فيه الخروج على الأئمة، ومن الناس من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، دون أن يتقيد بحدود الشريعة؛ فيفسد أكثر مما يصلح.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين، والأدلة عليه كثيرة من نصوص الكتاب والسنة، فهو واجب عظيم به قوام الدين، وقوام أمر المسلمين، وما حل بهم من فساد في دينهم ودنياهم إلا بتفريطهم فيما أوجب الله عليهم، وتفريطهم في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

كما أن من طريقة أهل السنة والجماعة: أنهم يقيمون شرائع الإسلام: الحج، والجهاد، والجمع، والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً، فإذا كان القائد، أو أمير الحج فاجراً لا يعطلون شعائر الإسلام من أجل فجوره، فهم يتعاونون مع كل من أمرهم بالخير، فكل من قادم بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ اتبعوه، خلافاً لأهل البدع كالروافض الذين يرون أنه لا جهاد إلا مع إمام معصوم^(١)، والإمام المعصوم الذين يدعونه معدوم.

كما أن أهل السنة يحافظون على الجماعات: صلاة الجماعة التي استخف بها كثير من المسلمين، والنصوص من الكتاب والسنة الدالة على وجوبها، وعظيم فضلها كثيرة مشهورة مذكورة^(٢).

ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبينان يشد بعضه

(١) و«سائل الشيعة» ٣٢/١١، و«منهاج السنة» ١١٨/٦ و٥١٨/٨.

(٢) انظر مثلاً: «السنن والأحكام» ٤٢٢/١، و«نيل الأوطار» ١٣٩/٣، وغيرها من كتب الحديث.

بعضاً^(١)؛ أي: يؤمنون بالرابطة الإسلامية، هذه الرابطة التي قد وهنت في نفوس كثير من المسلمين.

وهذه الرابطة تعني: الشعور بالآلام وآمال المسلمين: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»^(١).

وجماع هذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فهذه الأخوة لها حق، وتتقضي المحبة والمواساة، والمشاركة في الآلام والآمال، وإن اختلفت وتباعدت أوطانهم، واختلفت أنسابهم، فلا يجوز الولاء والبراء على أساس الأرض، هذا سعودي، وهذا مصري، وهذا يمني...

والمحزن أن تعامل أكثر الناس الآن على أساس الروابط الجاهلية: التراب، والوطن، والوطنية، وهي التي يُشاد بها، وتُذكر ويُنوّه عنها. والواجب أن تكون العلاقة التي يبنى عليها الولاء والبراء، والحب والبغض هي علاقة الدين؛ فتحب المؤمنين ممن كانوا، وأين كانوا، وتبغض الكافرين ممن كانوا وأين كانوا، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.



(١) تقدم تخريجه في ص ٢٣١.

دعوة أهل السنة والجماعة إلى الأخلاق والآداب الكريمة

ويأمرون بالصبر على البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمرّ القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قول النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً: أحسنهم أخلاقاً»^(١).

ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين، وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر، والخيلاء، والبغي، والاستطالة على الخلق بحق، أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفاسفها.

الشرح

وهذه الجملة هي نوع تفصيل لما تقدم أن من طريقتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمعروف: اسم جامع لكل ما أمر الله به من الواجبات، أو المستحبات. فيأمرون بالواجبات على وجه الإلزام، ويأمرون بالمستحبات على وجه الندب والترغيب.

فمن ذلك: أنهم «يأمرون بالصبر على البلاء» يأمرون بالصبر على المصائب والأقدار المؤلمة؛ لأن هذا الذي أمر الله به عباده: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ

(١) رواه أحمد ٢/٢٥٠، وأبو داود (٤٦٨٢)، وصححه الترمذي (١١٦٢)، وابن حبان (٤٧٩)، والحاكم ٣/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿[الأنفال: ٤٦]﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

فأثنى الله في كتابه على الصابرين والشاكرين، وهذا شأن المؤمن قال الرسول ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»^(١).

ويعتقدون معنى قول ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً». فهم يتخلقون بالأخلاق الفاضلة، ويأمرون بها غيرهم، ومكارم الأخلاق: الأخلاق الكريمة، والأعمال الحسنة الجميلة.

ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى اليتامى، والمساكين كما أمرهم الله بذلك: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

فمن منهجهم وأخلاقهم: الإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالماليك، والرفق بالخدم والعمال، والخدم والعمال من جنس المماليك من حيث إنهم مُستخدمون، فيجب الرفق بهم، والإحسان إليهم، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون، وأداء حقوقهم، وقد كثر الخدم عند الناس اليوم، وكثيراً ما يتعرضون للظلم ممن هم تحت ولايته وكفالته، فيجب التأمّر بالرفق بهم، والإحسان إليهم.

«وينهون عن الفخر، والخيلاء، والبغي، والاستطالة على الخلق بحق، أو بغير حق» ينهون عن التفاخر، والتعاضم قال النبي ﷺ: «إن الله أوحى إليّ: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبع أحد على أحد»^(٢).

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

فأهل السنة ينهون عن الفخر، والخيلاء، والبغي على الخلق،
والبغي عليهم يعني: بظلمهم في أنفسهم، أو أموالهم، والاعتداء عليهم
في ذلك.

والاستطالة: التطاول، والتعاضم على الخلق بحق، أو بغير حق،
حتى وإن كان لك حق على أحد فلا تتطاول عليه، ولا تتسلط عليه،
فالتطاول فيه تعاضم، وتسلط بسبب أنك تزري عليه.

«ويأمرون بمعالي الأخلاق» هذا قريب من الذي تقدم يعني:
بالأخلاق العالية، فالأخلاق الكريمة عالية فاضلة فيأمرون بالصدقة،
وبذل المعروف، وطلاقة الوجه، والسلام، وعيادة المريض وغيرها.
«وينهون عن سفسافها» رديء الأخلاق، وحقيرها كالبخل،
والجبن.



المنهج العام لأهل السنة، وحقيقته

وكل ما يقولونه، ويفعلونه من هذا، أو غيره؛ فإنما هم فيه مُتَّبِعُونَ للكتاب والسنة، وطريقتهم هي دين الإسلام [الذي]^(١) بعث الله به محمداً ﷺ [١/٣٥]، لكن لما أخبر ﷺ: «أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»^(٢). وفي حديث عنه أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه، وأصحابي»^(٣). صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون، والشهداء، والصالحون، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وأولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال^(٤): الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرائتهم، وهم الطائفة المنصورة، الذين^(٥) قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة»^(٥).

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله، وعلى سائر المرسلين والنبیین،

(١) من (م) و(ب)، وفي (ظ): التي.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٢٨.

(٣) في (ب) زيادة: وفيهم.

(٤) في (ظ): التي.

(٥) تقدم تخريجه في ص ٢٩.

وَأَلِ كُلِّ صَائِرِ الصَّالِحِينَ^(١).

الشرح

يقول الشيخ: إن أهل السنة في «كل ما يقولونه ويفعلونه.. فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة»، يأمرهم بما أمر الله به، ويمنعهم مما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، فهم في كل ذلك متبعون، لا مبتدعون، ولا متبعون لأهوائهم.

يقول الشيخ: «وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ» هذا إجمال تام لما سبق، فطريقة أهل السنة والجماعة هي دين الإسلام الجامع لكل العقائد الصحيحة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة]، طريقتهم هي دين الإسلام، والمنتسبون للإسلام كثير، وقد أخبر ﷺ: «أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار» كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ قال: «كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة» وفي لفظ: «قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٢).

فكل هذه الفرق تنتسب للإسلام، فما الفرقة الناجية؟

هي: المستمسكة بالإسلام المحض الخالص، وفي هذا علم من أعلام نبوته ﷺ، فقد أخبر عن افتراقها، ووقع كما أخبر.

(١) في (ظ): تمت، والحمد لله، في عشي يوم الجمعة في أوائل العشر الوسط لرمضان المعظم سنة ست وثلاثين وسبعمئة بالمدرسة الظاهرية داخل دمشق المحروسة على يدي معلقها محمد بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الرحمن. لطف الله به وعفا عنه، وجعله من أهل السنة والجماعة لا رب غيره ولا مولى سواه.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٢٨.

يقول الشيخ: «صار المتمسكون بالإسلام المحض» الإسلام الخالص الذي لم يخلط بالبدع الاعتقادية، أو العملية، فالمتمسكون بالإسلام المحض خالصاً عن الشوب، وعمّا وقعت فيه الفرق المنحرفة هم أهل الكتاب والسنة، هم الفرقة الناجية المنصورة، وهذه الفرقة أهلها درجات ليسوا على مرتبة واحدة، بل هم على مراتب كثيرة. وطبقات الأولياء إجمالاً طبقتان^(١): مقربون، وأصحاب يمين، أو سابقون، ومقتصدون.

فالمقربون السابقون: هم الذين فعلوا الواجبات، والمستحبات، وتركوا المحرمات، والمكروهات، وفضول المباحات.

والمقتصدون: هم الذين أدوا الواجبات، واجتنبوا المحرمات.

فأهل السنة والجماعة مراتب فيهم: الصديقون، والشهداء، والصالحون والصديقون هم أعلى طبقات الأولياء بعد الأنبياء، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء].

والصديق هو: المبالغ في الصدق، أو هو: كثير الصدق والتصديق، والصديق المطلق في هذه الأمة هو أبو بكر رضي الله عنه، وصار هذا الوصف ملازماً له، وعلماً عليه، وإلا فالصديقية ليست مقصورة عليه.

«ومنهم أعلام الهدى» يعني: فيهم الأئمة الذين يهتدى بهم، يشبهون بالأعلام؛ أي: الجبال، وعلامات الطريق التي يهتدى بها. «ومصايح الدجى» التي يستضاء بها في حنادس الظلام.

ففي أهل السنة أئمة هداة يهتدى بهم في علمهم، وعملهم، على مراتب ففيهم: أئمة متبوعون، وعباد صالحون تابعون. فالصحابا سبق الحديث عنهم، وأنهم مفضلون تفضيلاً مطلقاً على

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ١٧٦/١١.

من بعدهم، والتابعون لهم بعد ذلك هم أهل السنة والجماعة، الذين لزموا الأصول المتقدمة، واقتفوا واتبعوا آثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فهؤلاء على مراتب: التابعون، وتابعوهم، وتابعوهم إلى يوم القيامة.

يقول الشيخ: «وفيهم الأبدال» وهذا اللفظ ورد في بعض الأحاديث^(١)، ولكن ذكر شيخ الإسلام^(٢) وغيره: أنه لم يصح حديث الأبدال.

لكن معنى الأبدال^(٣) صحيح واقع، والمراد بالأبدال: العلماء العاملون، والعُباد الصالحون الذين يخلف بعضهم بعضاً، كلما مات عالم قام بدله، وكلما مات عابد خلفه من بعده، هؤلاء أبدال، وجاء في الحديث: «لا يزال الله ﷻ يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته»^(٤).

فالصالحون والأئمة لا يزالون، وإن كان في آخر الزمان يقل العلم، ويثبت الجهل، و«الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال وإنما يقبض العلم بقبض العلماء»^(٥). ولكن هذا لا يعني أنه ينقطع وينصرم، وإن قل، فحجة الله قائمة على عباده إلى أن يأتي أمر الله تبارك وتعالى.

ولهذا نبه الشيخ إلى هذا المعنى بقوله: إن هذه الطائفة لا تزال كما أخبر الرسول ﷺ.

(١) رواه أحمد ١١٢/١ و ٣٢٢/٥ من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

وانظر: «المنار المنيف» ص ١٣٦، و«كشف الخفاء» ١/٢٤.

(٢) «مجموع الفتاوى» ١٦٧/١١ و ٤٣٣ و ٤٤١.

(٣) انظر: «جامع المسائل» ٦٧/٢.

(٤) رواه أحمد ٢٠٠/٤، وابن ماجه (٨)، وابن حبان (٣٢٦) من حديث أبي عتبة

الخولاني ﷺ. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢).

(٥) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

وعندي أن مفهوم أهل السنة والجماعة أوسع من مفهوم الفرقة الناجية، فالفرقة الناجية المنصورة، هم أهل السنة والجماعة، لكن في أهل السنة السابقون، والمقتصدون، وفيهم الظالم لنفسه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر] لكن المتمسكون بالإسلام المحض علماً وعملاً، ظاهراً وباطناً، هم الفرقة الناجية المنصورة، التي أخبر بها الرسول ﷺ، وأخبر أنها لا تزال في قوله: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق»^(١).

(لا تزال) هذا يدل على الاستمرار، والمقصود: جنس هذه الطائفة، وإلا فهي أجيال تنقرض، ويخلفهم آخرون.

«لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة»، وفي لفظ: «حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

والساعة هنا فسرت بقبض أرواح المؤمنين في آخر الزمان عند قرب قيام القيامة الكبرى، فإنه تعالى يرسل ريحاً فتقبض أرواح المؤمنين، فتخلوا الأرض من الخير، ولا يبقى في الأرض إلا شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة^(٢).

فهذه الطائفة مستمرة إلى أن يأتي أمر الله تبارك وتعالى، ويأتي الأجل الذي قدره الله لبقاء هذا الدين، وبقاء حملته، فنسأله ﷺ أن يجعلنا بمنه وكرمه من هذه الطائفة، وأن يثبتنا على دينه، وأن يرزقنا الاستقامة على الحق وأن يجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، ونسأله تعالى أن يعصمنا من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله وسلم وبارك على عبده، ورسوله نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.

(١) تقدم تخريجه في ص ٢٩.

(٢) رواه مسلم (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

فهرس الأحادس

الصفحة

طرف الحدس

(١)

٢٤٠ «الأبدال»
٢٠٤ «أندرون ما الإيمان بالله وحده»
١٨١ «أندرون ما الكوثر»
١٨٤ «أندرون ما المفلس»
١٧١ «إذا تشهد أحدكم فليستعد بالله من أربع»
١٢٨ «إذا دخل أهل الجنة الجنة: يقول الله تبارك وتعالى»
١٩٥ «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه»
١٣٣ «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه»
١١٧ «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها»
١٢٢ «إذا كان أحدكم في الصلاة فإنه يناجي ربه»
١٨٢ «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد»
٢١٨ و ٢١٣ «أذكركم الله في أهل بيتي»
٢١٦ و ٢١١ «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»
٧٥ «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك»
١٢٠ «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»
١٢٠ «أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وشر عباده»
١٣٣ «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث ما كنت»
١٨٧ «أفضل النبيين»
١٩٧ و ١٩٣ «اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»
٢٣٥ و ٢٣٤ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً»
١٣٧ و ١٣٣ «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»

الصفحة

طرف الحديث

- «أما بعد (من هديه ﷺ في خطبة)» ٢٨
- «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق» ١٢٠
- «إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد» ٢٢٩
- «أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي» ١٨٧
- «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله» ٢٩ و ١٩٥ و ٢٠٤
- «أن تعبد الله كأنك تراه» ٩١
- «إن حبها أدخلك الجنة» ٤٢
- «إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» ٤٦
- «إن العبد إذا قام في الصلاة فإنه بين عيني الرحمن» ٨٥
- «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» ١٤٦
- «إن الله اصطفى إسماعيل» ٢١٣
- «إن الله أوحى إليّ تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد» ٢٣٥
- «إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور» ٨٦
- «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة» ٧٥
- «إن الله تعالى قد اتخذني خليلاً» ٦٥
- «إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام» ٤٧
- «إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» ٧٣
- «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ٩٣
- «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن، والإنس» ٧٠
- «إن الله يدني عبده المؤمن حتى يضع عليه كنفه» ١٧٧
- «أن ماءه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل» ١٨٠
- «إن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أتاها ملكان» ١٦٨
- «إنه أوحى إليّ أنكم تكفنون في قبوركم» ١٧٠
- «إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة» ٢٨ و ٢٣٧
- «إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير» ١٧١
- «إنني في جانب البيت، وإنه ليخفي عليّ بعض كلامها» ٨٩
- «أول ما خلق الله القلم» ١٩٢
- «أول من يدخل الجنة من الأمم» ١٨٧
- «أول من يستفتح باب الجنة» ١٨٧

الصفحة	طرف الحديث
٤٤	«أي آية في كتاب الله أعظم؟ فقال: آية الكرسي»
٢٠٤	«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة»
٢٠٨ و ١٣٣	«أين الله؟ قالت: في السماء»
١٦٠ و ١٣٤	«أيها الناس اربعوا على أنفسكم»
(ب)	
٢١٦	«بايعوا الرسول ﷺ على الموت»
٢١٦	«بايعوه على ألا يفروا»
(ت)	
١٧٤	«تدنو الشمس من رؤوس الخلائق»
(ث)	
٢١١	«ثابت بن قيس بن شماس (في الجنة)»
(ج)	
١٩٢	«جفت الأقلام وطويت الصحف»
(ح)	
٩٢	«الحرب خدعة»
٢١٧	«الحسن والحسين (في الجنة)»
(خ)	
٥٢	«خمس تفرّد الله بعلمها»
٢٢٤ و ٢٢١	«خير الناس قرني»
(د)	
٦٨	«الراحمون يرحمهم الرحمن»
١٣٢	«ربنا الله الذي في السماء تقدّس اسمك»
(س)	
٢١٥	«سباب المسلم فسوق»
٤٢	«سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه؟ فقال: لأنها صفة الرحمن»

الصفحة

طرف الحديث

٢٧ «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»

(ط)

١٧٩ «طوله شهر، وعرضه شهر (الحوض)»

(ع)

٢٣٥ «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير»

١٤٠ و ١٣١ «عجب ربنا من فنون عباده وقرب غيره»

٢٢٩ و ٢٢٨ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»

(ف)

٢١٩ و ٢١٣ «فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام»

(ق)

١٤٤ «قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي»

١٩٤ «القدرية مجوس هذه الأمة»

(ك)

١٩٦ و ١٠٧ «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء»

٢١١ «كانوا أكثر من ألف وأربعمائة (في الحديدية)»

١٩٦ و ١٠٧ «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات»

١٨٠ «كما بين أيلة وصنعاء (الحوض)»

١٨٠ «كما بين صنعاء والمدينة (الحوض)»

٢٦ «كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد»

(ل)

١٠٦ «لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة»

١٨٩ و ١٤٢ و ١٣٢ «لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد»

٢٤١ و ٢٣٧ و ٢٩ «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين»

٢٢٤ و ٢٢١ و ٢١٤ «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده»

٢٦ «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»

٢٤١ «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق»

الصفحة

طرف الحديث

- «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» ٧٧
- «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله» ١٦٣
- «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» ٢١١ و ٢١٦ و ٢١٧
- «لا يزال الله ﷻ يغرس في هذا الدين غرساً» ٢٤٠
- «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» ٢٠٢ و ٢٠٨
- «لا يقبض الله العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال» ٢٤٠
- «الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته» ١٣١ و ١٤٠
- «للعامل في أيام الصبر أجر خمسين من الصحابة» ٢٢٥
- «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» ٩٤
- «اللهم رب السماوات ورب الأرض» ٥٠ و ١٣٤ و ١٣٧
- «لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر» ١٧١
- «ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يُحال بيني وبينكم» ١٨٠

(م)

- «ما أصابك لم يكن ليخطئك» ١٩٢
- «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» ٢٣١
- «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبين ترجمان» ١٢٢ و ١٣٢ و ١٣٧
- «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم» ٢٣١ و ٢٣٣
- «من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا» ٢٠٦
- «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة» ١٨٧
- «من نوقش الحساب عُذّب» ١٧٦

(هـ)

- «هل ترد من قدر الله؟ قال: هي من قدر الله (الأدوية)» ١٩٥
- «هل وجدت في التوراة ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾» ١٩٧

(و)

- «وأسألك لذة النظر إلى وجهك» ١٢٨
- «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ» ٢٦
- «والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن» ٤٢
- «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرايتي» ٢١٣ و ٢١٩

الصفحة

طرف الحديث

- ١٣٣ «والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش»
 ٥٨ «وضع إبهامه على أذنه، والسبابة على عينه»

(ي)

- ١١٤ «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»
 ٤٥ «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة»
 ٢٠٩ «يا رسول الله أعط فلاناً فإنه مؤمن»
 ١٧٣ «يا عائشة إن الأمر أشد من أن يهمهم ذلك»
 ١٨٣ «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه»
 ١٨١ «يشخب فيه ميزابان من الجنة (الحوض)»
 ١٨٨ «يشفع لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة»
 ١٨٩ «يشفع النبيون، والملائكة، والمؤمنون»
 ١٤٠ و ١٣١ «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر»
 ١٨٢ «يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة»
 ٨٤ «يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة»
 ١٣٢ «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت»
 ١٣٨ و ١٣١ «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة»
 ١٨٤ «يوقف الناس على قنطرة بين الجنة والنار»
 ٢١١ «يشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة»

مراجع التحقيق^(١)

- الأباطيل والمناكير: للجوزجاني، ت: عبد الرحمن الفريوائي، دار الصمعي.
- الإبانة عن أصول الديانة: للأشعري، ت: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية.
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: لابن بطة (الرد على الجهمية)، ت: يوسف الوابل، دار الراية.
- إثبات عذاب القبر: للبيهقي، ت: شرف محمود، دار الفرقان.
- الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء: عبد الرزاق العباد، ضمن الجامع للبحوث والرسائل، دار كنوز، أشيليا.
- اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم، ت: عواد المعتق، مكتبة الرشد.
- أجوبة الحفظ ابن حجر عن أحاديث المصابيح: ابن حجر، ضمن مشكاة المصابيح، ت: الألباني، المكتب الإسلامي.
- الأحاديث المختارة: للضياء المقدسي، عبد الملك بن دهب، مكتبة النهضة.
- الأذكار: للنووي، ت: عبد القادر الأرناؤوط، دار الهدى.
- الأربعون العشارية: للعراقي، ت: بدر البدر، دار ابن حزم.
- الاستقامة: لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة.
- الأسماء والصفات: للبيهقي، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث.
- أصول الستة: لابن أبي زمنين، ت: عبد الله البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية.
- أصول الفقه: لابن مفلح، ت: فهد السدحان، مكتبة العبيكان.
- أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد.

(١) هذه المصادر التي تمت الإحالة إليها فقط.

- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: البزار، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.
- إعلام الموقعين: لابن القيم، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع: لابن حجر، ت: صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية.
- أهوال القبور: لابن رجب، دار الهجرة.
- أوضح المسالك: لابن هشام، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.
- البحر الزخار: للبزار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم.
- بدائع الفوائد: لابن القيم، ت: علي العمران، دار عالم الفوائد.
- البداية والنهاية: لابن كثير، ت: عبد الله التركي، دار هجر.
- بيان تلبس الجهمية: لابن تيمية، ت: ابن قاسم، مؤسسة قرطبة.
- تاريخ الأمم والملوك: لابن جرير، دار الكتب العلمية.
- تاريخ دمشق: لابن عساکر، ت: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي، ت: الصادق بن محمد، مكتبة دار المنهاج.
- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة.
- تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز.
- التمهيد: لابن عبد البر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.
- التهجد وقيام الليل: لابن أبي الدنيا، ت: مصلح الحارثي، مكتبة الرشد.
- تهذيب الآثار: لابن جرير، ت: محمود شاكر، مكتبة الخانجي.
- تهذيب سنن أبي داود: لابن القيم، ت: محمد الفقي، دار المعرفة.
- تهذيب الكمال: للمزي، ت: بشار عواد، مؤسسة الرسالة.
- تهذيب اللغة: الأزهرى، ت: عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- التوحيد: لابن خزيمة، ت: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية.
- التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني، ت: أوتو يرتزل، دار الكتاب العربي.

- جامع البيان: للطبري، دار الفكر.
- جامع العلوم والحكم: لابن رجب، ت: طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي.
- الجامع الكبير: للترمذي، ت: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي.
- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، دار الكتب العلمية.
- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون: جمع محمد عزيز شمس، وعلي العمران، دار عالم الفوائد.
- جامع المسائل: لابن تيمية، ت: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد.
- جلاء الأنفهام: لابن القيم، ت: زائد النشيري، دار عالم الفوائد.
- الجنى الداني في حروف المعاني: للمرادي، ت: فخر الدين قباوة ومحمد نديم، دار الكتب العلمية.
- جواب أهل العلم والإيمان: لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب.
- حادي الأرواح: لابن القيم، ت: زائد النشيري، دار عالم الفوائد.
- حلية الأولياء: لأبي نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة.
- خلق أفعال العباد: للبخاري، ت: محمد السعيد بسيوني، مكتبة التراث الإسلامي.
- درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الدر المنثور: للسيوطي، دار الفكر.
- ديوان الأخطل: ت: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة.
- ذكر محنة الإمام أحمد: حنبل بن إسحاق، ت: د. محمد نغش، مطبعة سعدي وشندي.
- الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة: د. سعيد القحطاني، خرّج أحاديثه ياسر بن فتحي، مؤسسة الجريسي.
- ذم التأويل: لابن قدامة، ت: بدر البدر، الدار السلفية.
- رؤية الله: للدارقطني، ت: مبروك إسماعيل، مكتبة القرآن.
- الرد على الجهمية والزنادقة: للإمام أحمد، صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات.

- الروح: لابن القيم، ت: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي.
- روضة المحبين: لابن القيم، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الصمعي.
- زاد المعاد: لابن القيم، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي: لأبي القاسم ابن القاصح العذري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- السلسلة الصحيحة: للألباني، مكتبة المعارف.
- السلسلة الضعيفة: للألباني، مكتبة المعارف.
- السنّة: لابن أبي عاصم، ت: الألباني، المكتب الإسلامي.
- السنّة: لأبي بكر الخلال، ت: عطية الزهراني، دار الراية.
- السنّة: لعبد الله بن أحمد، ت: محمد القحطاني، رمادي للنشر.
- سنن ابن ماجه: ت: بشار عواد معروف، دار الجيل.
- سنن أبي داود: دار ابن حزم.
- سنن الدارقطني: ت: شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة.
- سنن الدارمي: ت: مصطفى البغا، دار القلم.
- السنن الكبرى: للبيهقي، دائرة المعارف العثمانية، تصوير دار المعرفة.
- سنن النسائي: ت: مكتبة تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة.
- السنن والأحكام عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام: الضياء المقدسي، ت: حسين عكاشة، دار ماجد عسيري.
- سير أعلام النبلاء: للذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة: للالكائي، ت: أحمد سعد حمدان، دار طيبة.
- شرح حديث النزول: لابن تيمية، ت: محمد الخميس، دار العاصمة.
- شرح الرسالة التدمرية: عبد الرحمن البراك، ت: سليمان الغصن، كنوز أشبيليا.
- شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز، ت: عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- شرح الكوكب المنير: لابن النجار، ت: محمد الزحيلي ونزيه حماد، جامعة أم القرى.
- شفاء العليل: لابن القيم، ت: السيد محمد النعساني، دار الفكر.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

- صحيح ابن خزيمة: ت: محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي.
- صحيح البخاري: عناية: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة.
- صحيح مسلم: ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الصميعي.
- الصواعق المرسله: لابن القيم، ت: علي الدخيل الله، دار العاصمة.
- الضعفاء الكبير: للعقيلي، ت: عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية.
- العجائب في معرفة الأسباب: لابن حجر، ت: عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي.
- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية: ابن عبد الهادي، مكتبة المؤيد.
- عقيدة السلف أصحاب الحديث: للصابوني، ت: بدر البدر، مكتبة البدر الأثرية.
- العقيدة الطحاوية: دار الصميعي.
- العلل: لابن أبي حاتم، ت: فريق من الباحثين بإشراف وعناية سعد الحميد، وخالد الجريسي.
- العلل الواردة في الحديث النبوي: للدارقطني، ت: محفوظ الرحمن زين الله، دار طيبة.
- العلو للعلي الغفار: للذهبي، ت: عبد الله البراك، دار الوطن.
- عمل اليوم والليلة: للنسائي، ت: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة.
- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم: جمع: محمد بن قاسم، مطبعة الحكومة.
- فتح الباري: لابن حجر، ت: ابن باز، المطبعة السلفية، ط. الأولى.
- فتح المغيث: للسخاوي، ت: عبد الكريم الخضير ومحمد الفهيد، مكتبة المنهاج.
- الفتوى الحموية الكبرى: لابن تيمية، ت: حمد التويجري، دار الصميعي.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب.
- فضل الصلاة على النبي ﷺ: لإسماعيل القاضي، ت: الألباني، المكتب الإسلامي.
- الفوائد المجموعة: الشوكاني، ت: المعلمي، مطبعة السنة المحمدية.

- قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة: للسيوطي، ت: خليل الميس، المكتب الإسلامي.
- الكافية الشافية: لابن القيم، ت: عبد الله العمير، دار ابن خزيمة
- الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدي، ت: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس: العجلوني، مؤسسة الرسالة.
- الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية: مرعي الكرمي، ت: نجم عبد الرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي.
- لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي، ت: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية.
- لسان العرب: لابن منظور، دار صادر.
- لمحات الأنوار ونفحات الأزهار: للغافقي، ت: رفعت فوزي عبد المطلب، دار البشائر الإسلامية.
- لمعة لاعتقاد: لابن قدامة، ت: قسم البحوث والنشر، دار نداء الإسلام.
- المجروحين: لابن حبان، ت: محمود زايد، دار المعرفة.
- مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، دار عالم الكتب.
- مختصر الصواعق المرسلّة: لابن الموصلي، ت: الحسن العلوي، دار أضواء السلف.
- مدارج السالكين: لابن القيم، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي.
- المستدرك على الصحيحين: للحاكم، ت: جماعة من العلماء، دار المعارف النظامية في حيدرآباد، الدكن.
- مسند الإمام أحمد: ت: شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة.
- مسند الشاميين: للطبراني، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة.
- المصنف: ابن أبي شيبة، ت: محمد عوامة، شركة دار القبلة.
- المصنف: عبد الرزاق الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي.

- المعجم الأوسط: للطبراني، ت: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر.
- معجم الشيوخ: الذهبي، ت: محمد الهيلة، مكتبة الصديق.
- المعجم الكبير: للطبراني، ت: حمدي السلفي، دار إحياء التراث الإسلامي.
- المعلم بفوائد مسلم: للمازري، ت: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب.
- المغني: لابن قدامة، ت: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر.
- مقالات الإسلاميين: ت: هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينر.
- الملل والنحل: الشهرستاني، ت: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية.
- المنار المنيف: لابن القيم، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات العربية بحلب.
- مناظرة الواسطية: لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب.
- مناقب الإمام أحمد: لابن الجوزي، ت: عبد الله التركي، دار هجر.
- المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة: محمد عبد الباقي الأيوبي، دار الكتب العلمية.
- منهاج السنة النبوية: لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الكتاب الإسلامي.
- المنهج في التعامل مع روايات ما شجر بين الصحابة: محمد أبا الخيل.
- المهذب في اختصار السنن الكبير: للذهبي، بإشراف أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن.
- الموضوعات: ابن الجوزي، ت: نور الدين بن شكري، أضواء السلف.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للذهبي، ت: علي البجاوي، دار المعرفة.
- نتائج الأفكار في تخريج الأذكار: لابن حجر، ت: حمدي السلفي، دار ابن كثير.
- النبوات: ابن تيمية، ت: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف.
- النزول: للدارقطني، ت: علي بن محمد الفقيهي.
- النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، ت: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى.

- نظم المتناثر من الحديث المتواتر: لمحمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب العلمية.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: للشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الحر العاملي، ت: عبد الرحمن الشيرازي، دار إحياء التراث العربي.

الفهرس التفصلي

الموضوع	الصفحة
العلماء الذين شرحوا الواسطية	٧
طريقة العمل في إخراج هذا الشرح	٨
معلومات النسخ الخطية	١١
نماذج من النسخ الخطية	١٣
ترجمة الشيخ عبد الرحمن البراك	١٧
مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة	٢٣
سبب تسمية العقيدة الواسطية بهذا الاسم	٢٤
أنواع مؤلفات شيخ الإسلام والباعث على تأليفها	٢٥
مميزات العقيدة الواسطية	٢٥
شرح كلمة التوحيد	٢٦
الصراط المستقيم فيما يجب اعتقاده في النبي ﷺ	٢٦
معنى الصلاة على النبي ﷺ	٢٧
المراد بأل النبي ﷺ	٢٧
الفائدة من ذكر أما بعد ومعناها	٢٨
سبب تسمية أهل السنة بالفرقة الناجية	٢٩
جميع مسائل الاعتقاد راجعة إلى الأصول الستة	٢٩
الإيمان بالله ويشمل ثلاثة أمور	٣٠
الإيمان بالملائكة	٣٠
بالإيمان بالكتب، وتسمية بعضها	٣٠
الإيمان بالرسل	٣١
الإيمان بالبعث بعد الموت	٣١
مجمل اعتقاد أهل السنة في باب الأسماء والصفات	٣٢

الموضوع	الصفحة
معنى التحريف والتعطيل	٣٣
مذهب أهل السنة في باب الأسماء والصفات قائم على النفي والإثبات	٣٤
كيفية الإلحاد في أسماء الله	٣٤
معنى السمي والكفو والند	٣٥
لا سبيل إلى معرفة أسماء الله وصفاته إلا ببيانه وتعريفه ﷻ	٣٥
الرسول جاءت في باب الصفات بالنفي والإثبات	٣٦
لا يكذب الرسول ظاهراً وباطناً إلا من لا عقل له	٣٨
معنى كلمة «سبحان»	٣٩
قاعدة النفي الذي جاء في النصوص «الإجمال في النفي، والتفصيل في الإثبات»	٣٩
الله ﷻ لم يصف نفسه بنفي محض لا يتضمن ثبوت كمال	٤٠
الصراط هو: الطريق الذي يجمع معانٍ فليس كل طريق صراطاً	٤١
تضمن سورة الإخلاص للتوحيد العلمي الخبيري	٤١
لماذا سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن	٤٢
في سورة الإخلاص اسمين لم يذكر في غيرها	٤٣
معنى الصمد	٤٣
لا يوجد طائفة مقررة بوجود الله زعمت أنه تعالى مولود	٤٤
بعض النصوص في فضل آية الكرسي	٤٤
بقول النبي ﷺ لأبي هريرة: «صدقك» ثبت الفضل	٤٥
الشیطان قد يعلم بعض الفضائل والعلوم الشرعية	٤٦
آية الكرسي اشتملت على خمسة أسماء	٤٦
معنى السنة	٤٧
لكمال ملك الله لا يشفع أحد إلا بإذنه	٤٧
جمهور أهل السنة على أن الكرسي موضع القدمين	٤٨
النصوص الدالة على إثبات صفة العلم لله تعالى	٤٩
أحسن تفسير لأسماء الله: الأول والآخر والظاهر والباطن	٥٠
الخبير أخص في المعنى من العليم	٥٢
الله ﷻ يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون	٥٣
علم الله تعالى ثابت بالعقل والسمع	٥٣

- ٥٥ الأدلة من الكتاب على إثبات القوة والسمع والبصر والإرادة
- ٥٦ ما يحصل على أيدي الناس من رزق فهم فيه أسباب فقط
- ٥٦ بعض الآثار السلوكية للإيمان بأسماء الله وصفاته
- ٥٨ وضع النبي ﷺ إبهامه على أذنه والسبابة على عينه عند قراءة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيحًا بَصِيرًا﴾ لبيان أن المراد بالسمع والبصر حقيقتهما
- ٦٠ الإرادة المضافة لله نوعان: كونية، وشرعية
- ٦١ الفروق بين الإرادة الشرعية والكونية
- ٦٣ بعض الآيات الدالة على صفة المحبة لله ﷻ
- ٦٤ إنكار الجهمية والمعتزلة والأشاعرة لصفة المحبة
- ٦٥ معنى اسم الله «الودود»
- ٦٦ بعض الآيات الدالة على صفة الرحمة لله تعالى
- ٦٦ قاعدة: «كل اسم متضمن لصفة»
- ٦٦ أقوال العلماء في البسمة التي تفتح بها السور
- ٦٧ الفرق بين الرحمن الرحيم
- ٦٩ غلط الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في تأويلهم صفة الرحمة
- ٧٠ الرحمة المضافة إلى الله نوعان
- ٧١ بطلان قول أهل التعطيل والتفويض
- ٧١ الأثر السلوكي للإيمان بصفة الرحمة
- ٧٢ بعض الآيات الدالة على صفة الرضا والغضب والكراهة والمقت
- ٧٣ مذهب أهل السنة في الصفات قائم على أصول ثلاثة
- ٧٤ هل لصفات الله تعالى كيفية؟
- ٧٤ تفسير أهل البدع لصفة الغضب والكراهة والمقت
- ٧٤ الأثر السلوكي للإيمان بصفة الرضا والغضب والكره والمقت
- ٧٦ بعض الآيات الدالة على إثبات الصفات الفعلية كالإتيان والمجيء
- ٧٨ سبب نفي أهل البدع للصفات الفعلية
- ٧٨ الموقف الشرعي من مصطلح «حلول الحوادث»
- ٧٨ الأثر السلوكي للإيمان باليوم الآخر ومجيء الله تعالى فيه
- ٨٠ بعض الآيات الدالة على صفة الوجه واليدين والعينين
- ٨١ أهل البدع ينفون حقيقة الوجه واليدين والعينين

- ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ تدل على بقاءه سبحانه وأن له وجهاً لا كما توهمه بعض
 ٨٢ الغالطين
- ٨٣ معنى التأويل
- ٨٤ قول بعضهم: له يدان وليستا جارحتين قول مبتدع موهم
- ٨٥ قول تجري بأعيننا أي: بمرأى منا ليس من التأويل في شيء
- ٨٥ يقول أهل السنة: إن الله عيني
- ٨٦ قوله تعالى: ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ لا يدل على أن الله أعيناً والرد على من زعم ذلك .
 بعض الآيات الدالة على إثبات السمع والرؤية والمكر والكيد والعفو والقدرة
 والعزة
- ٨٨ والمعزة
- ٨٩ المعتزلة تزعم أن أسماء الله أعلام محضة لا تدل على معان
- ٨٩ سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾
- ٩٠ سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾
- ٩١ الأثر السلوكي للإيمان برؤية الله وسمعه
- ٩٢ المراد بالمكر والكيد
- ٩٢ المكر والكيد من الناس منه محمود ومذموم
- ٩٢ أمثلة لمكر الله بأعدائه
- على المسلمين ألا يغتروا بما يعيشه الكفار من مظاهر عز وتقدم ورقي وعليهم
 السعي فيما ينفعهم
- ٩٣ السعي فيما ينفعهم
- ٩٤ العفو إنما يكون كمالاً مع القدرة؛ ولذا قرن الله العفو بالتقدير
- ٩٥ كلما كان حظ الإنسان من الإيمان أكبر كان حظه من العزة والنصر أوفر
- ٩٧ بعض الآيات الدالة على نفي النقائص عن الله كالكفاء والند والولد والشريك .
 هذه الآيات ساقها المؤلف للاستشهاد بها على الصفات السلبية
- ٩٨ معنى كلمة (تبارك)
- ٩٩ بركة الله ﷻ ذاتية، وبركة المخلوق موهوبة
- ١٠٠ تبارك لا يجوز أن تطلق على غير الله فلا يقال: تباركت علينا يا فلان
- ١٠٠ قد يأتي النفي في الصفات مفصلاً كنفى الولد والنوم والسنة والصاحبة
- ١٠١ كل نفي يوصف الله به فهو متضمن لإثبات كمال ضده
- ١٠١ معنى الفواحش والبغي
- ١٠٣ الآيات من القرآن الدالة على استواء الله على العرش

- ١٠٣ معنى العرش في اللغة، ومعناه في الآيات
- ١٠٤ عبارات السلف في معنى الاستواء
- ١٠٥ شرح عبارة (الاستواء معلوم، والكيف مجهول...) .
الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن دخل مدخلهم كالرافضة كلهم ينفون الاستواء
- ١٠٥ بيان فساد تأويلهم الاستواء إلى الاستيلاء
- ١٠٩ أنواع الأدلة السمعية على العلو أكثر من عشرين نوعاً
- ١٠٩ ذكر ابن القيم ثلاثين طريقاً عقلياً تدل على العلو
- ١١٠ العلو الذي فيه النزاع بين أهل السنة وطوائف المبتدعة هو علو الذات
- ١١٠ إنكار الإمام أحمد على الحلولية وبيان لازم قولهم الشنيع
- ١١١ أمثلة لتأويلات أهل البدع
- ١١٢ الفرق بين العلو والاستواء
- ١١٣ المعية في اللغة تدل على مطلق المقارنة والمصاحبة ولا تستلزم اختلاطاً
- ١١٤ المعية المضافة لله نوعان: عامة وخاصة ومقتضى كل منهما
- ١١٦ بعض الآيات الدالة على صفة الكلام
- ١١٧ أهل البدع يقولون عن القرآن: إنه كلام مخلوق
- ١١٨ التوراة والزبور والإنجيل والقرآن كلها منزلة من عند الله
- ١١٩ أئمة الإسلام كفّروا من قال: القرآن مخلوق
- ١٢٠ كلمات الله نوعان: شرعية وكونية
- ١٢١ معنى النداء والمناجاة
- القرآن كلام الله كيفما تصرف غير مخلوق، محفوظ في الصدور، مسموع
بالآذان، ومقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف
- ١٢٢ بعض الآيات الدالة على نزول القرآن من الله
- ١٢٤ بعض الآيات الدالة على رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة
- ١٢٦ (نظر) يأتي متعدياً بـ(نفسه)، وبـ(في) وبـ(إلى)
- ١٢٧ الزيادة والمزيد هي النظر إلى وجه الكريم سبحانه
- ١٢٨ بطلان استدلال المبتدعة بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ وبيان أنه دليل
عليهم
- ١٢٨ تحري المؤلف ختم نصوص القرآن بالرؤية وسبب ذلك
- ١٢٩ تحري المؤلف ختم نصوص القرآن بالرؤية وسبب ذلك

الصفحة

الموضوع

- الانتفاع بالقرآن لا يحصل بمجرد التدبر بل لا بد من صحة النية وكون القصد
من التدبر طلب الهدى ١٣٠
- بعض الأحاديث الدالة على صفة النزول والفرح والضحك والعجب والقَدَم ١٣١
- كل ما يبلغه النبي ﷺ فإنه وحي أوحاه الله إليه ١٣٥
- إنكار السنّة مطلقاً كفر وضلال ١٣٥
- سنّة الرسول ﷺ هي: أقواله، وأفعاله، وتقريراته ١٣٥
- السنّة فيها تفصيل ما أجمل في القرآن، وتقييد المطلق، وتخصيص العام ١٣٦
- أهل البدع يردون نصوص الصفات من السنّة إما بحجة أنها آحاد أو ظنية
الدلالة إن كانت متواترة ١٣٦
- أهل البدع ليس لديهم خبره بالسنّة فلا يميزون بين صحيح وضعيف، ولا متواتر
وآحاد ١٣٧
- عدم تفصيل الشيخ في الأحاديث التي دلّت على مثل ما دلّ عليه القرآن فيما
تقدم ١٣٨
- حديث نزول الرب إلى سماء الدنيا كل ليلة متواتر ١٣٨
- إذا قال الجهمي: أكفر برب يزول عن مكانه. فقل: أو من برب يفعل ما يشاء. ١٣٩
- فرح الله يتضمن محبته بما يفرح به، ورضاه به وعنه ١٤٠
- ضحك الله يتضمن رضاه، وليس هذا تفسيراً لضحكه تعالى ١٤٠
- أدلة من القرآن على إثبات صفة العجب ١٤١
- معنى القنوط والأزل ١٤١
- الصحيح عن ابن عباس في تفسير الكرسي أنه موضع القدمين، وضعف ما روي
عنه أنه العلم ١٤٢
- طريقة أهل البدع في دفع نصوص الصفات من الكتاب ونصوص السنّة ١٤٣
- أمثلة لتأويل أهل البدع لبعض الصفات ١٤٤
- يبقى في الجنة فضل فينشئ الله لها أقواماً، وأما النار فلا يعذب بها إلا
المستحق ١٤٤
- رؤية المؤمنين لربهم ١٤٦
- وسطية أهل السنّة والجماعة بين فرق الضلال ١٤٦
- ختم المؤلف أحاديث الصفات بحديث الرؤية كما صنع في آيات الصفات ١٤٧
- أحاديث رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة متواترة ١٤٧

- لفظ الجهمية إذا أطلق يتناول المعتزلة ١٤٨
- أهل السنة وسط في باب الصفات بين أهل التعطيل وأهل التمثيل ١٤٨
- أهل السنة وسط في باب أفعال الله بين الجبرية، والقدرية ١٤٩
- أهل السنة وسط في باب وعيد الله بين المرجئة، والخوارج والمعتزلة ١٥١
- الخوارج والمعتزلة متفقون على تخليد مرتكب الكبيرة في النار ١٥٢
- نصوص الوعيد مقيدة بنصوص التوبة، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وبنصوص خروج الموحدين من النار ١٥٢
- أهل السنة وسط في أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية ١٥٣
- الخوارج يقولون مرتكب الكبيرة في الدنيا كافر ١٥٣
- المعتزلة يقولون مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين المنزلتين ١٥٣
- المرجئة يقولون مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ١٥٤
- تفصيل مذهب أهل السنة في باب الأسماء والأحكام ١٥٤
- أهل السنة وسط فيما يجب للصحابة بين الراضية والخوارج ١٥٤
- الخوارج شر النواصب، والراضية شر منهم ١٥٥
- الجمع بين علو الله ومعيته ١٥٦
- سبب تخصيص المؤلف هذا الفصل مع أنه سبق الكلام عليه ١٥٧
- معنى أن الله في السماء؟ أي: في العلو فوق جميع المخلوقات ١٥٨
- هذا الفصل ينبغي حفظه ١٥٩
- لا منافاة بين علوه وفوقيته، وقربه ومعيته تعالى ١٦٠
- اعتقاد أهل السنة في القرآن ١٦١
- هذا الفصل من أعظم فصول العقيدة ١٦١
- معنى قول أهل السنة في القرآن (وإليه يعود) ١٦٣
- لا يجوز إطلاق القول أن القرآن حكاية عن كلام الله أو عبارة ١٦٤
- أضيف القرآن بلفظ القول إلى جبريل ومحمد ﷺ إضافة بلاغ ١٦٤
- الجهمية والمعتزلة يقولون: القرآن ليس كلام الله حروفه ومعانيه بل الكل مخلوق ١٦٥
- الأشاعرة يقولون في القرآن: المعنى كلام الله، والحروف معبر عنها عن تلك المعاني ١٦٥

الموضوع	الصفحة
أهل الستة يقولون: القرآن كلام الله حروفه ومعانيه	١٦٥
يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس	١٦٦
عرصات القيامة: ساحاتها ومواقفها	١٦٦
أحوال الناس بعد الموت وبعد البعث	١٦٨
الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، والدار الآخرة	١٦٩
القيامة قيامتان: صغرى، وكبرى	١٦٩
دلّ القرآن والستة المتواترة على عذاب القبر	١٧٠
الناس يفتنون في القبور، وبعدها إما نعيم أو جحيم	١٧٠
الحكمة من خفاء ما في القبور	١٧١
من أصول أهل الستة الإيمان بنعيم القبر أو عذابه	١٧٢
أنكر الزنادقة والملاحدة وبعض المبتدعة عذاب القبر	١٧٢
الرد على من لم يؤمن إلا بالمحسوسات	١٧٢
قد يكشف الله لبعض الناس شيئاً من أحوال القبور	١٧٢
ذكر بعض الأمور التي تكون يوم القيامة	١٧٣
أنكر بعض المعتزلة الميزان	١٧٥
محاسبة الله للخلائق وخلوّه بعبده المؤمن	١٧٦
قال ابن تيمية: الكفار لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته	١٧٦
قال الشارح: ظاهر القرآن أن الكفار توزن أعمالهم	١٧٧
وجوب الإيمان بالحوض والصراط	١٧٩
أحاديث الحوض متواترة	١٧٩
صفات الحوض	١٧٩
هل الحوض قبل الصراط أو بعده؟	١٨١
أنكر الخوارج وبعض المعتزلة الحوض	١٨١
الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة من نهر الكوثر	١٨١
يعبر الناس على الصراط بحسب سيرهم على الصراط المستقيم	١٨١
من عبر الصراط تجاوز الخطر، ودخل الجنة من أول وهلة	١٨٢
سياق النصوص يشعر بأن العبور على الصراط خاص بأهل الإيمان والملتزمين إليهم	١٨٢
الأمم الكافرة كاليهود والنصارى وعباد الأوثان لا يمرون على الصراط	١٨٢

- ١٨٤ يوقف المؤمنون على قنطرة بين الجنة والنار، ويقتصر لبعضهم من بعض
- ١٨٦ النبي ﷺ أول من يستفتح باب الجنة، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ...
- ١٨٦ شفاعات النبي ﷺ
- ١٨٧ الشفاعة الأولى للنبي ﷺ، وهي: الكبرى، وهي: المقام المحمود
- ١٨٨ الشفاعة الثانية للنبي ﷺ شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها
- ١٨٨ الشفاعة الثالثة: في أهل الكبائر للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين
- ١٨٨ الشفاعة في أهل الكبائر أنكرها الخوارج والمعتزلة
- ١٨٩ يخرج الله ﷻ أقواماً بغير شفاعة
- ١٨٩ يبقى في الجنة فضل فينشئ الله لها أقواماً فدخلهم الجنة
- ١٩٠ تفاصيل ما تضمنته الدار الآخرة موجود في الكتب المنزلة من السماء
- ١٩٢ الإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين
- ١٩٧ أنواع التقديرات
- ١٩٨ الإيمان بالقدر لا يتم إلا بالإيمان بمراتبه الأربعة
- ١٩٨ غلاة القدرية أنكروا العلم والكتاب
- ١٩٨ المعتزلة أنكروا عموم المشيئة والخلق
- ١٩٩ اختلاف الناس في إيمانهم بالشرع والقدر
- ١٩٩ المعتزلة آمنوا بالشرع وأنكروا القدر
- ١٩٩ المشركون والجبرية آمنوا بالقدر وأعرضوا عن الشرع
- ١٩٩ الإبلسية زعموا أن بين الشرع والقدر تناقض
- ١٩٩ أهل السنة يؤمنون بالقدر والشرع
- ٢٠٠ ما يتضمنه الإيمان بالشرع
- ٢٠٠ لا يستقيم أمر العباد بل لا تستقيم الحياة إلا بالإيمان بالشرع والقدر
- ٢٠٠ عند المصائب عليك أن تنظر إلى القدر
- ٢٠٠ عند المعائب عليك أن تنظر إلى الشرع
- ٢٠١ نفي القدرية الجبرية الحكمة في أفعال الله
- ٢٠٢ مذهب أهل السنة في الإيمان ومرتكب الكبيرة
- ٢٠٣ المرجئة يقولون: الإيمان: تصديق القلب
- ٢٠٣ الجهمية يقولون: الإيمان: المعرفة
- ٢٠٣ الكرامية يقولون: الإيمان: التصديق باللسان

الموضوع	الصفحة
تعقب الشيخ لقول الكرامية	٢٠٣
مرجئة الفقهاء يقولون: الإيمان تصديق القلب وإقرار اللسان	٢٠٣
أئمة أهل السنة ينكرون جميع الأقوال المتقدمة	٢٠٤
الأدلة من السنة على دخول العمل في الإيمان	٢٠٤
شرح قول أهل السنة في الإيمان	٢٠٤
الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص	٢٠٥
من أوتي علماً وبصيرة فإنه يحس زيادة الإيمان ونقصه	٢٠٦
المرجئة والمعتزلة والخوارج عندهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص	٢٠٦
حكم مرتكب الكبيرة	٢٠٦
بعض المعاصي توجب الكفر، وأمثلة لذلك	٢٠٧
الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة، وبعضهم يكفر مرتكب الصغيرة	٢٠٧
الأدلة على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر	٢٠٧
المعتزلة يسلبون مرتكب الكبيرة الإيمان ولا يكفرونه	٢٠٨
الفاسق الملمي لا يعطى الإيمان المطلق ولا يسلب مطلق الإيمان	٢٠٩
مذهب أهل السنة في الصحابة وآل النبي ﷺ وزوجاته	٢١١
من أصول أهل السنة سلامة قلوبهم من بغض الصحابة	٢١١
الصحبة مراتب، وبعض الصحابة أكمل صحبة من بعض	٢١٤
براءة أهل السنة من طريقة الروافض والنواصب	٢١٥
أهل السنة يقدمون المهاجرين على الأنصار	٢١٥
أهل السنة يعرفون لأهل بدر وبيعة الرضوان فضيلتهم	٢١٦
في بيعة الرضوان بايع الصحابة على ألا يفروا وفي رواية على الموت	٢١٦
أسماء العشرة المبشرين بالجنة	٢١٦
ثابت بن قيس والحسن والحسين بشروا بالجنة	٢١٦
تواتر عن علي رضي الله عنه أن أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر	٢١٧
أهل السنة يقولون أفضل الصحابة الخلفاء الراشدون، وترتيبهم في الفضل على ترتيبهم في الخلافة	٢١٧
وقع خلاف في القديم بين أهل السنة في المفاضلة بين علي وعثمان	٢١٧
استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان على علي	٢١٧
من طعن في خلافة أحد من الخلفاء الراشدين فهو أضل من حمار أهله	٢١٨

الموضوع	الصفحة
من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار	٢١٨
أهل السنة يعرفون لقراءة النبي ﷺ فضلهم	٢١٨
أهل السنة يحبون أزواج النبي ﷺ	٢١٩
زوجات النبي ﷺ هن أولى من يدخل في مسمى آل البيت	٢١٩
فضل خديجة وعائشة رضي الله عنهن	٢١٩
خلاف أهل العلم في المفاضلة بين خديجة وعائشة	٢٢٠
موقف أهل السنة مما شجر بين الصحابة	٢٢١
أهل السنة يمسكون عن الحديث فيما شجر بين الصحابة	٢٢٢
تسطير ما حدث بين الصحابة لا خير فيه إلا من يكتب للرد على شبه المبطلين	٢٢٢
الجواب عما نقل في مساوئ الصحابة	٢٢٣
أهل السنة لا يقولون بعصمة الصحابة بل تجوز عليهم الذنوب	٢٢٣
الصحابة هم خير القرون لا كان ولا يكون مثلهم	٢٢٥
الجواب عما ورد في صفة الغرباء، وأن للعامل أجر خمسين من الصحابة	٢٢٥
من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء	٢٢٦
الخضر ولي لا نبي على القول الصحيح	٢٢٦
كرامات الأولياء لا تزال جارية إلى قيام الساعة	٢٢٧
طريقة أهل السنة اتباع آثار الرسول ﷺ والصحابة	٢٢٨
الإجماع هو الأصل الثالث المعتمد في العلم والدين	٢٢٨
الإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح	٢٢٨
ما سنه الخلفاء الراشدون ولم يختلفوا فيه ولم يخالف الكتاب والسنة فهو سنة	
ماضية	٢٢٩
اختلف أهل العلم في ما يذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة	٢٣٠
الإجماع دليل تابع للكتاب والسنة	٢٣٠
أهل السنة يزنون بالأصول الثلاثة أقوال وأفعال الناس	٢٣٠
منهج أهل السنة في التعامل مع الناس	٢٣١
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين	٢٣٢
أهل السنة يقيمون شرائع الإسلام مع الأمراء أبراراً أو فجاراً	٢٣٢
الرافضة يرون أنه لا جهاد إلا مع إمام معصوم	٢٣٢
الرابطة الإسلامية تعني الشعور بالآلام وآمال المسلمين	٢٣٣

الصفحة

الموضوع

- ٢٣٣ أكثر تعامل الناس الآن على أساس الروابط الجاهلية
- ٢٣٤ دعوة أهل السنة إلى الأخلاق الكريمة
- ٢٣٤ أهل السنة ينهون عن الفخر والخيلاء والبغي
- ٢٣٧ المنهج العام لأهل السنة وحقيقته
- ٢٣٧ الفرقة الناجية هي المتمسكة بالإسلام المحض
- ٢٣٩ أهل الفرقة الناجية على مراتب كثيرة وهم إجمالاً طبقتان
- ٢٤٠ لا يصح في الأبدال حديث
- ٢٤٠ معنى الأبدال صحيح واقع
- ٢٤١ مفهوم أهل السنة والجماعة أوسع من مفهوم الفرقة الناجية
- ٢٤١ قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة...» المقصود جنس الطائفة

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
معلومات النسخ الخطية	١١
ترجمة الشيخ عبد الرحمن البراك	١٧
مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة	٢٣
مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات	٣٢
بعث الله رسله في صفاته بالنفي والإثبات	٣٦
إثبات العلم لله تعالى	٤٩
إثبات القوة والسمع والبصر والإرادة	٥٥
إثبات صفة المحبة لله ﷻ	٦٣
إثبات صفة الرحمة لله ﷻ	٦٦
إثبات الرضا والغضب لله تعالى	٧٢
إثبات الإتيان، والمجيء لله تعالى	٧٦
إثبات الوجه واليدين والعينين لله تعالى	٨٠
إثبات السمع والرؤية والقدرة والعزة	٨٨
نفي النقائص عن الله كالكفاء والند والولد والشريك	٩٧
إثبات استواء الله تعالى على عرشه	١٠٣
علو الله تعالى ومعيته لعباده	١٠٨
إثبات صفة الكلام لله تعالى	١١٦
ثبوت نزول القرآن من الله ﷻ	١٢٤
إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة	١٢٦
إثبات النزول والفرح والضحك والعجب والقدم	١٣١
رؤية المؤمنين لربهم سبحانه ووسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق	١٤٦
من الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بعلوه ومعيته	١٥٦

الموضوع	الصفحة
لا منافاة بين علوه وفوقيته، وقربه ومعيته	١٦٠
اعتقاد أهل السنة في القرآن	١٦١
من الإيمان بالله ورسله: الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة	١٦٦
أحوال الناس بعد الموت، وبعد البعث	١٦٨
محاسبة الله للخلائق	١٧٦
وجوب الإيمان بالحوض والصراط	١٧٩
إثبات شفاعات النبي ﷺ	١٨٦
كلمة مجملة عن اليوم الآخر	١٩٠
مذهب الفرقة الناجية في الشرع والقدر وأفعال العباد	١٩٢
مذهب أهل السنة في الإيمان، ومرتكب الكبيرة	٢٠٢
مذهب أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ، وقرابته، وأزواجه	٢١١
موقف أهل السنة والجماعة مما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم	٢٢١
الإيمان بكرامات الأولياء	٢٢٦
اتباع أهل السنة لآثار الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم وإجماع الأمة	٢٢٨
منهج أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع الناس	٢٣١
دعوة أهل السنة والجماعة إلى الأخلاق والآداب الكريمة	٢٣٤
المنهج العام لأهل السنة، وحقيقته	٢٣٧
فهرس الأحاديث	٢٤٣
مراجع التحقيق	٢٤٩
الفهرس التفصيلي	٢٥٧
فهرس المحتويات	٢٦٩